القرآن
ليس دعوة نصرانية

ردٌّ على كتابَي الحداد والحريري

«القرآن دعوة نصرانية»

و

«قس ونبي»

د. سامي عصاصة

دار الوثائق

الجمهورية العربية السورية

دمشق: ص.ب. : ١٧٩٣

هاتف: ٢٤٥٦٦٩٤ – ٢٢٢١٠٢٩

فاكس: ٢٢٣١٩٧٥

البريد الالكتروني sabbagh@net.sy

Syria – Damascus

P.O.Box: ١٧٩٣

Tel: ٢٤٥٦٦٩٤ – ٢٢٢١٠٢٩

Fax: ٢٢٣١٩٧٥

E.Mail: sabbagh@net.sy

للاتصال البريدي مع المؤلف: صندوق بريد رقم ٤٢٤٠ - دمشق – سورية

للاتصال مع المؤلف على الانترنت: sassassa@onebox.com

تصميم الغلاف: ميساء كرد علي

الطبعة الأولى : ٢٠٠٣

شكر وعرفان

مهما اجتهد باحث في الوصول بكتابه إلى الكمال أدرك عبثية المحاولة لأن الكمال لله. ولكن اللجوء إلى أصدقاء مفكرين يُسهم في استبعاد الخطأ فيسمو مضمون الكتاب ويُسهّل إيصال الأفكار إلى القارئ الكريم.

إني مدين للعديد من الأصدقاء أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر : الدكتور محمد راتب النابلسي، د. حسين حمادة، د. عبد المعطي الدالاتي، د. عبد السلام الراغب، المهندس فهد الرفاعي، الأستاذ هيثم الملوحي، الأستاذ أحمد عمران الزاوي، والأستاذ ندرة اليازجي. فمع كل منهم جرت حوارات لا تخلو من الشدة، ولكنها بناءة في كل مرحلة من مراحلها. وكان لكل منهم ملاحظات ذات أهمية، استجبت لتلك التي تتفق مع ذاتي ولم أستجب لما يختلف معها لأني لو فعلت لنفيت ذاتي.

وأوجه شكراً خاصاً إلى أم خالد التي صبرت على انصرافي ما يزيد عن سنتين في الكتابة والتحضير، وإلى ابنتي رانية التي ساعدتني في البحث عن المراجع وتهيئتها بالرغم من انهماكها المكثف مع رسالة الماجستير وما تبعها من اختبارات في جامعة توبينجَن الألمانية.

هدفي من الكتاب يتحقق إن قرأه المرء فنشر الأفكار التي يتضمنها. فالكلمة تموت إن لم تُنشر، وتحيا، بل تحركِ الجبال إن قُيض لها من ينشرها. إني أشكر كل من يعمل على نشر الكتاب.

المؤلف

كلمة

يبدو أن الباحثَين المسيحيَّين، أبو موسى الحريري ودرّة يوسف الحداد، كأنهما يريدان قولبة الإسلام في نصرانيةٍ لا يعترفان بصلاحيتها أصلاً وإنما يعتبرانها بدعةً سبقت المسيحية وثبت ضلالها، حسب رأيهما، فقضت عليها مسيحية التثليث والفداء قضاءً مبرماً. فالمسيحية تنظر إلى النصرانية على أنها هرطقة مرفوضة. فإذا ما تم التسليم برأيهما بأن الإسلام هو " نسخة متأخرة " عن النصرانية "المنحرفة" التي انقرضت يصبح أنه على المسلمين " الارتقاء " إلى مثل ما يدعو إليه الحداد والحريري وأمثالهما. ولم يدرك مفكرو هذه المدرسة أن المضي في هذا المخطط سلاح ذو حدين سيؤدي إلى عكس ما يُرادُ منه.

إن الإسلام ليس النصرانية، وليس المسيحية أبداً. وخلافه مع اليهودية أوضح من أن نحتاج إلى الإشارة إليه. وكتابي هذا يضع نقاط "الحقيقة" على حروف "العبث" ويفند الاستنتاجات المنحرفة التي توصَّل إليها الباحثان. لقد جرَّب كلاهما تطبيق أسلوب جزويتي (يسوعي) مُلْزِمٍ في منطقِهِ فإذا بهما يثبتان عدم إدراكهما لعقلانية الجزويت فأساءا إلى الحرص الجزويتي على المصداقية.

إن الإسلام أبعد ما يكون عن الانسجام مع العنصرية والدموية الكامنتين في صلب النصوص غير القويمة في التوراة. ولذلك لا مجال لأي لقاء بين ديانة سمحة وبين ديانة يدعو أتباعها إلى إبادة الآخرين. أما عدم كون الإسلام مسيحياً فسوف نذكره مع التنبيه على أن القواسم المشتركة واللقاء بينهما أكثر من أن يمكن حصرها. والأهم من تلك القواسم المشتركة هو أن الديانتين تدعوان إلى إنسانية شمولية لا تعصب فيها لعرق أو لقومية.

إن الحوار المنهجي الموضوعي بين علماء الديانتين هو المطلوب. أما أن يريد أي طرف إلغاء الحوار باسم الحوار ثم أن يفرض رأيه على الطرف الآخر متحصناً سلفاً بانغلاق مُحكم، فهذا مدعاة لتمزيق وحدة الأمة والوطن.

إني أدعو كل من يرى في هذا الكتاب نصيباً من الحقيقة ألا يقف متفرجاً أو صامتاً. إنه مطالب بأن ينشط في سبيل البحث عن الإخاء والوئام لئلا ينجح المغرضون في بث الفتنة.

د. سامي عصاصة

مقدمة

خلال الحرب اللبنانية، سيئة الذكر، كثر المغرضون الذين يصيدون في الماء العكر. فبدلاً من أن يلجأ المفكرون الصيادون إلى توظيف علمهم لتحاشي تصعيد الفتنة وللتنادي إلى رأب الصدوع التي تتهدد الأمة بفضح الدوافع السياسية والمغرضة لتلك الحرب، وكشف الدور الإسرائيلي اليهودي في إشعال أوارها، نجد أن بعضهم اغتنم الفرصة لإفراغ صدره من سويدائها فانساق وراء الهدف الإسرائيلي المعلن فأصدر كتباً تحمل المظاهر الأكاديمية، ولكنها تؤجج الخلافات بين الأديان وبين الطوائف. ولو نجحت هذه الفئات المضَلَلة والمضِلّة لنجحت إسرائيل في إقناع العالم بأنه لا تعايش في الشرق الأوسط دون تجزئته الى موزاييك من دويلات عرقية هزيلة لتصبح أضعف من أن تقف في وجه الفكر الصهيوني العدواني وتصبح مجتمعاتها مسحوقة تخدم أحلام اليهود المتطرفين في عدائهم للبشرية.

ظهرت أثناء الحرب اللبنانية كتب عديدة ضمن "سلسلة سُمّيت بـ " **الحقيقة الصعبة** " الصادرة عن دار مجهولة النسب اسمها: " **لأجل المعرفة** " نذكر منها:

قسّ ونبيّ: بحث في نشأة الإسلام، لأبي موسى الحريري. (يبدو أن عدة طبعات صدرت لهذا الكتاب. ولقد اعتمدنا طبعتي عام ١٩٧٩ و ١٩٨٥)

نبيّ الرحمة وقرآن المسلمين: بحث في مجتمع مكة، لأبي موسى الحريري.

عالم المعجزات: بحث في تاريخ القرآن، لأبي موسى الحريري.

أعربيّ هو؟!: بحث في عروبة الإسلام، لأبي موسى الحريري.

العلويون النصيريون: بحث في العقيدة والتاريخ، لأبي موسى الحريري.

بين العقل والنبي: بحث في العقيدة الدرزية، لمؤلفه أنور ياسين.

رسائل الحكمة: كتاب الدروز المقدس، أنور ياسين.

مصادر العقيدة الدرزية، لمؤلفه حامد بن سيرين.

وقبل انتشار كتاب قس ونبي ببضعة سنوات ظهر كتاب بعنوان رئيسي: "القرآن دعوة نصرانية" ومعه عنوان ثانوي: "في سبيل الحوار الاسلامي المسيحي"، بدون تحديد عام النشر أو مكانه. وورد اسم المؤلف على الشكل التالي: "الاستاذ الحداد" أي بدون ذكر الاسم الأول وكأنما أراد المؤلف التستر[1]. أما عام النشر فيجب أن يكون قبل عام ١٩٧٩ لأن أبا موسى الحريري أورد كتاب الأستاذ الحداد في قائمة مراجعه من طبعة ١٩٧٩. وأما المؤلف فقد كُشِفَ عن اسمه بعد وفاته وهو الأب يوسف درّة الحداد الذي توفي عام ١٩٧٩.

يبدو أن كتاب الحداد كان السند الأهم الذي اعتمد عليه الحريري. فالحداد بدا أكثر منطقية وأقل عدوانية من الحريري، وخاصة أنه يدعو إلى الحوار. لكن "خيط" التحامل لديه موجود ملحوظ. لذا يتمثل الهدف من إصدار كتابي هذا في الردّ عليه وعلى الحريري. أرد عليهما بروح علمية وإيجابية كمُفَكّرَيْنِ شديدي الاطلاع، وليس كدعاة لأي دين لأن طريقتهما في البحث لا تتصف بالموضوعية أو بالحياد أو بالعدل.[2]

كم يؤسفنا أننا لم نطلع إلا على الكتاب الأول من كتب الحريري فكتبه الباقية مفقودة من الأسواق. لقد سعينا إلى لوصول إليها من أي مصدر ممكن بل ومن صاحبها مباشرة فلم ننجح. بالطبع لم نسأل عن أبي موسى الحريري بشكل جدي لأننا شعرنا من أوائل المحاولات للاتصال به بأنه شخصية وهمية. ونحن الآن نعرف اسمه الحقيقي: الأب

---

[1] – وُلِد الأب يوسف درّة الحداد (١٩١٣ – ١٩٧٩) في مدينة يبرود الواقعة على مقربة من وسط الطريق الواصل بين دمشق وحمص تقريباً. درس اللاهوت وتخرج من إكليريكية القديسة حنّة (الصلاحية) في القدس. تحدث الأب جورج فاخوري البولسي عن أعمال الحداد مادحاً إياها. ولكنه لم ينس أن يتحفظ على مضمونها بذكره للشوائب التقنيّة التي جاءت فيها. (انظر صفحة ٢٨١ من الطبعة الثالثة لكتاب الحداد التي صدرت عام ١٩٩٣ القرآن والكتاب.)

[2] – علمنا من مرجع موثوق جداً بأن الكنيسة التي كان الحداد من أتباعها جمّدَت نشاطه في سنواته الأخيرة لأنها وجدت في كتاباته اقتباسات كثيرة من القرآن من شأنها أن تبلبل فكر الرعية أكثر مما تخدم الهدف المُتوخى من الكتاب. لقد كان الحداد كمن يتاجر بثلج الجبل. فلم يُرضِ البائع ولا الشاري. لقد أجهد نفسه في إبراز نصرانية الإسلام ومحمد و"جار" على الإسلام وعلى محمد، ولكن كنيسته لم ترض عنه.

جوزيف قزي. وكلمة "حريري" ترادف "قزي"، وهي رمز لحرير القزّ. لقد حاولنا الاتصال به على مدى أكثر من عامين من خلال أصدقاء يُفترض أنهم يعرفونه. ولكن الاتصال لم يتم مما دفعنا إلى المحاولة التالية:

في يوم العطلة بمناسبة عيد الجلاء انطلقت إلى مركز الكنيسة المارونية في باب توما بدمشق برفقة الصديق ألبير اليازجي وسلمت باليد الرسالة الآتية راجياً إيصالها إلى الأب جوزيف قزي في لبنان.

إلى الأخ الكريم الأب جوزيف قزي المحترم، دمشق١٧/٤/٢٠٠٢

بعد جميل السلام والتحية، لقد اطلعت قبل بضعة سنين على كتابك "قس ونبي" وقرأته آنذاك وقررت الإجابة عليه بعد إنجاز كتابي: "هل اليهودية التلمودية دين؟"

عدت لقراءة كتابك ووجدت فيه ما يستحق الاعتراض الشديد. وإني أتمنى لو يتم الاتصال بشخصك الكريم قبل أن أكتب عسى الحوار المباشر معك يؤدي إلى التقرب من الحقيقة. لذلك أرجو أن أحصل على جوابك الكريم لأتصل بك بدون وسائط.

مع أطيب التحية

عنوان المراسلة مع الهاتف والفاكس ، ثم توقيع – انتهت الرسالة.

من المؤسف أن هذه المحاولة المباشرة بقيت بدون جدوى مثل المحاولات الكثيرة الأخرى من خلال أصدقاء آخرين. لقد كنا نود الاطلاع على كتبه جميعاً لنستطيع تقويمها بدون محاباة وبدون جرح لشعور أحد لأن الهدف من كتابنا، وإن بلغ في بعض جوانبه بعض الحدة، هو إصلاح ذات البين وليس إفساد وئامٍ قاومَ الضغينةَ والحقدَ على مدى أربعة عشر قرناً.

ما إن انتشر كتاب " قسّ ونبيّ " حتى ظهرت بتاريخ الاثنين الواقع في ١٦ تموز ١٩٧٩ حتى يوم الجمعة الواقع في ٢٠ تموز ١٩٧٩ في صحيفة: "صوت العروبة" الصادرة في بيروت، مجموعة من المقالات بقلم "نجاد" ترد على كتاب أبي موسى الحريري. لم يكن ردّ "نجاد" على مستوى المسؤولية، ولكن له عذره في ذلك. فلا أجواء الحرب الأهلية اللبنانية آنذاك كانت تسمح بلهجة أكثر مرونة، ولا المساحة الصحفية الممنوحة له للرد كانت لتفي بالغرض. وإضافة إلى ذلك لم يتوفر له الزمن الكافي لإنجاز ما يجب أن يُقال.

كنا نتوقع قراءة ردود موضوعية غير انفعالية على كتاب الحريري فلم نُوفق إلا بكتاب رائع للأستاذ أحمد عمران الزاوي يحمل العنوان: "**الحقيقة الصعبة في الميزان**". وبكتاب متميز آخر للدكتور أسعد محمود حومد عنوانه: " **رداً على كتاب قس ونبي – دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب**." ووصلنا أيضاً منذ وقت قريب كتيب صغير بعنوان "**الإبيونيون وورقة بن نوفل والإسلام**." للأستاذ الزميل زياد منى يجيب فيه على زاوية محددة من كتاب الحريري.

يحيط عمران بكتاب قس ونبي إحاطة تكاد تكون كاملة شاملة. والدكتور حومد يردّ في القسم الأول من كتابه على الحريري ويشير إلى أن الكنيسة الرسمية شعرت "**بمخاطر تحول المسيحيين الموحدين إلى الإسلام فأخذت تعمل الفكر في وضع الخطط الكفيلة بأن تحول دون استمرار ذلك النزيف المهدد**." (حومد، صفحة ٧)[٣] بينما يتحدث في القسم الثاني عن "دعوة الإيمان في الأرض.

ولوجود زوايا أخرى تستحق البحث كتبنا هذا الكتاب لإسقاط الضوء عليها ولنكشف تحيز الحداد والحريري. إن قراءة كتابنا لا يغني عن قراءة الأستاذ عمران والدكتور حومد لأسباب متعددة منها أن لِصراعهما مع تشويهات الحريري لدى اقتباسه لآيات القرآن نكهة ممتعة تميزها الدقة.

لقد أنهك الأستاذ الحداد نفسه وحملها مشاق كبيرة في كتاب ضخم يتألف من سبعمائة صفحة بالإضافة إلى العديد من كتب تنحو ذات النحو مع تكرار كثير جداً ليثبت وجود قواسم مشتركة لا حصر لها بين الإسلام والنصرانية ذاكراً عدداً كبيراً من تعاليم الإسلام معيداً إياها إلى أصول نصرانية. لقد أرهق نفسه حقاً لإثبات ما هو معترف به ولا خلاف عليه. ويرشدنا الحداد إلى أن النصرانية نبعت من صلب اليهودية عندما آمن بعض اليهود بعيسى (ع.س.) ولكن انطلاقاً من أنه إنسان مولود من أب وأم. والحريري أيضاً أنهك نفسه كما فعل الحداد فجاء بمعلومات من أمهات الكتب ومن القرآن يثبت بها التشابه بين

---

[٣] – كتب د. حومد: "ولا يخفى علينا أنه تقوم اليوم في العالم المسيحي حركة نشطة للموحدين المسيحيين، تدعو إلى الأخذ بالتوحيد الذي جاء به المسيح وحواريوه، الأحد عشر، ولا ترى معنى للادعاء بأن المسيح ابن الله من دون سائر الخلق، وأنه مساوٍ للأب في الجوهر." (حومد، صفحة ١٥)

الإسلام والنصرانية. ونحن نسألهما معاً: ومن من المسلمين أنكر أوجه اللقاء التي لا حصر لها؟ ألم يجدا في صُلْبِ القرآن آياتٍ اقتبساها بأنفسهم تأكيداً واضحاً لتلك العلاقات الفكرية العميقة؟ فلماذا تعبا في إثبات أمور صرَّح عنها القرآن منذ ١٤ قرناً من الزمان؟

إن رحلة الرجلين الشاقة لإثبات أمور بديهية بارزة يعلنها القرآن والمسلمون طوعاً يدفع المرء لطرح سؤال قاطع في وضوحه: إن كان الإسلام هو النصرانية فلماذا لا يدخلانه؟ أما إن كان الإسلام شيئاً آخر يختلف عن النصرانية، وهذا هو الأمر الحق، فكان أجدر بهما بحث نقاط اللقاء بالإضافة إلى نقاط الخلاف بأمانة ثم الدخول في الحوار المنشود. أما أن ينحصر عملهما في إعادة الإسلام إلى دين أسبق لينكرا كونه ديناً ثم ليقولا بأن هذا هو منطلقهما لإجراء الحوار فهذا موقف غير سليم.

تَبدّى لنا عندما قرأنا كتاب أبي موسى الحريري للمرة الأولى أنه موضوعي أكاديمي. ولكننا اصطدمنا بعد إعادة القراءة، بعدد من النقاط أثبتت لنا عدم توفر حسن النية لديه وتبيَّنَ لنا أنه لا يبحث عن الحقيقة وإنما يريد إثبات وجهات نظر متحيزة محددة سلفاً تهدد الوئام بين مواطني الشعب الواحد. لن أحدد هنا نقاط النقد لأني أفضل أن يطلع عليها القارئ ضمن الظروف المناسبة التي دعت إليها. ولكني أشير منذ الآن إلى أن كتاب الحريري يتحدى شعور المسلمين ويستثير الأفئدة. وبالرغم من ذلك ليس المطلوب أن ينفعل أي قارئ وإنما أن يجنح إلى الاقتصار على معالجة الأمور بالتروي والحكمة.

لو اقتصر هدف الحريري على التهجم الموضوعي على مضمون الإسلام فلربما لم أكن لأكتب جملة واحدة في التصدي له لأن المضمون الإسلامي أقدر على الدفاع عن نفسه من دفاع رجل مثلي لم يتضلَّع في دراسة الإسلام بالشكل الذي يخوله التنطع لهذا الشأن. إني لم أقرر الإجابة عليه إلا لأن كتابه يدس الفتنة بين الناس، والفتنة أشد من القتل.

يستند الهيكل الأساسي لادعائهما على أن ورقة بن نوفل، ابن عم خديجة (ر) زوجة محمد (ص)، هو النبي الحقيقي الذي جعل من محمدٍ (ص) ما آل محمدٌ إليه. ولم يكن محمد (ص) أكثر من تلميذ ذكي تلقى النصرانية من ورقة وحضر ترجمة الإنجيل إلى قرآن. والاقتباس التالي من الحداد يبرز الهدف الأبعد بوضوح حيث يقول: "**أما الحقيقة**

الكامنة فيها جميعاً أن القرآن كله دعوة " نصرانية ". وقد "درس" محمد...هذه الدعوة مدة خمس عشرة سنة بعد زواجه من خديجة، ثرية مكة، على يد ورقة بن نوفل، قس مكة النصراني..." (حداد صفحة ١١) وكتب الحريري أيضاً: **"القس اختار محمداً وتبناه."** (حريري، صفحة ٦٥)

وفيما يلي نوجز النقاط التي استند إليها الكاتبان "لإثبات" ادعائهما:

- كان ورقة بن نوفل قس النصارى في مكة.
- النصرانية ليست هي المسيحية.
- أصل الإسلام هو النصرانية.
- النصارى هم أساتذة محمد (ص).[٤]
- الإسلام "اقتباس" أو "بِدعة" أو "ملة" من الملل النصرانية. ليس هو بدين قائم بذاته وإنما هو دين استند على النصرانية.
- ورقة بن نوفل هو الذي تنبأ بنبوة محمد (ص) واكتشف صلاحيته ليتتلمذ على يديه لقيادة النصارى من بعده.
- ليس القرآن كتاباً سماوياً لأنه مجردُ ترجمةٍ لـ "الإنجيل حسب العبرانيين" الذي يسمى أيضاً: "الإنجيل العبراني".
- ورقة بن نوفل، ابن عم خديجة (ر) زوجة محمد (ص) هو الذي ترجم الإنجيل العبراني فكانت الترجمة هي القرآن.
- ورقة هو الذي همس بالوحي في أذن محمد (ص). وما ان مات ورقة حتى توقف نزول الوحي إلى أن تمكن محمد (ص) من تدبير أمر استمراره.
- ولادة محمد (ص) ونشأته نصرانية. بل إن محمداً (ص) كان نصرانياً ابن نصراني وحفيد نصراني.

---

[٤] - "والنصارى هم أساتذة محمد في قراءة الكتاب وفي "تفصيل الكتاب" بالقرآن." (حداد، صفحة ٢٦٣)

- ورقة بن نوفل لازم محمداً (ص) طوال ٤٤ عاماً وعلمه وأرشده ودربه ليصبح خليفة له. (هذا هو ادعاء أبي موسى الحريري. أما الأستاذ الحداد فـ "فيختصر" فترة تلازم ورقة ومحمد (ص) ويكتفي بجعلها خمسة عشر عاماً.)
- ورقة علم محمداً (ص) الخلوة في غار حِراء.
- ورقة بن نوفل هو الذي خطط ودبر زواج محمد (ص) من خديجة (ر)، وهو الذي حبك شباك هذه الزيجة بالتآمر مع خديجة (ر) ومع أبي طالب، عم محمد (ص)، وهو الذي نفَّذَ الزواج حسب الأصول النصرانية.
- عبد المطلب، جد محمد (ص)، وأبو طالب، عمه، كانا من النصارى. بل إن أبا طالب "النصراني" كان، حسب رواية الكاتبين، ضالعاً في تخطيط مآرب ورقة بعد أن جنَّده كما جنَّدَ خديجة (ر).
- لم تكن مكة ذات غالبية وثنية في عهد محمد (ص) وإنما كانت مؤمنة موحدة وملآنة بالنصارى[٥].
- نهضة الحجاز الاقتصادية والحضارية كانت نتيجة لوجود النصارى هناك.
- ظلم المؤرخون المسلمون ورقة وطمسوا جهوده في صنع محمد (ص) والإسلام[٦]

وهناك نقاط أخرى أقل تحدياً سنناقشها بهدوء واتزان.

وخلاصة الزوابع التي يريد المؤلفان إثارتها في أفكار الأجيال المعاصرة تتلخص في أن ورقة بن نوفل كان كل شيء في حياة النبي. ولا يكتفي المؤلفان بمنح ورقة كل هذه الصفات وإنما جعلوه الزعيم الجبار والمخطط الذي كان قادراً على كل شيء بل جعلاه قادراً على أن يقول للشيء كن فيكون، كما سنوثق لاحقاً. وهذا ما لم يتوفر لمحمد (ص) ولا لعيسى (ع.س.) ولا لموسى ولا لإبراهيم. لقد جعلا ورقة بن نوفل فوق كل الأنبياء في مكانة يمكن أن نسميها "الله" لأن الله وحده هو الذي يقول للشيء كن فيكون. وهو

---

[٥] - يعلمنا الحريري عن "...وجود مناخ نصراني عام طغى على بيت محمد." (حريري، صفحة ٩٩)

[٦] - يفزع الحريري للظلم الذي أنزله المسلمون بورقة فيقول: "وهذا هو حق القس نؤديه إياه بعد أن سُلب منه على أهون سبيل. وما عدا ذلك إمعان في التضليل والجهل، ومدعاة للفشل الذريع." (حريري، صفحة ١٢٦)

الوحيد الذي يجوز وصفه بأنه على كل شيء قدير. وهذا ما يدعونا إلى القول بأن المبالغة في التحليق بالقس ورقة فوق كل الأنبياء أحرى بها أن تسيء إلى كيانه من أن تُزكيه. لقد أراد الكاتبان الرفع من شأنه لجعله خليقاً بأن يكون النبي الحقيقي وكاتب القرآن ولكنهما، بتضخيمه المفتعل، قتلاه ثانية ومزّقاه أشلاءً. لقد اضطرا لجعله بالغ العظمة ليصبح قادراً على " تصنيع " رجل دانت لعبقريته البشرية فإذا بهم يفجرونه من الداخل.

انطلاقاً من أنني أرفض هذه الادعاءات وأشجب صحة البناء الذي حاول المؤلفان ترسيخه في العقول سوف أسعى إلى تفكيك بنائهما لبنةً إثر لبنةٍ . وأؤكد ثانية أن شجبي للأقاويل لا ينطلق من التهجم على أحد وإنما من استنكاري لاستخدامهما لأفكار تصب في عكس التوجه الإنساني نحو الوئام والمحبة.

أحب أن أنبه القارئ الكريم على أني لست بصدد التصدي لأخطاء ارتكبها ويرتكبها مسلمون أو مسيحيون. فالأخطاء التي يقع فيها الإنسان كثيرة جداً. وإنما أبحث في الأسس وفي المبادئ.

ينقسم مضمون كتابي إلى جزئين وخاتمة. في الجزء الأول أفند ادعاءات الحداد والحريري. وفي الجزء الثاني أوضح عدم تطابق القرآن مع الكتاب المقدس بعهده القديم أو عهده الجديد وآتي بالقرائن الكافية على أن الإسلام ليس النصرانية ولا المسيحية وإنما هو دين يشتمل على كل قيمة فاضلة في الديانات الأخرى.

لمن هذا الكتاب؟

لقد شعرت بهجمة لا مبرر ولا سابقة لها في التاريخ على دين سمح ومعطاء يعرف قدره كل حكيم ونزيه إن اطلع عليه. والهجمة مغرضة وشرسة ولا تستند إلى أية عقلانية وإنما تسعى إلى تهييج مشاعر جموع من مختلف شعوب لا تعي ماذا تُحقن به من أكاذيب وتهاويل. أناس لم يجدوا في الإسلام سوى أحكام العقوبات الشرعية من رجم وقطع يد السارق رفعوها على أسنة حرابهم محاولين إدانة دين من خلال إبراز تجاوزات يرتكبها مسلمون. وكمثال على هذه الهجمة غير الإنسانية نأتي بمقالة وردت في صحيفة "نيويورك تايمز بتاريخ ٢٠٠٢/٧/٩ حيث اقترحت الكاتبة والمعلقة الرئيسية آن كاولتر "**يجب علينا**

غزو بلادهم وقتل قياداتهم وعلينا أن نجبرهم على اعتناق المسيحية."[7] أإلى هذه المسيحية يريدون منا أن نعود؟ إن هذه المسيحية التي ينفثها إعلام الولايات المتحدة ليست من ثمار أراضي الشرق العصماء، أرض الأنبياء.

إن كلام هذه الكاتبة "الرائدة" في أول صحيفة مؤثرة في الإعلام الأميركي يمثل مسيحية الغرب المتسيسة. هكذا هم الآن وهكذا كانوا أيام حروب الفرنجة وهكذا كانوا في أيام محاكم التفتيش. أما مسيحية بلادنا فهي شيء يختلف كلياً عما تصوغه مسيحية الغرب. ولن يقع المسلمون ولا المسيحيون في أوطاننا في المطبات التي يدبرها الآخرون. ألم يتحقق الإخوة المسيحيون في لبنان من عملية التوريط التي أوقعتهم فيها إسرائيل ثم تخلت عنهم بعد أن اكتفت من حملتها بتهييج العواطف بين طرفين أجدر بهما أن يتفقا ضد إسرائيل المستَعْمِرة؟

وقرائن أخرى تؤكد تعرض الإسلام لهجوم لا عقلاني شرس نجدها فيما قالته ثاتشر، رئيسة وزراء بريطانيا السابقة بعد انهيار الشيوعية من أن العدو التالي هو الإسلام. والرئيس الأميركي العبقري جداً، بوش الابن أعلن عن الحملة الصليبية التي ستستهدف الدول الإسلامية. لكن القرائن العملية التي تتصدى للمسلمين في عقر دارهم تتوضح من محاولات معروفة مكشوفة بالاسم والزمن لتنصير شباب المسلمين وشاباتهم عن طريق العطاء والسخاء ليعتنق المسلم المسيحية. ترى هل يدرك زعماء حملات التنصير مدى رخص أساليبهم؟ هل يعلمون بأن الأستاذ الفذ روجيه جارودي لم يعتنق الإسلام إلا بعد اكتمال قناعته بهذا الدين الإنساني البسيط بدون أن يتعرض لأي تبشير؟ وأمثال جارودي أكثر من أن نستطيع حصرهم في كتاب وإنما نقرأ عنهم وعن قصص إسلامهم في كتاب حديث للدكتور عبد المعطي الدالاتي بعنوان: "ربحت محمداً ولم أخسر المسيح". إنه كتاب سلس ممتع مفيد.

لم أكتبه ليقرأه المسلمون بالدرجة الأولى وإنما أتوجه به أيضاً إلى الإخوة المسيحيين الذين قد يتأثر موقفهم من الإسلام والمسلمين لدى قراءتهم لكتابات أمثال الحريري والحداد

---

7 - **"Ann Coulter, the columnist, suggested that "we should invade their countries, kill their leaders and convert them to Christianity."**

في وقت نحن أحوج ما نكون إلى التعاضد. ومن جهة أخرى لا أعتقد أن الحريري والحداد كتبا كتبهما من أجل توضيح صورة الإسلام أمام المسلمين ولا سعياً في تأليب المسلم على إيمانه. فمن يؤمن بفكرةٍ يصعب إخراجه عنها، بعكس من يغير دينه نتيجة لعمليات ابتزاز تستهدف المحتاجين للغذاء أو الدواء، وإنما كتباها ليقرأها الاخوة المسيحيون وكأنهما يطلبان منهم التنصل من وطنيتهم ومن الناس الذين يعيشون معهم منذ ١٤ قرناً وأن يتجهوا بأنظارهم نحو مدنية الغرب المتقدم. نحو مدنية لا شك في ثرائها الصناعي والعلمي والتي نعرف قدرها ونحترمها احتراماً كبيراً. ولكن ماديتها وابتعادها الشاسع عن القيم والأخلاق لا يجعلها قبلة لمن يريد لهذه البشرية العدالة والخير. إنها هي التي تحتاج إلى روحانية الشرق وأخلاقه، والأجدر بها أن تسعى إلى تدعيم قيم الشرق الخيرة وليس إلى أن تهدم أسسها بأن تصدر إليها حضارة المادة ورأس المال[٨] والجنس والانفلات وزواج الشاذين والشاذات والأثرة التي ليس لها حدود. فهل باب النجاة في اتباع الغرب؟ لو كان الغرب المسيحي يعطف على المسيحيين في العالم الثالث عموماً أو في الشرق الأوسط خصوصاً لما تعامل مع كل الدول المسيحية في أميركا الوسطى والجنوبية بالطريقة المقيتة التي نعرفها حيث جعلت الولايات المتحدة منهم جمهوريات ذليلة خانعة تزرع الموز والقهوة بأرخص التكاليف فيصدرها الأميركيون لصالحهم بأعلى الأسعار، ولما تعامل هذا الغرب مع مسيحيي فلسطين إلا بالإيجابية التي كانت ممكنة بدعم منحهم السيادة على القدس بدلاً من أن يصمت، بل يغذي المحاولات الإسرائيلية للسيطرة عليها.

يبدو أن الغرب يسعى لاستخدام أفراد قلائل من مسيحيي المنطقة ليحقق من خلالهم مآرب ليست في صالح الوئام. ولولا وعي الأكثرية المسيحية الساحقة في الوطن العربي لسياسة التفريق التي نكتشف آثارها في كتاب مثل "قس ونبي" لكان للشرق مشهد يختلف كل الاختلاف عما نشاهده في الواقع. إن وعيهم الوطني وشعورهم الصحيح بأنهم يشكلون جزءاً أصيلاً من جذع المجتمع في الأمة قادر على كشف أية انحرافات. هذا مع العلم أن

---

٨ – سيكون موضوع كتابنا المقبل: "جنون رأس المال وحتمية سقوط الرأسمالية؟"

العناصر التي يسعى الغرب لتجنيدها لخدمة مآربه لا تقتصر عليهم وإنما تشمل أفراداً من كل شرائح الأمة بلا أي تمييز.

إني لست بخائف على الإسلام من أن يجتاحه أي معتقد آخر. فإن كانت مسيحية العصر الحاضر، التي لا تمت إلى أصالة دين عيسى (ع.س.) وتعاليمه بصلة قوية[٩] والتي تعتبر أن معقل قوتها يتمركز في الغرب الجبار وفي الولايات المتحدة المتغطرسة لم تنجح حتى الآن في تنصير دول العالم الثالث الضعيفة المعرضة لأعنف أنواع الابتزاز بالرغم من حملات التبشير المنظمة ومن سياسة الغرب في إثارة النعرات وتأليب الأقليات، والتلويح بالعطاء والسخاء لكسب الأتباع ولتهديم أسس التعايش، وبالرغم من كل التقدم "التمدني" والعسكري والعلمي، فإننا نستنتج أن العد التنازلي لسيطرة الجبروت الغربي على الحق والعدالة قد بدأ. وعندما نشهد كيف أن الإسلام ينتشر في الشرائح المتحضرة والمتميزة من مواطني الغرب بدون تبشير وإنما نتيجة لدراسة متعمقة رائدها العقل، فإننا نستنتج أن تعاليم الإسلام تستحق الحياة وخاصة عندما يتخلى المتزمتون المسلمون عن مواقعهم المتصلبة فيوسعوا انفراج باب الاجتهاد.

وحتى لو توقعنا نظرياً نجاح المتآمرين على الإسلام في سيطرتهم على العالم لرأينا الإسلام سيتفجر من صلب معاقل من يريدون للإسلام السوء.

وسبب أساسي آخر للكتابة هو الرغبة بالرد على تطاول الحريري والحداد على الإسلام وعلى التاريخ. لقد شرح الحريري هدفه من كتابه مبتدئاً بالفقرة التالية:

"المقصود هو البحث عن هوية القس ورقة بن نوفل، وعن صلته بالنبيّ محمد بن عبد الله. والنتيجة هي إظهار ما أخفاه التاريخ عن نشأة الإسلام وحقيقته وعلاقته بالنصرانية. ولن تمرّ بالبال قط أية محاولة للتقارب بينهما. تلك المحاولة المستمرة التي ضلّت الحقيقة وعطلت العقول. إنها محاولة فاشلة وضالة ومُضلّة، مع كونها تدعو إلى الوئام والإلفة والسلام. هي فاشلة لأنها لم يتوفر لها النجاح يوماً، وهي ضالة لأنها تبنى

---

[٩] - **يقول الحريري: "فلا هذه النصرانية التي يأخذ بها مسيحيو اليوم هي تلك التي كانت في أيام القس والنبي، ولا هذا الإسلام هو ذاك الذي دعا إليه كل من القس والنبي"** (حريري، صفحة ٥)

على أسس غير صحيحة، وهي مُضلة لأن المقصود منها كل شيء سوى حقيقة الدين. (حريري، صفحة ٥)

يدفعنا النص إلى التساؤل: هل يلحظ الحريري كيف أوقع نفسه في الفخ الذي نصبه لمحمد (ص) ولكل هؤلاء الحريصين على تآخي المسلمين والمسيحيين؟ إن الشطط الفكري والتناقض، بل التناقضات التي اكتشفناها في كتابه تستحق أن يعيد النظر بها بنفسه منطلقاً من أخوة بني الإنسان ومن ضرورة البحث عن نقاط التعايش بين الإسلام والمسيحية وليس البحث عن عوامل التضاد . لا نطالب أبا موسى الحريري بذلك من باب الاستجداء للأخوة، وإنما من قناعة تملكتنا وتملكت كثيرين من المسيحيين الذين يدينهم الحريري بشجبه الحاسم لسعيهم نحو التوفيق. فبينما تتجه قناعتنا إلى الإنسان والسلام والخير نجد أن ديدن الحريري هو البحث المتخبط عن وسائل لتفكيك الأوصال وبث الفتنة ومنع الإخاء.

إن الحكم على محاولة تقارب الإسلام بالنصرانية بأنها "**فاشلة لأنها لم يتوفر لها النجاح يوماً**"، خاطئ من أساسه ويشير إلى تناقض الحريري البيّن مع نفسه: فمضمون كتابه بجملته يطالبنا بأن نؤمن بأن أصل الإسلام هو النصرانية. لقد أقرَّ الحريري في مسلمته الأولى بوحدة الأصل مع الفرع وأصرَّ علينا أن نتبعه في رأيه هذا. فكيف يتحدث عن وحدة الأصل ثم يقول أن لا لقاء بينهما؟ أليس الأجدر به البحث عن نقطة المفصل حيث بدأ التباعد لمداواة أصل العلة ؟ وكيف يسمح لنفسه أن يعطينا باليد الواحدة ما يسعى إلى منعنا من استخدامه باليد الأخرى. إن وجود مسلمين ينتسبون إلى ديانة غير النصرانية يعني بالضرورة وجود فوارق بين أتباع الديانتين. ولكن البحث المبرمج عن بذور الشقاق بينهما والجزم بأن محاولة استشفاف نقاط اللقاء بينهما هو عمل ضالّ مضلّ، هو في ذاته عمل لا يمكن أن يمت إلى دين المحبة بأية صلة. فدين المحبة يسعى جاهداً إلى تقريب وجهات النظر وليس إلى العكس. ولذلك فمن يبحث عن الذرائع التي تؤدي إلى تفسيخ المجتمعات يصعب أن يعتبره المرء من أصحاب أي دين.

نعود للاقتباس السابق حيث نجد: "**لن تمر بالبال أية محاولة للتقارب بينهما**" لنجده فسَّرها بعد أسطر قليلة بقوله: "**فلا هذه النصرانية التي يأخذ بها مسيحيو اليوم هي تلك**

التي كانت في أيام القس والنبي، ولا هذا الإسلام هو ذاك الذي دعا إليه كل من القس والنبي". إننا لا نجد غضاضة في قبول هذا الرأي مع التحفظ الشديد على الفكرة القائلة بأن ورقة دعا إلى أي دين. ولكن لو أقررنا بذلك تجاوزاً فماذا يمنع البحث عما يؤدي إلى الوئام والمحبة؟ إن حَدَثَ تصدُّعٌ بين معتقدين فهل من الأسلم التسليم بالتصدع والاستمرار في طريق التفرقة أم السعي نحو رأبه؟ إن الجهد الذي يحتاج إليه البناء وصيانته صعب. أما التخريب فسهل المنال. لكن التعايش يستحق أن يبذل الإنسان من أجله جهداً كبيراً.

ربما يقصد الحريري من قوله أن فشل تقريب العقيدتين ينبع من استمرار وجودهما معاً دون أن تسيطر إحداها على الأخرى. وربما يرفض فكرة التقريب بين المعتقدين رغبةً منه في أن تبتلع الواحدة الأخرى. والجواب على ذلك هو أن الإسلام لو اتبع في عصور بأسه نهج الإسبان في الأندلس تجاه المسلمين أيام محاكم التفتيش لما كان ثمة نصارى في مناطق السيادة العربية المسلمة. فالإسلام هو الذي يعتبر عيسى (ع.س.) نبياً بينما لا تعترف المسيحية بالإسلام وبمحمد (ص). فهل هذا هو الموقف المنطقي السليم؟

أما قول الحريري بفشل محاولات التقريب وضلالها بالرغم من "**من كونها تدعو إلى الوئام والالفة والسلام**" فهو اعتراف ثابت على الحريري الذي يحث المسيحيين (وربما المسلمين أيضاً) العاملين لتحقيق الوئام الكف عن تلك المحاولات. إن مجرد اتخاذه لهذا الموقف هو تصرف لا يمت إلى الإنسانية بصلة. فإن كانت النصرانية والإسلام يسعيان معاً إلى هذا الكم الضخم الشامل من قيم الخير فلا يجوز أن يمنع لقاءهما أية فوارق في التفاصيل الدينية. إذ ماذا يوجد من قيم بعد الوئام والالفة والسلام؟

ما هي النصرانية؟

لا يمكن فهم كتابَيِ الكاتبين ولا كتابنا إن لم نطلع على تعريف النصرانية الأقرب إلى الدقة. ولذلك نورد التعريف المناسب استناداً إلى اقتباسات من الحداد حيث حدد موقع النصرانية من اليهودية ومن المسيحية. يقول الحداد: "**لقد حصر القرآن الأمة الهادية العادلة من قوم موسى، التي بهداها يجب على النبي أن يقتدي، بالطائفة من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح. وهي أمة "النصارى" في لغة القرآن ولغة الإنجيل.**

والنصارى، في عرف القرآن، هم حصراً الطائفة من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح. فهم اليهود النصارى..." (حداد، صفحة ١) وبعد صفحة واحدة كتب الحداد:

"فالأمة الواحدة التي يشيد بها القرآن والتي ينتمي إليها محمد ومن معه من المتقين العرب، ليست اليهودية التي تكفر بالمسيح وأمه، وليست المسيحية، التي "تغلو في دينها" بالمسيح وأمه، بل الأمة "النصرانية"، "أمة من قوم موسى يهدون بالحق وبه يعدلون" ، "طائفة من بني إسرائيل" آمنت بالمسيح فصارت مع الحواريين أمة "النصارى"، أنصار الله والمسيح." (حداد، صفحة ١٥)

لا يمكن للنصراني حسب تعريف الحداد إلا أن يكون يهوديَّ الأصل. فمن هو من أصل يهودي واعترف بالسيد المسيح وبرسالته فهو نصراني. أما الإنسان الذي يؤمن برسالة السيد المسيح من جميع شعوب الأرض فلا يجوز تسميته نصرانياً.

الأحوال السائدة في الحجاز قبل الإسلام

نبدأ رحلتنا بوصف المجتمع الحجازي قبل الإسلام ثم ننتقل إلى التدقيق في شخصية ورقة بن نوفل منذ ولادته حتى وفاته.

تعلمنا منذ نعومة أظفارنا أن الجاهلية هي التي كانت سائدة قبل الإسلام. وبمجيئه انتصر دين الحق فتم تحطيم الأصنام فكرياً وعملياً وانتشر الإسلام، خاتم الأديان التوحيدية مع التأكيد على اعترافه باليهودية والنصرانية باعتبارهما ديانات سماوية كما أكَّدَ احترامه لكل أنبياء الديانات الأخرى.

إن ظهور ديانة جديدة أو معتقد جديد يحصل غالباً نتيجة لانحراف في المجتمع وتوفر فورانٍ وغليان فكري فيه[١٠]. فإذا ما بحثنا في أسباب الغليان وجدنا أنه ينبع إما من عدم توفر العدالة الاجتماعية بين الناس مما يؤدي إلى فوضى وإلى غياب الأمان وانتشار الفقر

---

[١٠] – يقول الحداد في "القرآن والكتاب، صفحة ١٧٢: **"فموقف محمد من أديان شبه الجزيرة تصفه هذه الآية التي توحّد في الإسلام بين الحركات الدينية الثلاث التي كانت تتطاحن في مكة والحجاز..."** نحن نأتي من الحداد بالاقتباس الذي يثبت التطاحن في الحجاز لندحض المقولات الأخرى التي أوردها هو والحريري من أن الوحدانية والإيمان كانا مستتبين في مكة. وبذلك يبرز تناقضه مع نفسه.

والمرض والجوع، وإما نجده نابعاً من اختلاف الآراء ومن تبلبل المعتقدات المنتشرة بين هؤلاء الناس. وقد ينبع من أسبابٍ تشمل العاملين معاً. وظهور الديانة يتطابق مع مشيئة الله. فاللهُ أعلمُ حيث يجعل رسالته.

لقد توَّج الإسلام صراعات كانت تدور بين الأخلاقية الحنيفية الموحدة وبين فئةِ عبدةِ الأوثان الذين كانوا يمثلون الوزن الطاغي في مكة من جهة وبين عدد بسيط من جماعة نصرانية لا تؤمن بالثالوث وترفض فكرة كون عيسى (ع.س.) ابن الله، وبين مسيحيين مقيمين حوالي منطقة الحجاز تابعين للقسطنطينية يؤمنون بالثالوث وبأن عيسى (ع.س.) هو ابن الله من جهة أخرى. ويهيمن على كل تلك الاتجاهات وجود تيار يهودي في يثرب راسخ الجذور يتربص بكل هؤلاء الدوائر ليحصرها في إطاره، وليسيطر عليها حسب ما تضمنته التوراة المحرفة من مبادئ وتعاليم كثيرة لا تمت في معظم أسسها إلى الإنسانية الشمولية بأية صلة.

يميل العديد من المستشرقين إلى إعادة ظهور الإسلام إلى أن محمداً (ص) أدرك الأثر السيء بل القاتل لتلك الانقسامات على وحدة شرائح المجتمع فوجد أن الحل الأسلم يكمن في صهرها معاً في معتقد جديد يحترمها ويجاملها بقدر ما تحويه من قيم الخير. ويقولون بأنه أخذ من النصرانية وعدل في بعض تعاليمها وطالب مسيحيي التثليث عدم الغلو في تفسير معتقدهم وأخذ من اليهودية أيضاً بعد أن ألغى منها عنصريتها وما لا يتفق مع التسامح والمساواة المعروفين عن الإسلام وعن عيسى بن مريم (ع.س.). ولكنه أخذ من الوثنية موقفاً لا مجال فيه لحل وسط فأصر على رفضه البات للشرك.

مشكلة المستشرقين هؤلاء في ادعاءاتهم تكمن في أنهم يعتبرون محمداً (ص) صانع الإسلام ولا يعترفون بأنه وحي من الله.

نعم إننا نرى أن قسماً كبيراً جداً من المبادئ الدينية التي جاء بها الإسلام مشترك مع تعاليم كلتا الديانتين. وهذا أمر طبيعي طالما أن المصدر الإلهي واحد. مع ملاحظة أن آثار المسيحية غير المتعصبة أكثر تمثيلاً في الإسلام من آثار اليهودية. فالحقد اليهودي على كل من هو غير يهودي، أي على كل البشرية دونما استثناء، ونقضهم للعهود جعل الإسلام ينفر منهم محاولاً اجتذابهم، بالمنطق وبالحسنى وبالترغيب والترهيب، إلى نظرة

إنسانية تشمل كل الأمم. ولكن عندما رفضوا صوت الإنسانية الشاملة واستعصوا على كل نقاش عقلاني غير متعصب لم يجد مناصاً من محاربتهم.

لا شك في أن وجود أفكار توراتية كثيرة في مختلف التفاسير يبدو ليؤيد وجود تقاربٍ إسلاميّ أكثر مع اليهودية وخاصة أن التفاصيل القصصية في أدب التفسير تنحدر من أصل توراتي. وتعليل كثرة التفاصيل التوراتية في تفسير القرآن يمكن إرجاعها إلى عاملين مختلفين: إن من أسلم من اليهود عن إيمان صادق برسالة الإسلام صار قادراً على التبحر في شرح بعض النصوص القرآنية استناداً إلى ما قد تراكم لديه من معلومات من التوراة. أما العامل الآخر فهو نابع من أعمال التحريف التي مارسها من تظاهر من اليهود بالإيمان في حين أنهم لم يؤمنوا حقاً وإنما من أجل تجويف الإسلام والمسيحية من الباطن.

إن الإسلام والمسيحية يدعوان إلى المسالمة بين كل بني الإنسان ولا ينسبان لشعب بعينه صفة شعب الله المختار. ويردّ البعض من خصوم الإسلام بأنه نفسه يتعالى مثل اليهود على الآخرين حين يدعي بأن أمة المسلمين هي خير أمة أخرجت للناس. ولكنهم لو أنصفوا وأمعنوا قليلاً في المقولتين لبرؤوا الإسلام من هذه التهمة. فأمة الإسلام لا تقتصر على العرب وإنما انصهر وما زال ينصهر في بوتقتها بدون تحامل وبدون تمييز عنصري أتباع من كل شعوب الأرض. وكل من أسلم تساوى مع أي مسلم آخر من أي أصل كان. وإن تصرف بعض العرب في بعض حقبات التاريخ بما يخالف هذا المبدأ يجعلهم مخالفين للإسلام. فلا يجوز إدانة الإسلام بجريرة عناصر خرقت تعاليمه في بعض مراحل التاريخ!

أما أن يقول أتباع دين شمولي غير متعصب بأنهم خير أمة على وجه الأرض فهذا لا يضير الدين وخاصة حين لا يفرض نفسه على أحد. صحيح أن الإسلام يرفض المجتمعات التي لا كتاب لها، أي التي لا تدين بدين له تعاليم مكتوبة ولكنه لا يفرض نفسه فرضاً قسرياً على أي مجتمع يمكن اعتباره من أصحاب الكتاب. إن حكم الاسلام بمحاربة مجتمعات الكفرة إن لم ينتسبوا إلى دين له كتاب يحتاج إلى تعريف المجتمعات التي ليس لها كتاب ويتطلب تحذيراً من إطلاق كلمة كافر بشكل عشوائي. فكم من مجتمع على سطح الأرض يعيش حسب نظم حكيمة تُحتذى، دون أن يكون لها كتاب. فلو أمعنا في

تعاليم مثل هذه الديانات لوجدناها خالية من العدوانية وتدعو إلى الخير. ولذلك فهي ذات كتاب. وكم من مثال في التاريخ يثبت أن الحكام المسلمين رفضوا هدم دور عبادة لمتدينين بديانات أخرى ليس لها كتاب. ومرة أخرى نقول بأنه إذا كان قد بدر من حاكم مسلم ما يتعارض مع ذلك المبدأ فلا يجوز الطعن بالإسلام لهذا السبب لأن إدانة الإسلام لمثل هذا الحاكم الظالم واضح صريح. فتعامل الإسلام مع الكفار فيه عدالة ومنطق لأنه يطلب منهم تبني أي دين له كتاب ليصبحوا في أمان.

ورقة بن نوفل

تحاشى كل من الأستاذ الحداد و"الأب" الحريري إيراد نبذة متكاملة عن حياة ورقة بن نوفل بالرغم من أن هذا الأمر يشكل حجر الزاوية في كتبهما. لقد تَعمَّدا ذلك عن سابق عزم لأن إلقاء نظرة دقيقة عليها تبرز الاهتزاز والتحوير في الاستنتاجات التي خلصا إليها.

"هو القس ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، ابن عم خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، زوجة النبي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، فيكون قصي الجد الثالث لورقة وخديجة، والجد الرابع لمحمد.." (حريري، صفحة ١٣)

ولد ورقة بن نوفل في العام ٥٠٨ ميلادية وتوفي في عام ٦١١ أي أنه عاش مائة وثلاث سنوات[١١].

ديانته

ليس من السهل تبني رأي قاطع في أمر ديانة ورقة. لكن الأمر الثابت حول هذه النقطة هو أنه كان وثنياً يعبد الأصنام، ثم اعتنق اليهودية ثم النصرانية ثم "علَّم" محمداً (ص) الإسلام حسب ادعاء الحداد والحريري. وبالتوازي مع اعتناقه لكل هذه الأديان جعله

---

[١١] – هناك اختلاف طفيف حول عمر ورقة بن نوفل إذ يقول البعض إنه عاش مائة وأربعة أعوام.

الحريري إبيونياً وحنيفاً ومتحنثاً[12] انطلاقاً من أن التعابير الثلاثة تعني شيئاً واحداً. وسنناقش هذا الموزاييك الملون من الآراء في خضم هذا الكتاب.

لنقرأ الاقتباس التالي حول ورقة المأخوذ من أمهات الكتب:

"حدثني يحيى بن عروة عن أبيه أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش بن رئاب وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيدا كانوا يعظمونه وينحرون له الجزور ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه فدخلوا عليه في الليل فرأوه مكبوبا على وجهه فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله فلم يلبث أن انقلب انقلابا عنيفا فأخذوه فردوه إلى حاله فانقلب الثالثة فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك فقال عثمان بن الحويرث: ماله قد أكثر التنكس إن هذا لأمر قد حدث وذلك في الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عثمان يقول أيا صنم العيد الذي صف حوله صناديد وفد من بعيد ومن قريب تنكست مغلوبا فما ذاك قل لنا أذاك سفيه أم تنكست للعتب فإن كان من ذنب أتينا فإننا نبوء بإقرار ونلوي عن الذنب وإن كنت مغلوبا ونكست صاغرا فما أنت في الأوثان بالسيد الرب..."[13] (البداية والنهاية، ج ٢ ص: ٣٤٠)

نستنتج من هذا التوثيق أن قناعة ورقة بالوثنية تزعزعت يوم ولادة محمد (ص) أي بعد مضي ستين عاماً من عمره.

وفي السيرة الحلبية صفحة ١١٦ من الجزء الأول نقرأ عن انقلاب الصنم ليلة ولادة محمد (ص):

---

[12] - التحنث كلمة مرادفة للتحنف. نقرأ عند الحريري أن محمداً: **"كان يتحنث فيه، [غار حراء] أي يتعبد فيه الليالي ذوات العدد مع أيامها."** (حريري، صفحة ٤٢)

[13] – وجاء الحديث عن هذه الواقعة في ابن كثير ج ١ صفحة ٣٥٥ – ٣٥٨ مع ملاحظة وجود أربعة أبيات شعرية قالها عثمان بن الحويرث في السخرية من الصنم والأصنام. أنظر أيضاً توثيقاً آخر لدى الزرقاني ج ٥ صفحة ٢٤٣ – ٢٤٤، وفي ابن عساكر ج ١ صفحة ٣٥٢، وانظر أيضاً سلوى الطاهر "أول سيرة في الإسلام" صفحة ٧٠ – ٧١)

"وذكر أن نفراً من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن جحش كانوا يجتمعون إلى صنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكساً علىٰ وجهه فأنكروا ذلك فأخذوه فردوه إلى حاله فانقلب انقلاباً عنيفاً فردوه فانقلب كذلك الثالثة..."

ونقرأ في موضع آخر من السيرة الحلبية، ج ١ صفحة ٢٠٢:

"أن زيد بن عمرو هذا هو رابع أربعة من قريش فارقوا قومهم فتركوا الأوثان والميتة وما يذبح للأوثان كانوا يوما في عيد لصنم من أصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به في ذلك اليوم فقال بعضهم لبعض تعلمون والله ما قومكم على شيء لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم فما حجر تطوف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا في البلاد يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم وظاهر هذا السياق أن تركهم للأوثان كان بعد عبادتهم لها"

وفي مصدر آخر نقرأ:

"وكان زيد قد أجمع الخروج من مكة ليضرب في الأرض يطلب الحنيفية دين إبراهيم فكانت امرأته صفية بنت الحضرمي كلما رأته تهيأ للخروج أو أراده آذنت به الخطاب بن نفيل وكان الخطاب وكلها به وقال: إذا رأيتِه هم بأمر فآذنيني به. ثم خرج يطلب دين إبراهيم ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فجال الشام كلها حتى انتهى إلى راهب بميفعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم فقال إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين إبراهيم الحنيفية فالحق به فإنه مبعوث الآن هذا زمانه وقد كان زيد شام اليهودية والنصرانية فلم يرض منها شيئا فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه." (الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله، ج ١ صفحة ١٩٨)

ويوجد صورة أخرى لهذا الحدث:

"ومن خبره في ذلك أنه خرج في الجاهلية يطلب الدين هو وورقة بن نوفل فلقيا اليهود فعرضت عليهما يهود دينهم فتهود ورقة ثم لقيا النصارى فعرضوا عليهما دينهم فترك ورقة اليهودية وتنصر وأبى زيد بن عمرو أن يأتى شيئا من ذلك وقال ما هذا إلا كدين قومنا تشركون ويشركون ولكن عندكم من الله ذكر ولا ذكر عندهم فقال له راهب إنك لتطلب دينا ما هو على الأرض اليوم فقال وما هو قال دين إبراهيم قال وما كان عليه إبراهيم قال كان يعبد الله لا يشرك به شيئا ويصلي إلى الكعبة فكان زيد على ذلك حتى مات." (الاستيعاب ج: ٢ ص: ٦١٦)

نكتشف من مجموعة الاستشهادات السابقة كيف قفز الحريري قفزة واحدة، ولكنها جبارة لينفث في عقولنا رسوخ ورقة في النصرانية حتى العظم. لقد تجاهل الحريري ستين عاماً من حياة ورقة الوثنيه وكأنها لم تكن وغاب عنه أن وثنيته تشير بقوة إلى وثنية المحيط الذي كان يعيش فيه من أقاربه ومن رفاق دربه المذكورين في الاقتباسات وغيرهم. فالأجواء النصرانية لم تكن طاغية على قريش في مكة كما يريد أن يقنعنا به الحريري والحداد. بل إن الحداد ناقض نفسه بنفسه فاعترف بذلك عندما كتب: **"وتوسع محمد في الدعوة. ومال إلى بني إسرائيل أكثر فأكثر. لم يجد النصرة الكافية عند المسيحيين في بلاده وخارجها لدعمه في دعوة قومه إلى التوحيد الخالص، لأن نفوذهم في الحجاز كان محدوداً ولأن المسيحيين كانوا فيه جاليات قليلة."** (القرآن والكتاب، صفحة ١٦٤) وكتب في الصفحة ١٦٨ من ذات المرجع كلاماً أكثر مباشرة: **"لم يجد محمد في انتمائه إلى النصارى في أول العهد بمكة سنداً على هداية قومه، لقلة صولتهم في الحجاز وخصيصاً في مكة."**

والحريري أثبت اطلاعه على ما جاء في أمهات الكتب حول وثنية ورقة وتقلبه بين مختلف الأديان:

"كان على دين موسى ثم صار على دين عيسى...أي كان يهودياً ثم صار نصرانياً." (حريري، صفحة ١٦)

"كان أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية، وطلب الدين، وقرأ الكتب، وامتنع عن أكل ذبائح الأوثان." (حريري، صفحة ١٨)

"كان رابع أربعة تركوا الأوثان والميتة وما يذبح للأوثان." (حريري، صفحة ١٨)

والمستغرب في طريقة الحريري في البحث أنه أخذ هذه الجملة الأخيرة بالذات من السيرة الحلبية دون أن يتممها كما جاء في الأصل. فالجملة التالية تماماً لتلك التي قرأها واقتبسها تتحدث عن قصة ورقة مع انقلاب الصنم ثم قراره القيام برحلة البحث عن الدين. فهل اعتاد الحريري أن يقرأ أنصاف الجمل بانتقائية مغرضة ويبني عليها ما يحلو له؟

ونتعلم مما سبق أن ورقة عندما هجر الوثنية ورحل مع زيد بن عمرو ورفاق آخرين يبغون اكتساب دين إبراهيم التقى باليهود فتهود بينما بقي زيد في حالة عدم الرضى ولم يقنع باليهودية. وبعد ذلك التقيا النصارى فهجر ورقة اليهودية بكل بساطة وتنصر. أما زيد، فقد أبى الاقتداء بورقة ورفض التراجع عن المبدأ الذي وضعه نصب عينيه. فلا بد من أن الطبيعة اللينة لورقة كان ينقصها عمود فقري يثبتها على موقف. لقد كان أكثر ميلاً للإذعان والتأقلم مع ما يُعرض عليه. وعلمُهُ لم يكن من السعة لأنْ يدفعه إلى التحقق مما يُعرض عليه من عقائد. فترك الوثنية بعد مشاهدته الصنم المقلوب، وغادر اليهودية بسهولة ليعتنق النصرانية، إن كان حقاً قد تنصر. أما زيد بن عمرو فكان يعرف ما يريد ولم يقتنع بأول من اعترض سبيله، وحافظ على الخط الذي استنه لنفسه رافضاً لليهودية وللنصرانية معاً.[١٤] لقد شجب زيد اليهودية والنصرانية ولكنه استمر على عقيدة التوحيد. وأصبح ابنه سعيد بن زيد من بعده من أقرب صحابة محمد (ص).

وفي غمار تمجيد الحريري والحداد لورقة بن نوفل كصاحب الوحي المحمدي نستقرئ ما كتبه الحداد بقلمه عن المصلحين الموحدين العرب قبل محمد (ص). لقد عدَّد بعضهم بالاسم تعداداً وكتب عن بعضهم الآخر نبذة توجز بعض نشاطهم. فذَكَرَ هؤلاء:

أرباب بن رئاب، سويد بن عامر المصطلقي، عمير بن جندب الجُهَني، عدي بن زيد العيادي، أبو قيس صرمة بن أبي أنس، عامر بن ظرب العدواني، عبد الطابخة بن ثعلب

---

[١٤] – نقرأ في طبقات ابن سعد: **"قال زيد بن عمرو بن نفيل: شاممت [يمعنى: تشممت فحوى] النصرانية واليهودية فكرهتهما فكنت في الشام وما والاه حتى أتيت راهباً في صومعة، فوقفت عليه، فذكرت له اغترابي عن قومي وكراهتي عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية."** (طبقات ج ١ صفحة ١٦٢)

بن وبرة بن قضاعة، علاف بن شهاب التميمي، زهير بن أبي سلمى، خالد بن سنان بن غيث العبسي، عبد الله القضاعي، عبيد بن أبرص الأسدي، كعب بن لؤي بن غالب القرشي.

أما من حظي باهتمام أكبر من قبل الحداد فتناولهم ببعض الشرح، منهم:

قس بن ساعدة الإيادي وخصه بـ ٢٩ كلمة من الشرح

أسعد أبو كرب الحميري. وخصه بـ ٣٢ كلمة من الشرح

المتلمس بن أمية الكناني وخصه بـ ٤٠ كلمة من الشرح

سيف بن ذي يزن وخصه بـ ٤١ كلمة من الشرح

صرمة بن أبي أنس وخصه بـ ٦٦ كلمة من الشرح

وكيع بن سلمة وخصه بـ ١١٧ كلمة من الشرح

زيد بن عمرو بن نفيل وخصه بـ ٢٧٠ كلمة من الشرح

أمية بن أبي الصلت وخصه بـ ٤٩٣ كلمة من الشرح

أما ورقة بن نوفل فقد ذكره الحداد وخصه بـ ٢٣ كلمة فقط لا غيرا!

وفي الصفحة ٢٧٢ من ذات المرجع أورد الحداد فقرة كاملة عن الموحدين العرب قبل محمد (ص) ذكر فيها بعض من ذكرناهم ولكن دون أن يضع بينهم ورقة بن نوفل على الإطلاق.

نصرانيته

حول كونه قساً نصرانياً أو صاحب منصب كنسي توجد نظريات متباينة. يقول الباحث الأستاذ أحمد عمران الزاوي الذي اطلع على تاريخ ورقة بن نوفل أنه **"درس الكتب السماوية وتبحر في علومها حتى عُرف "بالقس" أي: لم ينل هذا اللقب بسياقة كهنوتية، ولم يقم بأية خدمة دينية وبالتالي لم يكن كاهناً."** واقتباس آخر من الزاوي يقول: **"إن الشهادات المعتمدة لا تشير هي ولا غيرها بأية إشارة إلى (قسوسية ورقة) بل تحدثت عنه باسمه المجرد عن اللقب والمنصب اللاهوتي...فمن أين جاءت هذه القسوسية؟"..."ليس في هذه الشهادات أو سواها ما يفيد أن ورقة كان يضع كتاباً خاصاً**

أو يؤلف قرآناً. وإذا صحّت المراجع التاريخية، بل إذا أخذناها دون اعتراض فإن ورقة كان يترجم. والترجمة لم تكن تعني أبداً – قديماً وحديثاً – هجران الأصل وتغييره، إنْ في الموضوع أو الأسلوب أو الهدف." (عمران، صفحة ٩٠)

ونجد أن الحداد نفسه يشكك بنصرانية ورقة فيكتب: "**وورقة بن نوفل...الذي ربما تنصر.**" (حداد "القرآن والكتاب"صفحة ١٤٥) وفي ذات المرجع كرر الحداد تشكيكه في نصرانية القس: "...**ورقة بن نوفل، ابن عم خديجة، ذاك الحنيف المتنصر (؟) الذي ترجم الإنجيل ...**" (الحداد، القرآن والكتاب، صفحة ١٤٩) (نشير هنا إلى أن إشارة الاستفهام التي تشكك بنصرانية ورقة وردت في كتاب الحداد تعبيراً عن عدم قناعته في نصرانية ورقة.)

وبالمقابل هناك استشهادات أخرى تدعم فكرة تنصره، ولكن مع تحفظ. ففي فصل يحمل العنوان: "**تصرانية القس ورقة**" من كتاب الحريري نقرأ:

"**لقد قيل عن القس ورقة انه كان على دين موسى، ثم صار على دين عيسى عليهما الصلاة والسلام، أي كان يهودياً ثم صار نصرانياً.**" (حريري، صفحة ١٦) لننتبه مبدئياً إلى استخدام كلمة " **قيل** "! لأنها على مسؤولية من قالها، وهو مجهول فلو كانت نصرانيته مؤكدة لما جاز استخدام "**قيل**" التي تشير إلى الشبهة أكثر مما تفيد صحة المقولة.

وبعد أن يمر الحريري على كون ورقة يهودياً مرور الكرام نجده يطيل الكتابة ويسهب عن حياة ورقة النصرانية ويأتي بما يعتبره إثباتات على ذلك وعلى انتشار النصرانية في مكة عموماً وفي مختلف فروع قريش خصوصاً. ولا يكتفي بالإصرار على نصرانية ورقة وإنما يعلمنا بـــ "...**أن الإسلام لا يختلف عن النصرانية بشيء، بل هو النصرانية عينها، يعتقدُ معتقدَها، ويقيم كتبها، ويدعو دعوتها، ويتّبع أصولها، ويؤمن إيمانها، ويرفع شعائرها، ويسير بموجب شريعتها.**" (حريري، صفحة ١٠٩)

ورقة الإبيوني النصراني المتحنث المتحنف

بالرغم من تشكيك الحداد الواضح بنصرانية ورقة نجده والحريري يبذلان كل جهد لإثبات أنه نصراني وإبيوني ومتحنف ومتحنث قافزين على هذه التعابير قفزاً بهلوانياً

عجيباً. إنهما يبنيان قولهما على أن الحنيفية هي التحنث وهي الإبيونية وهي النصرانية. والنصرانية هي الإسلام!. ولكن نظرة علمية مدققة تثبت خطأ هذا الادعاء. فكل من الإبيونية والنصرانية والتحنث والتحنف يختلف عن الآخر. وكل منها يختلف عن الإسلام.

يقول الحداد: "**إن التحنف أو التحنث، أو التعبد في الصوم والخلوة، عادة نصرانية**".(حداد، صفحة ٢٨٩) ثم يوثق لنا في ذات الصفحة بالاستناد إلى ابن الأثير أن عبد المطلب كان أول من تحنث في حراء. إذن فالتحنث عادة جديدة نسبياً ولا علاقة لها بالنصرانية التي كانت قبل عبد المطلب بمئات السنين.

يكتب الحريري حول ذات الموضوع:

"**إلا أن نصرانية القس ورقة ... تختلف على ما يبدو عن نصرانية مقررات مجمع أورشليم المنسوبة إلى يعقوب الرسول. فنصرانية يعقوب تؤمن بألوهية المسيح وببنوته لله، وتحتكم بأحكام الإنجيل وتعاليمه، وتعتقد بصلب عيسى وقيامته من بين الأموات، في حين أن نصرانية القس ورقة وزملائه تنكر ألوهية المسيح وبنوته لله إنكاراً مباشراً، وترفض قيامته وصلبه رفضاً قاطعاً، وذلك، على ما يظهر، تبعاً لشيعة في النصرانية معينة انتمى لها القس ومعظم قبيلة قريش واعتنقوها وأقاموا فرائضها وموجباتها، وهي الشيعة الإبيونية.**" (حريري، صفحة ١٩)

نسجل على الحريري ادعاءه بأن معظم قبيلة قريش إبيونية. وهي نصرانية كما يؤكد على الصفحة ١٩ من كتابه. وسنتحاور بعد قليل مع هذا الادعاء الأعوج.

ونلاحظ من النص إقرار الحريري بأن نصرانية القس تختلف عن نصرانية يعقوب. بل إن الفارق يكفي للفصل بين عقيدتين تماماً. إنه يتكلم عن نصرانيتين بينهما فروق أساسية حددها لنا بنفسه. فكيف يدعي بأن الإبيونية هي الحنيفية" هذا مع العلم بأن الفارق المذكور ليس الوحيد وإنما يوجد فروق أساسية أخرى نأخذها حرفياً من كتاب الحداد حيث يقول:

"**فالإبيونية تنكر خطيئة آدم، لكن النصرانية تقول بخطيئته وتوبته مثل القرآن**". (حداد، صفحة ١٢٣)

والإبيونية تقول "**بمولده الطبيعي من أب وأم كسائر البشر**" بينما "**حافظت النصرانية على الإيمان بمولده المعجز من أم بتول لم يمسها بشر**"[١٥] المقصود مولد عيسى ابن مريم (ع.س.)! فكيف يتحدث الحداد عن إبيونية هي النصرانية وهي الحنيفية في وقت واحد ليستنتج بعدئذ أنها الإسلام أيضاً؟

وهناك فوارق أخرى معروفة. فالإبيونية لا تعترف بكون السيد المسيح مخلصاً وفادياً.

وفضلاً عن ذلك فإن الإبيونية عقيدة ظهرت بعد الحرب السبعينية بعد الميلاد وانقرضت في القرن الخامس ميلادي.

ولقد تتبع الإبيونيون مبدأ: طوبى للفقراء، وطلب من أتباعهم بيع ممتلكاتهم ليوزعوا ثمنها على الفقراء. بينما طالب الإسلام بأن يتمتع المسلمون بالحياة وبالمال وبالبنين، زينة الحياة الدنيا.

والطلاق في الإبيونية حق للرجال فقط بينما تستطيع المرأة في الإسلام اللجوء إلى القضاء لطلب الطلاق. فكيف يُجمل الحريري كل ذلك فيجعل الجميع ديناً واحداً هو النصرانية؟

إننا نجد أن الحريري يعتبر الحنيفية انحرافاً عن دين مسيحيي التثليث. ولذلك أعطاهم المسيحيون لقب "التحنف" فاحتفظوا به وافتخروا به. وعند هجرتهم إلى الحجاز "**أطلقوا دعوتهم للنصرانية باسم الحنيفية وسموا التعبد والصيام على طريقتهم: التحنف.**" ولكن هذا أمر لا يستقيم! فقد هاجر المسيحيون بعد وفاة السيد المسيح. فكيف يطلقون على أنفسهم اسم الحنيفية التي يصعب أن تكون نصرانية ما دام أن عبد المطلب الوثني كان أول من تحنف وتحنث حسب الاستشهاد الذي استعان به الحداد؟ (حداد، صفحة ٢٨٩)

ويبدو أن الحداد استخدم منطقاً لا ندركه أو أنه لم ينتبه إلى أنه نسف بنفسه أسس نظريته في مسلماتها الأولى عندما حاول إثبات أن التحنث هو التحنف والتنصر والإسلام. فبينما نجده في كل كتابه يتبنى هذا الرأي نجده في موقع مميز من كتابه

---

[١٥] - (من الحداد، صفحة ١٢٣)

"القرآن والكتاب" يمنحنا الدليل القاطع الساطع على أن الحنيفية لا يمكن لها أن تكون الإسلام أو النصرانية أو اليهودية. فهو يقول: **ولكن هناك جماعة من العقول المستقلة أبت أن تقبل اليهودية والنصرانية كما هما، بل اكتفت بعبادة الله لا شريك له مع اتباع عادات قومهم، واتخذوا لهم إماماً قبل الإنجيل والتوراة، إبراهيم الخليل، "كليم الله"، "أب الآباء" الذي كان على أصل التوحيد الكتابي المنتشر في العالم والجزيرة.**

وهؤلاء أطلق عليهم الشعب لقب "حنفاء" لميلهم عن دين العامة...والمسعودي يسمي الجماعة "أهل الفترة" بين المسيح ومحمد حسب الآية "على فترة من الرسل." (حداد، القرآن والكتاب، صفحة ١٤٢)

وكتب خليل عبد الكريم عن الأحناف: "**إنهم مجموعة من الحكماء سَمَتْ نفوسهم عن عبادة الأوثان ولم يجنحوا إلى اليهودية أو النصرانية...**" (خليل، صفحة ٢٢٧)

ويشير خليل إلى أسباب قناعة الباحثين برفض الحنفاء لليهودية والمسيحية فيقول: "**أما نبذهم للأولى فهو واضح لا يحتاج إلى شرح إذ أنها ديانة منغلقة وليست تبشيرية نشطة وكان هم أتباعها منحصراً في الأنشطة المالية والتجارية، أما عدم إقبالهم على الأخرى وإعراضهم عنها فله دواع كثيرة، منها أن المسيحية ملّة معقدة مليئة بالأسرار ولا تتناسب مع العقلية العربية البسيطة...**" (خليل، صفحة ٢٢٨)

لقد اعترف الحداد بشريحة من الأمة ذات "**عقول مستقلة**" رفضت النصرانية واليهودية. فكيف غامر بكتابةِ كتبٍ يقول فيها إن القرآن دعوة نصرانية إن كانت الحنيفية شيئاً آخر ؟ ألم نرَ كيف درس زيد بن عمرو بن نفيل اليهودية والنصرانية ثم المسيحية فرفضها' بل كرهها[١٦]، استناداً إلى منطلقه الفكري؟ وقد تكون ظاهرة ثانوية ولكن ذات مغزى أن ابنه أصبح فيما بعد من أقرب صحابة محمد (ص) ؟

من الواضح إذن أن تعابير اليهودية والنصرانية والإبيونية والتحنث والتحنف والإسلام يعني كل منها معتقداً مغايراً للآخر مع التشديد على أن التحنث والتحنف ما هي

---

[١٦] – **لدى لقاء زيد بن عمرو بن نفيل الراهب في بلاد الشام قال: فذكرت له اغترابي عن قومي وكراهتي عبادة الأوثان واليهودية والنصرانية."** (طبقات ابن سعد، صفحة ١٦٢)

إلا توجهات وممارسات أخلاقية وأدب في التعامل الإنساني أكثر منها عقائد أو أديان. وقد اتبعها فئة من صفوة المستنيرين والحكماء من تلك المجتمعات وليس عامة الشعب.

ويقول الحداد بأن "**اقتران التحنف باسم قس مكة، ورقة بن نوفل، برهان على نصرانيته.**"

ولكننا إذا ما أخذنا ما كتبه عن الحنيفية بعين الاعتبار لتساءلنا: لماذا ليس العكس هو الصحيح بأن كونه حنيفياً ينفي نصرانيته؟

وكذلك يدعي الحداد بأن ممارسة عبد المطلب لصيام رمضان دليل على نصرانيته ونصرانية حفيده محمد (ص) معه. لنعكس هذه المقولة استناداً إلى كون عبد المطلب وثنياً. فإن كان يصوم رمضان وهو على الوثنية، ولقد كان وثنياً، فهذا دليل قاطع على أن رمضان لم يكن قط شهر صوم نصراني.

ورقة رئيس النصارى

من المفيد التذكير بما كتبه أحمد عمران الزاوي من أن كلمة " قس" كانت مجرد لقب وليس لها علاقة برتبة القس الكنسية. ونذكّر بأن الحداد شكك بنصرانية ورقة في موضعين من كتابه "القرآن والكتاب". أما الآن فنتابع الإحاطة بالحريري فنكشف التزييف الذي اقترفه حين ربط كلام محمد (ص) عن ورقة مع القول بأنه قس النصارى:

كتب الحريري:

"**قيل عن ورقة بن نوفل إنه "كان قساً. والقس رئيس النصارى.**" (حريري، صفحة ٣٠)

ويستند الحريري في نقله للنص إلى السيرة الحلبية [١٧]. ولكن ما جاء في السيرة هو شيء آخر. ولإثبات ذلك نورد نص السيرة قبل أن يشوهه الحريري، ونلجأ إلى التمييز بين كلام مختلف المتحدثين لإدراك عملية السطو الفكري:

---

[١٧] – **والحداد يؤكد أيضاً "...أن ورقة بن نوفل، قس مكة، كان على مذهب النصارى من بني إسرائيل. فهو على سبيل الحصر قس "النصارى" بمكة. والذين يلتفون حوله، من عبد المطلب، جد محمد، إلى أبي طالب، عم محمد، إلى عبد الله، والد محمد، إلى السيدة خديجة (ر)، ابنة عمه، إلى محمد نفسه الذي يدور في فلكه قبل مبعثه، كانوا كلهم "نصارى."** (حداد، صفحة ٣٠٣)

"فلما توفي ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير" أي والقس بكسر القاف: رئيس النصارى، وبفتحها: تتبع الشيْ.[18] هذا وفي القاموس: القس مثلث القاف: تَتَبُّعُ الشيء وطلبه كالتقسس، وبالفتح صاحب الإبل الذي لا يفارقها، ورئيس النصارى في العلم." (السيرة النبوية صفحة ٤٠٣)

نريد أخذ الجمل الأساسية الثلاثة مفصولة عن بعضها:

١ - "فلما توفي ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

٢ - "لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير"

٣ - أي والقس بكسر القاف: رئيس النصارى، وبفتحها: تتبع الشيْ. هذا وفي القاموس: القس مثلث القاف: تتبع الشيء وطلبه كالتقسس، وبالفتح صاحب الإبل الذي لا يفارقها، ورئيس النصارى في العلم."

فالكلمات: **"قيل عن ورقة بن نوفل انه "كان قساً. والقس رئيس النصارى"** هي كلمات الحريري التي ادعى أنها الاقتباس من السيرة.

وكلمات الجملة رقم (١) هي كلام ابن هشام، وكلمات الجملة رقم (٢) هي كلام محمد (ص) حصراً ما عدا كلمتي: "يعني ورقة" التي هي شرح بقلم ابن هشام. والجملة رقم (٣) هي أيضاً شرح من ابن هشام حول معنى كلمة قس في اللغة العربية.

---

[18] - في مجال استخلاص معانٍ من النصوص ليست فيها وجدنا أن الحداد اقتبس مما يسمى تجاوزاً السيرة المكية ما يريد به إثبات أن القس هو رئيس النصارى فيكتب: **"وتنقله أيضاً السيرة المكية: "لقد رأيت القس – يعني ورقة – وعليه ثياب الحرير – والقس بفتح القاف وكسرها: رئيس النصارى."** والحداد لا يحدد الصفحة مما اضطرنا إلى بحث طويل فوجدنا أن الموقع المقصود هو هامش الصفحة ١٦٢. والنص الأصلي هو: **رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير والقس بفتح القاف وكسرها رئيس النصارى."** من ناحية المبدأ لا يوجد سيرة مكية. فالهامش على السيرة الحلبية هو تفسير كتبه الشيخ أحمد زيني دحلان، مفتي الشافعية في مكة قبل أقل من ١٥٠ عاماً. فهو مفسر حديث ولا علاقة له بأية سيرة. ولقد أخطأ المفتي دحلان الاقتباس بقوله: بفتح القاف وبكسرها لأن الأصل القديم موجود وليس فيه هذا الكلام. وفضلاً عن ذلك رجعنا إلى القاموس المحيط للفيروزآبادي طبعة ١٩٨٦ صفحة ٧٢٩ فلم نجد المعنى الذي استنتجه الحداد أبداً. ولا يخفى عن أذهاننا أن الحداد عندما جاء بكلام دحلان وضع كلمتي: "يعني ورقة" بين معترضتين مما يؤكد معرفته واطلاعه على أن هاتين الكلمتين ليستا من كلام محمد.

فما كتبه الحريري ونسبه إلى السيرة بأن ورقة "**كان قساً**" لا وجود له في المصدر أبداً ! إنه مزيف دخيل لا يعدو كونه استنتاجاً شخصياً يُستخدم لتحقيق هدف غير سليم. والجملة الثانية التي نسبها إلى السيرة: "**والقس رئيس النصارى**" لا وجود لها في سيرة ابن هشام! فهي مزيفة أيضاً، وخاصة عندما نلاحظ أن تتمة كلام صاحب السيرة لا يجزم بكون كلمة قس بفتح القاف أو بكسرها وإنما يترك الأمر مفتوحاً في أكثر من اتجاه. والشرح الذي جاء به صاحب السيرة عن المعنى في القاموس يثبت بما يقطع الشك عدم الأخذ النهائي بمعنى كلمة قس على الشكل الذي ذكره الحريري. ولذلك نجتهد بالقول بأن كلمة قس، كما وردت هنا، هي مجرد لقب، كما قال أحمد عمران الزاوي. ويؤيد اجتهادنا كلام الحداد عندما شكك في أكثر من موضع من كتاباته بنصرانية ورقة. ونرى أيضاً توثيقاً لعدم قسوسية ورقة نظراً إلى أن نشاطاته المذكورة في الكتب لا تنم على القسوسية بوصفها مرتبة دينية بحال من الأحوال فضلاً عن شرحنا في مكان آخر أن صيرورة الوثني السابق ورقة قساً على نصارى مكة مع وجود قس آخر في مكة ذاتها هو عداس النينوي، يجعل من الموضوع أحجية صعبة الحل أكثر مما يجوز اعتبارها حقيقة.[١٩]

ونحن نؤكد أننا لسنا بصدد تجريح ورقة بن نوفل، فهو كريم بريء مما يلصقه به الكاتبان، وإنما نفند التضليل والتزييف.

---

[١٩] – زكّى محمد ورقة إذ قال: " **لا تسبوا ورقة ...لأنه آمن بي وصدقني.**" محمد: "**لو كان من أهل النار، لم تكن عليه ثياب بيض**" إذن فمحمد جزم بعدم إسلام ورقة وليس العكس. ولو كان ورقة مسلماً لكان حديث محمد عنه مغايراً كلياً. لقد عبر عن احترامه لورقة مثله مثل آخرين احترمهم محمد وزكاهم ولكنه لم يبرزه ولم يضعه في مكانة تبرر الادعاءات التي أوردها الحداد والحريري عنه. وجدير بالذكر ونحن نتكلم عن موقف محمد من القس أن محمداً زكَّى أمية بن أبي الصلت الذي استحق الجنة بالرغم من أنه لم يسلم وإنما اختلف مع محمد. ودور أمية بن أبي الصلت أكبر بكثير من دور ورقة لأن أشعاره مرصعة بعبارات إسلامية المضمون قبل الإسلام. وكان محمد يطلب من الحفظة إلقاء أشعار أمية على مسامعه ويعجب به ويعلن عن هذا الإعجاب. وكذلك كان موقف محمد من زيد بن عمرو الذي قتل قبل الإسلام. ولنوثق ذلك باقتباس عن ابن هشام حيث كتب: **وحدث أن ابن سعد بن زيد و عمر بن الخطاب، وهو ابن عمه، قالا لرسول الله: أنستغفر لزيد بن عمرو؟ قال نعم، فإنه أمة لوحده.**" (أخذناها عن :"دراسات تاريخ الجزيرة العربية – الكتاب الثاني صفحة ١٧١ وهو أخذها عن ابن هشام، السيرة ج ١ صفحة ٢٤٠) لقد أنصف محمد رفاق دربه كما أنصف خصومه المعلنين فلماذا لا يعطي من هم أقرب منهم حقهم ويتحدث عن إيجابياتهم لو كان هناك ثمة إيجابيات مميزة تُذكر؟

فتور الوحي

هناك جملة فريدة اقتبسها الحريري والحداد من البخاري تشكل حجر الزاوية في محاولتهما لانتشال ورقة بن نوفل من عزلته التاريخية لتنصيبه نبياً في العصر الحديث، وهي: "**ولم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.**" (الحريري، صفحة ٥٣)

إنهما يضعان الجملة أمام ناظرتينا ليفهمانا إياها على الشكل التالي: "وما إن توفي ورقة الذي كان يهمس بالوحي في أذن محمد (ص) حتى توقف النزول إلى فترة غير محددة بدقة وإنما تتراوح بين عدة أشهر وسنتين." ومن ذلك يستنتج الكاتبان أن القرآن ليس وحياً من الله وإنما من صياغة ورقة. ولكن لماذا يربط الكاتبان موت ورقة بفتور الوحي؟ إن استنباط "السببية" بين وفاة ورقة وانقطاع الوحي استناداً إلى هذه الجملة لا يستقيم. فكل سياق الكلام في حديث عائشة لا يوحي بها. لنقرأ معاً النص الكامل للاقتباس بتأنٍ:

"**فانطلقت به [بمحمد (ص)] خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى – ابن عم خديجة – وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى" "فأخبره رسول الله (ص) خبر ما رأى" فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جَذَعاً، ليتني أكون حياً إذ يُخرِجُكَ قومُك. فقال رسول الله (ص) "أومُخْرِجِيَّ هم؟" قال نعم، لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عودِيَ، وإن يُدرِكْني يومك أنصُرْكَ نصراً مؤَزَّراً. ثم لم يلبث ورقة أن توفي، وفتر الوحي.**"

لنحاول استحضار الصورة التي تُستوحى من الاقتباس لاستقراء مضمونها لنرى، مبدئياً، أن سؤال ورقة لمحمد (ص): "**يا ابن أخي ماذا ترى؟**" هو "**..دليل على عدم وجود التواطؤ بين الاثنين لإخراج هذه الرواية، ودليل على أن ورقة كان جاهلاً بما يجري لمحمد (ص).**" (عمران، صفحة ١٤٦)

إن الجو العام للحديث الذي سادَ بين محمد (ص)، الفائرةُ نفسهُ من الحدث الكبير بلقائه مع جبريل وبين رجل حكيم، "متقاعد"، أعمى وأصم، قابعٍ في بيته لا يسمع سوى ما ينقله الآخرون إليه يدل بقوة على أنه كان بعيداً عن مثل هذه الأجواء. فلا يبدو أنه كان يحيط بماذا يحدث حوله، ولا يعطي انطباعاً بأن محمداً (ص) كان على اتصال وثيق دوريٍّ به. لقد طرح سؤاله على محمد (ص) لأنه ليس على علمٍ بأحواله ولا على صلة تلازمية معه. وفوجئ بجواب محمد (ص)!! لأنه لو كان على علم به لما طرح السؤال. وبإعراب ورقة عن استعداده لدعم محمد (ص) دعماً قوياً إن كُتِبَ له أن يعيش يعبر عن معرفته بأن حالته الصحية وهو في المائة من العمر أسوأ من أن تسمح له بالمؤازرة. ولذلك استرسل قائل الحديث أو كاتبه، عائشة أو البخاري، أو كلاهما معاً، في أن ورقة لم يلبث أن توفي فلم يتمكن من مؤازرة محمد (ص). أما كلمتا "وفتر الوحي" فلا ارتباط ملزم بينها وبين ما سبقهما. ويؤيد ذلك ما كتبه ابن حجر العسقلاني في كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري حيث قال: "**والواو في قوله وفتر الوحي ليست للترتيب، فلعل الراوي لم يحفظ لورقة ذكراً بعد ذلك في أمر من الأمور فجعل هذه القصة انتهاء أمره بالنسبة إلى عمله لا إلى ما هو واقع.**" (فتح الباري، صفحة ٤٠)

لو كان الوحي جاء من ورقة أو من ترجمته للإنجيل العبراني لما انقطع الوحي عن محمد (ص) ما دام هو مترجماً موجوداً. فإقرار الحريري بأن ورقة ترجم الإنجيل خلال الخمس عشرة سنة الأخيرة من عمره **بحضور محمد (ص)** ينفي ضرورة وجود ورقة حياً ليستمر محمد (ص) بإنزال الآيات على أقساط. أما إذا كان ورقة همس في أذن محمد (ص) ذلك الوحي على مدى ثلاث سنوات الأخيرة من عمره وهو أعمى وأصم ثم توقف عن الإيحاء فهذا شطط فكري. فلو كان الأمر كذلك لاختلف الأسلوب القرآني لغوياً وبلاغياً بشكل ملحوظ قُبيل وبُعيد عهد القس. وهذا ما لم يلمس له أثراً أي باحث مدرك للغة العربية ولإعجاز القرآن. ونضيف إلى ذلك تذكيراً بما أثبتناه من أن آيات القرآن كانت تنزل حسب مناسبات كانت تحصل طوال سني النبوة أو بوصفها إجابات على أسئلة دينية طارئة تختلف من حالة إلى حالة مما لا يمكن للقس أن يكون تنبأ بحدوثه.

والوحي لم يفتر بعد وفاة ورقة وإنما مرت عدة حالات من هذا النوع مثل الواقعة عندما تساءلت خديجة (ر) مستغربة عدم استمرار نزول الوحي لنستنتج أن جبريل "أهمل محمداً (ص). (قلاه). يقول الطبري:

"ثم أبطأ عليه الوحي فقالت له خديجة ما أرى ربك إلا قلاك (أي أهمل شأنك) قال فأنزل الله عز وجل والضحى والليل إذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى." (تاريخ الطبري، ج ١ صفحة ٥٣٢)

ونقرأ في "الخصائص الكبرى"

وفتر الوحي فترة فحزن رسول الله فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا لكي يتردى من رؤوس شواهق[٢٠] الجبال كلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدى له جبرائيل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا مثل ذلك فتبدى له جبرئيل فقال مثل ذلك" (الخصائص الكبرى، ج ١، صفحة ١٥٦)

لننتبه إلى أن كلا الاقتباسين لا يشير إلى أية علاقة بين فتور الوحي ووفاة ورقة. وسنوثق بعد قليل أن الفترة الأطول لفتور الوحي استمرت سنتين خلال حياة ورقة. فالفتور لم يبدأ بوفاة ورقة ولم يقتصر على فترة لاحقة مباشرة لوفاته وإنما تكرر مرارا قبل وفاته وبعدها. فلماذا التقط الحريري حادثة واحدة غير ثابتة فتفرد بها استفراداً لإثبات باطلٍ أراد أن يقنعنا بصحته؟

لنتطرق الآن إلى نقطة شديدة الحساسية وثقها عدد من المستشرقين الذين تعمقوا في الإسلام ابتداء بما كتبته المستشرقة الإنكليزية المعروفة عالمياً: كارين آرمسترونغ

---

[٢٠] – في كراس صغير احتوى على تنبيهات من الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي بعد قراءته المتأنية للكتاب أشار إلى الروايات التي تتحدث عن أن محمداً (ص) همّ بأن يرمي بنفسه من شواهق الجبال فكتب: **" روايات السيرة التي تذكر أن النبي (ص) همّ أكثر من مرة أن يتردّى من رأس الجبل حزناً وغماً لانقطاع الوحي عنه، روايات ضعيفة في أسانيدها، وقد اغتر البعض بورود إحدى هذه الروايات في البخاري، فاعتبروها صحيحة، والتحقيق يبين أنها ليست على شرط البخاري وإنما هي من بلاغات الزهري."**

(Karen Armstrong) حيث قالت: **بعد نزول النصوص الأولى من الوحي سادت فترة من الصمت ودامت مدة سنتين. وكانت هذه الفترة مدعاة للإحباط الشديد. فبعض المؤرخين المسلمين نسبوا إلى محمد رغبة منه بالانتحار. فلقد تساءل: هل وُجِّهَ إلى طريقٍ خاطئ؟ أو هل وجده الله غير صالح لحمل الرسالة فتخلى عنه؟ وكان الصمت لا يُحتمل تقريباً. ولكن السورة الثالثة والتسعين،[٢١] سورة الضحى، نزلت تحمل تأكيداً مشرقاً."** ثم أوردت المستشرقة آرمسترونغ نص السورة كاملاً.(آرمسترونغ، صفحة ١١٦ /١١٧)

لقد تعمدنا إيراد ما قالته المستشرقة المسيحية الغربية في كتابها: "**محمد، مؤسس دين ودولة**" لأنها ألقت على موضوع انقطاع الوحي أسطع ضوء ومحقت بشهادتها مقولة الحداد والحريري دفعة واحدة. ففترة انقطاع الوحي دامت سنتين كان ورقة خلالها ما زال على قيد الحياة! وبدأ الفتور بعد الآيات الأولى ثم "صمتَ" ورقة. واستمر "الصمت" عامين ولم يبق في عمر القس سوى عام واحد. فهل هو الذي توقف عن "إمداد" محمد (ص) بالوحي خلال سنتين ثمينتين من عمره ومن عمر الدعوة ؟ ما السبب المحتمل لتوقفه عن همس الوحي؟ هل عادت صحوته من المرض والصمم والعمى وهو في الأشهر الأخيرة التي سبقت وفاته؟

وهناك كاتب بريطاني آخر هو مارتن لينجز (Martin Lings) كتب عن فتور الوحي بعد نزول بشائره الأولى فقال: "**بعد فقرات الوحي الأولى جاءت مرحلة من الصمت جعلت النبي يخشى أن يكون قد تسبب في تخلي السماء عن تأييده.**[٢٢]..**وأخيراً انكسر صمت السماء وجاء تأكيد جديد بنزول سورة الضحى.**" (لينجز، صفحة ٤٥) وبما أن سورة الضحى نزلت في حياة ورقة تترسخ صحة الخبر أن مدة الفتور الطويلة التي أثارت القلق والشكوك كانت في حياة ورقة وهذا ينفي أي دور له في همس أي وحي كان.

---

[٢١] – نشير إلى أن رقم الآية ٩٣ لا يعني أنها نزلت بعد ٩٢ آية نزلت قبلها. فترقيم السور لم يتم حسب تاريخ النزول.

[٢٢] – بمعنى أنه خشي أن يكون قد قام بتصرف جعل السماء تتخلى عنه.

بدأ نزول الوحي بسورة "العلق" ثم "القلم" ثم "المزمل" ثم "المدثر" ثم "الفاتحة" ثم "المسد" ثم "التكوير" ثم "الأعلى" ثم "والليل" ثم "والفجر" ثم توقف الوحي مدة سنتين ثم نزلت "والضحى".

أما الكاتب الفرنسي مكسيم رودينسون (Maxime Rodinson) فبَيَّنَ أيضاً أن مرحلة فتور الوحي التي أقلقت محمداً (ص) وخديجة (ر) كانت في مراحل الدعوة الأولى بقوله: **"وبعد أن ألِفَ محمد الفكرة بأن قدره سيكون مميزاً شعر بالخوف من أن اعتقاده هذا لا أساس له. والسبب الأول الذي أثار لديه الشك في أن الله تخلى عنه هو توقف الوحي الإلهي لمدة من الزمن."..."وكان اضطراب محمد كبيراً ونُسب إليه قوله: "لقد فكرت بأن أرمي بنفسي من صخرة في أعالي جبل" حراء."** (رودينسون، صفحة ٧٦)

والمستشرقة الأستاذة أنجيليكا نوي فيرت (Angelika Neuwirth) أكدت "**أن السورة رقم ٩٣** [سورة الضحى] **تعتبر من أوائل النزول.**" (نويِ فيرت، صفحة ١٨٢)

إن هذا الكلام يؤكد عدم وجود أية علاقة سببية بين ورقة وبين همس الوحي في أذن محمد (ص) وفتوره. وكيف يكون صاحب الوحي إن كان قد فوجئ بلقاء جبريل مع محمد (ص)؟ هل تآمر ورقة، وهو أعمى وأصم وفي المائة من العمر، مع محمد (ص) وأمره بأن يذهب إلى غار حراء ويعود ليقوم بهذه المسرحية أمام خديجة (ر) لتصحبه بعدئذ إلى ورقة؟ وما هي ضرورة حصول أية مسرحية إن كان التخطيط تم ضمن "خلية" مغلقة بقيادة ورقة؟ لو كان محمد (ص) قد نزل من غار حراء واتجه فوراً إلى الكعبة ليجهر أمام الملأ بنزول الوحي إليه فوجد ورقة في انتظاره هناك للتغطية على هدفه لفهمنا وجود تخطيط إعلاميّ مسبق. أما ذهابه إلى خديجة (ر) فلا يشير إلى تخطيط ولا إلى رغبة بافتعال ضجة علنية.

نعود الآن إلى مناقشة موضوع فتور الوحي انطلاقاً من قول الحداد:

"ثم لم يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي." فحزن محمد حتى كاد ينتحر. فهذا الحديث يدل، فيما يدل، على أن مِحمداً كان يحضر مع استاذه ترجمة انجيل النصارى إلى العربية. وحزنه حتى الانتحار يدل على أن القس ورقة كان استاذه، خصوصاً في (إنجيل

النصارى). وهذه شهادة مزدوجة على " نصرانية " محمد، وعلى دراسته النصرانية."
(حداد، صفحة ٢٩٣)

ما هذا المنطق المشوه والمتحامل؟ لقد أعلمنا الحريري من عنده بدون أي إثبات بأن محمداً (ص) حضر ترجمة ورقة للإنجيل. فكيف يستخدم فتور الوحي الذي حصل فيما بعد دليلاً على حضور محمد (ص) أثناء الترجمة؟ إنه يستخدم معلومتين لا دليل ولا مؤشر على صحة أي منهما ليضعنا أمام معلومة ثالثة أضعف من الاثنتين. كيف يجزم الحداد بنصرانية محمد (ص) استناداً إلى هذا النص الذي لا يوحي بوجود علاقة بين حزن محمد (ص) وبين حضوره أعمال الترجمة؟ كيف يختلق الحداد مثل هذا الادعاء إن كان الوحي فتر أكثر من مرة ونزلت به الآية الثالثة من سورة والضحى:

مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾

خلال حياة ورقة؟ يؤكد الحداد أن محمداً (ص) كان "نصرانياً ابن نصراني ابن نصراني" لكن ورقة قضى ستين عاماً من الفترة المعنية غارقاً في الوثنية؟ فإذا أخذنا استنتاجات الحداد على محمل الجد لكان محمد (ص) نصرانياً قبل ورقة؟ فكيف يكون له فضل على تنصير محمد (ص)؟ هل نلحظ حالة "الدوخان" المفرطة حين يتحدث الحريري والحداد بمثل هذا الأسلوب البعيد عن كل اتزان؟

ولو كانت ترجمة الإنجيل إلى قرآن قد تم إنجازها بحضور محمد (ص) قبل وفاة ورقة لاطمأن محمد (ص) كل الاطمئنان إلى الاستمرار بصفته حاضراً لجميع أعمال الترجمة وملابساتها، ولما فقد صوابه ولما تعرض لرغبةٍ مزعومةٍ بالانتحار، حسب ادعاء لا سند له.

وفي سياق الحديث عن فتور الوحي نورد إثباتاً على لجوء الحداد إلى تزييف ماكر جداً ليوثّق ادعاءاته. لنقرأ الفقرة التالية التي كتبها في كتابه مقتبساً إياها من الصحيحين حول حديث عائشة، زوجة محمد (ص)، حيث نُسب إليها قولها:

"ثم لم ينشب (يلبث) ورقة أن توفي، وفترَ الوحيُ." فالحديث الصحيح يجعل صلة سببية بين وفاة ورقة وفتور الوحي. أجل يجعلون للوحي المحمدي فتوراً على فترات، لكنه

كان عابراً. أما الفتور الأكبر الذي خلق الخطر الأكبر على النبي والدعوة كان بسبب وفاة القس في السنة الرابعة بعد المبعث: "وفي كلام صاحب "كتاب الخميس" فيْ الصحيحين أن الوحي تتابع في حياة ورقة، وأنه آمن به، وتقدم أنه الموافق لما في "الامتاع" من أنه مات في السنة الرابعة." فلما توفي ورقة فقد محمد صوابه وكاد ينتحر لولا لطف الله." ولقد قيل إن النبي ضاق ضيقاً شديداً بانقطاع الوحي عنه وأنه كان يهيم على وجهه في الصحراء يناجي ربه. وبلغ به الأمر مرةً أن همَّ بإلقاء نفسه من قمة جبل شاهق." (حداد، صفحة ٣٢٢ – ٣٢٣).

لنوزع المضمون إلى مختلف جمله:

١ – "ثم لم ينشب (يلبث) ورقة أن توفي، وفتر الوحي."

٢ – فالحديث الصحيح يجعل صلة سببية بين وفاة ورقة وفتور الوحي. أجل يجعلون للوحي المحمدي فتوراً على فترات، لكنه كان عابراً. أما الفتور الأكبر الذي خلق الخطر الأكبر على النبي والدعوة كان بسبب وفاة القس في السنة الرابعة بعد المبعث

٣ – "وفي كلام صاحب "كتاب الخميس" في الصحيحين أن الوحي تتابع في حياة ورقة، وأنه آمن به، وتقدم أنه الموافق لما في "الامتاع" من أنه مات في السنة الرابعة."

٤ – فلما توفي ورقة فقد محمد صوابه وكاد ينتحر لولا لطف الله.

٥ – ."ولقد قيل إن النبي ضاق ضيقاً شديداً بانقطاع الوحي عنه وأنه كان يهيم على وجهه في الصحراء يناجي ربه. وبلغ به الأمر مرةً أن همَّ بإلقاء نفسه من قمة جبل شاهق."

فكلمة: **(يلبث)** في الجملة رقم (١) من كلام الحداد يوضّح بها معنى " ينشب ".

والجملة رقم (٢) جميعها من كلامه أيضاً، يحاول بها إيهامنا بأن الفتور الأطول حصل بعد وفاة ورقة وهذا ما أثبتنا خطأه.

والجملة رقم (٣) اقتبسها من كتاب الخميس، فلا اعتراض عليها.

أما الجملة رقم (٤) فهي من اختراعه، حشرها من عنده بين استشهادين موثقين. أحدهما من السيرة الحلبية والآخر من محمد صبيح. وبحشر كلامه المختلق بين المرجعين الموثقين حاول أن يضفي على رأيه الخاص صفة المرجعية الموثقة. وعندما نراجع

الاستشهادين بدون "الحشوة الدخيلة" لا نجد في أي منهما علاقة بين موت القس وبين فقدان محمد (ص) لصوابه. ونستنتج من ذلك أن رَبْطَ الحداد بين التعابير الثلاثة: وفاة القس – فتور الوحي – الانتحار، هو تشويه ماكر للحقيقة. وبذلك ينتفي تلقائياً وجذرياً ادعاء الحداد بأن: "**إقدام محمد على الانتحار بسبب وفاة "القس" برهان تاريخي قاطع على أثر ورقة بن نوفل في النبي والقرآن.**" (حداد، صفحة ٣٢٣).

وثمة تزييف آخر عندما كتب: "**أما الفتور الأكبر الذي خلق الخطر الأكبر على النبي والدعوة كان بسبب وفاة القس في السنة الرابعة بعد المبعث**" فادعاء الحداد بأن الفتور الكبير حصل بعد أربع سنوات من الدعوة مختلق لأن الاقتباس من كتاب "**الخميس**" لا يشير أبداً إلى ذلك وإنما هو سردٌ محايد لآخر مرحلة من حياة ورقة لا يذكر فيه فتور الوحي، ولا يعالجه، ولا علاقة له به على الإطلاق. هذا بالإضافة إلى توثيقات المستشرقين الغربيين بأن فترة انقطاع الوحي الطويلة حصلت أثناء حياة ورقة بن نوفل.

يجدر بنا هنا التذكير بأن الحريري والحداد "استنجدا" بسورة الضحى القرآنية ليثبتا فتور الوحي استناداً إلى القرآن. وهذا يضعنا أمام تساؤل من نوع آخر. فإن كانت السورة نزلت قبل وفاة القس، وقد نزلت فعلاً وهو على قيد الحياة، يتلاشى دور القس في "نزول" الوحي. وأما إن نزلت بعد وفاته فكيف يمكن للقس ورقة، "وهو كاتب القرآن الحقيقي" (المزعوم) أن يتنبأ بأن الوحي سيفتر بعد وفاته فيكتب تلك السورة المستقبلية؟ وإن كان قادراً على التنبؤ فلماذا لم يتدبَّر هذه المشكلة العويصة التي كادت أن تؤدي إلى انتحار محمد (ص)؟ (انظر صفحة ٣٢٩ من الحداد أيضاً.)

وبما أن الشيء بالشيء يُذكر نكشف نموذجاً عن التحريف الذي ارتكبه الحداد عندما كان يقتبس من كتب الآخرين. ومثالنا أخذناه من كتاب المفكر محمد عزة دروزة الذي كتب كتباً عديدة عن عصر الدعوة وما سبقها. من هذه الكتب اقتبس الحداد نصوصاً عديدة ليثبت فيها ما جال في فكره من تشويه للحقائق. ونحن لن نأتي بمثال محدد وإنما نقتبس الردَّ المناسب الذي كتبه عزة دروزة دفاعاً عن نفسه وعن العلم فكتب:

" **قرأت في صيف سنة ١٩٦٨ أربعة كتب مطبوعة في مطبعة حريصا البولسية في لبنان لمبشر سمى نفسه (الأستاذ الحداد) بعنوان مشترك هو (دروس قرآنية)**" ...."وقد

كتب الخوري لكل من كتبه الأربعة مقدمةً بريئة الظاهر، وفيها دعوة إلى التفاهم وتبادل الثقة بين المسلمين والنصارى، لأنهم يدينون بدينٍ كتابيّ متّحد المصدر والمبادئ والأهداف.

غير أنه حشا كتبه بأقوال وبيانات وروايات وتحليلات عن القرآن ومحتوياته ونظمه ولغته وترتيبه وعن شخصية النبي محمد (ص) وسيرته ورسالته وصلتها بأهل الكتاب ...وفيها الغريب العجيب المذهل من التخرص والتعسف والتجني والمجازفة وتحريف الكلام واللعب بالألفاظ، وعدم التورع عن أقوال فيها افتراء وسوء أدب نحو القرآن ورسول الله وكتّاب وحيه الأولين وتابعيهم ونسبة الدس والزيادة في القرآن إليهم.

والخوري مطلع على كتب تفسير المسلمين ...ويستشهد أحياناً كثيرة بما جاء فيها، غير أنه جرى على بتر ما ينقل واللعب فيه حيث يهمل تتمات مهمة كما ظهر لي يقيناً مما نقله عن كتبي " القرآن المجيد " و "عصر النبي (ص) وبيئته قبل البعثة " و " سيرة رسول الله (ص) " التي ينقل عنها كثيراً حيث أورد روايات منها أوردتها فيها للتفنيد، فرواها دون تفنيدي لها وحيث أورد بعض شروحي وتعليقاتي على بعض المواضيع ناقصة أو مبتورة، وفعل مثل هذا إزاء كتب إسلامية أخرى. وقد جرى كذلك على إبراز أقوال وروايات ضعيفة وإهمال ما في موضوعها من أقوال وروايات قوية مما ثبت لي من المقارنة بين ما نقله عن بعض المصادر الإسلامية وبين ما ورد في هذه المصادر.

ومما جرى عليه أنه حين يستشهد بالآيات القرآنية – وهو يفعل ذلك كثيراً – يقتطع آية من سياق أو جملة من آية ويهمل أو يغفل بقية السياق أو الآية مع أنه يكون في ما أهمله وأغفله توضيح أو تتمة أو استدراك بسبيل تأييد ما يريد زعمه من أفكار..."

(عزة دروزة، القرآن والمبشرون، صفحة ٦ – ٧)

إن رجلاً يرتكب هذه الآثام الفكرية غير جدير بأن يسترشد بكتاباته أي باحث عن حقيقة العلم.

ورقة يتنبأ بنبوة محمد (ص)

يستند هذا الادعاء إلى اقتباس ورد في عدد من المصادر يتحدث عن لقاء جبريل لمحمد (ص) في غار حِراء حيث كلفه بالدعوة، ويصف رجوع محمد (ص) إلى خديجة (ر) متأثراً كل التأثر فاصطحبته إلى ورقة. فهو يقول:

"ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع أي رأى جبريل وسمع منه أنت رسول الله وأنا جبريل فقال ورقة قدوس قدوس بالضم والفتح [٢٣] والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي يأتي موسى الذي هو جبريل وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له يثبت."

(السيرة الحلبية، ج ١ صفحة ٣٨٧)

فهل يدل ذلك على أن ورقة هو الذي تنبأ بنبوة محمد (ص)؟

إن وثنية ورقة التي استنفدت الجزء الأكبر من عمره تقودنا من ناحية المبدأ، إلى التشكيك في مقدرته على التنبؤ. فصفة التنبؤ مؤشر على إكرام الله لإنسان تقي ورع يعيش في رحاب الإيمان. أما أن يكشف الله عن بصيرة عابد للأوثان فيجعله قادراً على التنبؤ بقدوم أنبياء صالحين فهذا أمر لا يستسيغه العقل.

لو كان للقس ملكة التنبؤ لما احتاج الأمر منه إلى الاستمرار في عبادة الأوثان على مدى ستين عاماً. ولو تنبأ حقاً بولادة نبي في مكة لما حمل أحماله وتجشم أعباء السفر مع زيد بن عمرو بن نفيل والرفاق الآخرين بحثاً عن دين يستحق أن يعتنقه المرء، عن دين سيظهر نبيٌّ في مكة يدعو الناس إليه. ولو كانت له القدرة على التنبؤ لنصح كل رفاق دربه الباحثين عن الدين بالبقاء في مكة ما دام أن نبي الدين الجديد سيأتي في مكة ومنها وسيتتلمذ عليه.

هذا وسوف نستنتج من جملة الاقتباسات التي سنأتي على ذكرها فيما يلي أن توقع مجيء نبيٍّ مُوَحِّدٍ كان منتشراً في خارج الجزيرة العربية قبل أن يتوب ورقة عن وثنيته وهي كثيرة جداً سبقت ولادته واستمرت حتى لقائه بجبريل.

---

[٢٣] - كتبنا كلمتي "**بالضم والفتح**" بحرف آخر لشبهها بكلمتي "**يعني ورقة**" اللتين أوردناهما قبل قليل. فهاتان الكلمتان ليستا من كلمات الاستشهاد وإنما من شرح كاتب السيرة. ومثل ذلك كثير في المصادر.

١ – كعب، جد قصي مؤسس قريش والجد السادس لمحمد (ص) قال قبل قرنين من دعوة محمد (ص): "**سيخرج من ضئدي نبي.**" أي سيظهر من سلالتي نبي.

٢ – نقرأ في السيرة الحلبية أن حليمة نزلت مع محمد (ص) إلى "**سوق عكاظ ... وكان سوقا للجاهلية بين الطائف ونخلة ... كانت العرب إذا حجت أقامت بهذا السوق شهر شوال فكانوا يتفاخرون فيه وللمفاخرة فيه سمي عكاظ يقال عَكَظَ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه في المفاخرة. وفي كلام بعضهم كان سوق عكاظ لثقيف وقيس غيلان فرآه كاهن من الكهان فقال يا أهل سوق عكاظ اقتلوا هذا الغلام فإن له ملكا فزاغت أي مالت به وحادت عن الطريق فأنجاه الله تعالى أي وفى الوفاء لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر إليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع إليه الناس من أهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي فانسلت حليمة به.**" (السيرة الحلبية، ج ١ صفحة ١٥٦)

٣ – ونقرأ في السيرة عن وجود "**سبب آخر لرجوع حليمة به صلى الله عليه وسلم الى مكة. قال ابن إسحاق: حدثني بعض أهل العلم أن مما هاج أمه السعدية على رده الى أمه مع ما ذكرت لأمه مما اخبرتها عنه أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه فنظروا إليه وسألوها عنه وقلبوه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فإن هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره**" (السيرة النبوية، ج ١ صفحة ٣٠٤)

٤ – **وفي مرجع آخر نقرأ: "واستصحبه عمه وهو ابن اثنتي عشرة سنة إلى الشام لما جاء بصرى ورأى منه بحيرا " [٢٤] الراهب ما دل عليه أنه النبي المرسل خاتم الأنبياء أمره بالرجوع به إلى بلاده ففعل.**" [٢٥] (التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ج ١ صفحة ٩)

---

[٢٤] – وجدنا في المراجع اسم بحيرى بالألف المقصورة وبالألف الممدودة. وكلاهما يعبر عن راهب واحد.

[٢٥] – تنفي بعض المراجع أن بحيرى هو الذي قال لميسرة أن محمداً هو النبي الموعود وتنسب ذلك إلى الراهب نسطور الذي قال: آمنت بك وأنا أشهد أنك الذي ذكر الله في التوراة...وقال أشهد أنك رسول الله النبي الأمي الذي

إذن فقد تنبأ الراهب بحيرا (أو بحيرى) بنبوة محمد (ص) في وقت كان فيه ورقة بن نوفل في بداية انطلاقه من الوثنية إلى الديانات الكتابية. ولا يقتصر الأمر على ذلك وإنما يبدو أن لبحيرا دوراً آخر نستنتجه من مخاطبة خديجة (ر) لمحمد (ص) بعد زواجه منها وبعد أن عاد إليها من غار حراء قائلاً: "زملوني زملوني":

"**فقالت خديجة ابشر فوالله لقد كنت أعلم أن الله لن يفعل بك إلا خيرا وأشهد أنك نبي هذه الأمة الذي تنظره اليهود قد أخبرني به ناصح غلامي وبحيرا الراهب وأمرني أن أتزوجك منذ أكثر من عشرين سنة فلم تزل برسول الله حتى طعم وشرب وضحك ثم خرجت إلى الراهب وكان قريبا من مكة فلما دنت منه وعرفها...**" (البداية والنهاية، ج: ٣ ص: ١٤)

يفند هذا الكلام فكرة وجود دور متميز لورقة في التنبؤ عن مسيرة محمد (ص) المستقبلية. فحتى موضوع الزواج لم يكن أبداً من ترتيب ورقة كما يدعي الحداد والحريري، وإنما نصيحة من بحيرى.

٥ – ونقرأ أيضاً:

وقد كانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد، وكان ابن عمها، وكان نصرانيا قد تبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان يرى منه اذ كان الملكان يظلانه فقال ورقة لئن كان هذا حقا يا خديجة إن محمدا لنبي هذه الأمة قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه. (سيرة ابن اسحق، ج ٢ صفحة ٩٤)[٢٦]

بشر بك عيسى." (زرقاني، صفحة ١٩٨) (طبقات ابن سعد، مجلد أول صفحة ١٣٠) ويؤيد ابن هشام هذه الصورة إذ يكتب: "**وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نسطورا وليس هو بحيرا المتقدم ذكره.**" (ابن هشام ج ١ صفحة١٧٢)

[٢٦] – من طريف ما قرأناه في كتاب الحريري طعنه أن يكون ورقة قد تنبأ بنبوة محمد. وبلغ به عنف الطعن إلى القول: **لئن صحَّ إعلان القسّ لنبوة محمد يكون القسّ مخبولاً حقاً.**" لم نتوقع أبداً أن يبلغ الأمر بالحريري أن يجعل من القس ورقة مخبولاً بعد أن جعل منه في كل صفحات الكتاب الأخرى بطل الإسلام.

يثبت هذا النص أن ورقة لم يكن الوحيد ولا أول من عرف بما حدث لمحمد (ص)[27] أثناء رحلته إلى بلاد الشام وإنما سمعه من خديجة (ر) بعد أن ذكر لها غلامها ميسرة ما حدث مع محمد (ص). فلو كان هو الذي عرف ذلك واكتشفه من قبل لما أجابها بلهجة التشكيك وعدم الثقة: "**لئن كان هذا حقاً ياخديجة...**" أما لو كان ورقة هو الداهية المدبر لما فوجئ أبداً وإنما لتعامل مع الحدث وكأنه أمر مفروغ منه ومعلوم لديه. ولو كان ورقة المدبر مع خديجة (ر) أو محمد (ص) أو مع كليهما لهنَّأهما دون طرح أي سؤال لأن طرحه لسؤال في مثل هذا الموقف يتعارض مع أي منطق سليم. لم يكن ورقة فاعلاً في أي أمر يخص محمداً (ص) وإنما كان منفعلاً يستقبل ما يحدث حوله دون أن يستطيع القيام بأي شيء.

ولننظر إلى اعتراف الحريري بقلمه بدور ميسرة الذي سبق دور ورقة في التنبؤ بنبوة محمد (ص):

"**قبل أن تتم مراسم الزواج بين محمد وخديجة، وفيما كان محمد يتاجر لخديجة في بلاد الشام، رجع "ميسرة" غلامها الأمين يخبرها بما رأى وبما سمع من مذهلات جرت لمحمد. ولما انتهى من حديثه، قامت خديجة للحال، وأتت مسرعة تخبر ابن عمها ورقة ما سمعته من غلامها عن محمد. وللوقت وقف القس باطمئنان العارف بمشيئة الله يقول: "لئن كان هذا حقاً، يا خديجة، فإن محمداً لنبي هذه الأمة. وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي منتظر هذا زمانه.**" (حريري، صفحة ٥٥ – ٥٦)

فالذي أدرك أهمية "المذهلات" وشعر بضرورة نقل الحديث عنها هو غلام خديجة (ر) الأمين ميسرة. وبعد أن سمعت خديجة (ر) ما قاله غلامها شعرت بضرورة التحدث مع أحد عن الموضوع فذهبت إلى عداس أولاً ثم إلى ورقة الذي قال لها: "**لئن كان هذا حقاً، يا خديجة، فإن محمداً لنبي هذه الأمة.**" إذن فلم يعرب ورقة عن تصديقه لذلك إلا تحت شرط أن تكون خديجة (ر) لم تختلق الكلام اختلاقاً. وهذا يثبت عنصري الشك والمفاجأة

---

[27] – ويناقض الحداد نفسه ثانية حين يكتب: "**وقبل أن تستفتي ابن عمها القس ورقة بن نوفل، استفتت القس عداس في "الرؤيا" التي عرضت لمحمد.**" (حداد صفحة ٢٦٨)

لدى ورقة. ومن يُفاجأ بمعلومة لا يمكن له أن يقف "**باطمئنان العارف**" ولا يمكن أن يكون أسهم في صنعها.[٢٨] فحري بالأمر أنه في الواقع لم يكن يعرف شيئاً. ولا يغيب عن البال أن ورقة عندما حصل كل ذلك كان في الثامنة والثمانين من عمره.

ونتحقق من الاقتباس التالي أن خديجة (ر) عندما سمعت من محمد (ص) عن لقائه جبريل لم تذهب أولاً إلى القس ورقة وإنما إلى مرجعيات أخرى:

"**ثم انطلقت حتى أتت غلاما لعتبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانيا من أهل نينوى يقال له عداس فقالت له يا عداس أذكرك بالله إلا ما اخبرتني هل عندكم علم من جبرئيل فقال عداس قدوس قدوس ما شأن جبرئيل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان فقالت أخبرني بعلمك فيه قال فانه أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى فرجعت خديجة من عنده فجاءت ورقة بن نوفل فأخبرته فقال لعل صاحبك النبي الذي ينتظر أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ثم أقسم بالله لئن ظهر دعاؤه وانا حي لأبلين الله في طاعة رسوله وحسن مؤازرته.**"[٢٩] (الخصائص الكبرى، ج ١، صفحة ١٥٨)

ونشير هنا إلى أن جواب القس ورقة "**لئن كان هذا حقاً، يا خديجة..**" حدث، حسب المصادر، مرتين! مرة بعد عودة ميسرة من الشام ومرة أخرى بعد حوالي خمسة عشرة سنة من ذلك عندما قابل جبريلُ محمداً (ص). ففي تفسير السيرة النبوية لابن هشام" نقرأ أن محمداً (ص) "**حين أخبرها عن جبريل ولم تكن قد سمعت به قط، ركبت إلى بحيرى**

---

[٢٨] – لنقرأ ما كتبه الكاتب أحمد عمران حول ذات النقطة: "**قال لها باطمئنان العارف بمشيئة الله" أي إن هذه المذهلات التي سمعها ورقة عن محمد، هي من علامات مشيئة الله في النبوة المنتظرة....أي: لو كانت المذهلات التي رواها ميسرة قد جرت بالفعل، فإنها تدل على نبوة محمد المقبلة. أي: إن ورقة، ليس له دخل ولا علم مسبق ولا مشاركة في المذهلات ولكنها مشيئة الله، الذي بيده كل شيء.**" (عمران، صفحة ١٤٤)

[٢٩] - هنا نطرح تساؤلاً جانبياً يفند الادعاء بنصرانية خديجة (ر): فلو كانت نصرانية كما يدعي الحداد والحريري لما أرسلت إلى بحيرى ، وإلى عداس تسألهم فيما إذا لديهم اسم جبريل لأن هذا الاسم يقع في صلب العقيدة النصرانية.

الراهب،[30] واسمه سرجس فيما ذكر المسعودي، فسألته عن جبريل، فقال : قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش. أنى لك بهذا الإسم؟! بعلي [زوجي] وابن عمي محمد أخبرني أنه يأتيه، فقال: قدوس قدوس ما علم به إلا نبي مقرب، فإنه السفير بين الله وبين أنبيائه، وإن الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به، ولا أن يتسمى باسمه. وكان بمكة غلام لعتبة بن ربيعة سيأتي ذكره اسمه عداس عنده علم من الكتاب، فأرسلت إليه تسأل عن جبريل، فقال: قدوس قدوس. أنى لهذه البلاد أن يذكر فيها جبريل يا سيدة نساء قريش، فأخبرته بما يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال عداس مثل ما قاله الراهب." (الروض الأنف، صفحة ٢١٥)

نجد في هذا النص مؤشرات عديدة تنقض كلام الحداد والحريري. المؤشر الأول هو المذهلات التي رآها غلام خديجة (ر) تحدث لمحمد (ص) في بلاد الشام. فهي حدثت في مكان بعيد جداً عن مجال تأثير ورقة. وعندما سمعت خديجة (ر) بذلك فوجئت فقامت للحال لتُعلِم ورقة بما سمعته من الغلام. أي أن الأخبار من بلاد الشام التي تنبأت عن نبوة محمد (ص) كانت جديدة على خديجة (ر) وعلى ورقة. والأهم من ذلك أن المذهلات حصلت قبل زواج محمد (ص) من خديجة (ر)، أي قبل أن "يتتلمذ" محمد (ص) على ورقة بسنوات كثيرة وقبل ما حدثنا به الحريري عن مؤامرات وتخطيط وعن وقوع محمد (ص) في قبضة ورقة، وقبل أن "يدربه ويعلمه ويؤثر عليه".

ونشير إلى أن ورقة لم ينتحل النبوة لنفسه، ولم يُشِرْ إلى أية جهود قام بها لصالح نبوة محمد (ص)، ولم يهلل فرحاً إلى أن تلميذه نجح في الامتحان وإنما يشير إلى نبوة محمد (ص) دون قيود أو تحفظات مما يدل على كونه منفعلاً وليس فاعلاً. فإذا ما اعترض علينا أحد بالقول إن ورقة لم يتحدث عن نفسه لتواضعه فهذا كلام مردود. فموضوع كونه النبي بل كونه في مكانة الخالق ذاته كما ادعى الحريري، لا يستقيم مع تنازله عن هذه المهمة المقدسة لصالح شاب ناشئ. ولذلك لا تستقيم الصورة إلا بكون

---

[30] – – ذهبت خديجة (ر) إلى عداس قبل أن تذهب إلى ورقة. وهو غير عداس غلام عتبة بن ربيعة في الطائف. (حداد صفحة ٣٠٨) ويذكر الحداد أن خديجة (ر) كتبت كتابة إلى بحيرى. (حداد، صفحة ٣١٢)

محمد (ص) هو النبي وأن ورقة مجرد شاهد انفعل بما يحدث أمامه فأعرب عن استعداده لمؤازرة محمد (ص) فيما لو كتب له المزيد من العمر. يريد أبو موسى الحريري والحداد من القس أن يثور على مصيره بعد ١٤٠٠ سنة من الحدث فيقلب التاريخ ليستعيد مكانة افتراضية ليست له ولم تكن له على الإطلاق.

ومما يثير الانتباه أن الحريري والأستاذ الحداد حرصا على إثبات أن محمداً (ص) لم يكن أكثر من نذير. (الحداد، صفحة ٣٢٨. حريري، صفحة ٨٠) ولكن كيف يمكن توفيق هذا الادعاء مع أقوال ورقة، والراهب بحيرى، ونسطور، والتاجر في أسواق بصرى، وعداس النينوي، وغيرهم كثير، بأن محمداً (ص) سيكون نبي هذه الأمة؟

لقد قرأنا ما ورد في السيرة الحلبية من أن ورقة طلب من خديجة (ر) أن تطلب من محمد (ص) أن يثبت. فكيف يطلب منها دفع محمد (ص) إلى الثبات إن كان هو "المتآمر" على قيام محمد (ص) بالدعوة أو إن كان هو المعلم والمدرب والأستاذ والهامس بوحي الله في أذن محمد (ص)؟ لماذا كلفها بأن تطلب من محمد (ص) الثبات بدلاً من أن يبلغه الطلب بنفسه؟ ولماذا لم يتنطع هو لنشر الدعوة لو كان صانعها؟ وهل يسمح التخطيط والتآمر مع خديجة (ر) بصدور حوار وأقوال كهذه فيما لو كان ثمة "اتخاذ لتدابير" مع خديجة (ر) بل و مع محمد (ص) نفسه؟ إن التخطيط والتدبير "لجعل" محمد (ص) نبي الأمة يقتضي معرفة محمد (ص) للخطة وللهدف. فلو كان محمد (ص) ضمن الخطة والتدبير لما صدر أي قول تساؤلي من ورقة كالأقوال التي قالها لخديجة (ر).

ونعرض صورة أخرى من مرجع آخر حول ما قاله ورقة:

وانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة أخو أبيها وكان امرءا تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله وكان شيخا كبيرا قد عمي. فقالت له خديجة ابن عم اسمع من ابن أخيك. قال ورقة بن نوفل: يا ابن أخ ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني فيها جذعا يا ليتني أكون حيا حين يُخرجك قومُك. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوَ

مُخْرِجِيَ هم؟ قال ورقة: نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودِيَ وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا." (الذرية الطاهرة، ج: ١ ص: ٣٤)

إن إلقاء نظرة ناقدة على طبيعة هذا الحوار تدل أولاً على أن الدعوة جاءت بتغييرات عقائدية جعلت شعب مكة يناصب محمداً (ص) العداء. فلماذا لم تعادِ ورقة لو كان هو الذي جاء بتلك التغييرات؟ ونكتشف ثانياً عدم وجود أية ترتيبات مسبقة بين المشاركين الثلاثة فيه.

وهناك اقتباس آخر يكشف عبث الحريري بالكلام عندما يدعي أن ورقة هو صاحب الوحي الأصلي:

"حدثنا إسماعيل بن الفضل حدثنا صالح بن مالك حدثنا روح بن مسافر عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ورقة بن نوفل أنه سأل رسول الله ص كيف يأتيك الوحي قال يأتيني في ضوء قال هذا الناموس الذي انزل على عيسى عليه السلام" (معجم الصحابة، ج: ٣ صفحة ١٨)

ترى كيف يستفسر ورقة محمداً (ص) عن طريقة مجيء الوحي إن كان هو الذي يهمس بالوحي في أذنه؟

إن الاقتباسات التي تشير إلى أن ورقة فوجئ بحديث خديجة (ر) عن نزول الوحي كثيرة جداً وفي مراجع كثيرة جداً. ولقد راجعناها جميعاً في كل المراجع القديمة التي عددناها آنفاً دون أن نجد واحدة منها تفيد بأن لورقة أية علاقة في "همس" الوحي في أذن محمد (ص).

نحن نقرأ أن ورقة عندما أعلمه محمد (ص) بما قال له جبريل بعد نزول آيات من سورة العلق خاطب محمداً (ص) بقوله: **أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر بك ابن مريم وأنك على مثل ناموس موسى وأنك نبي مرسل وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك."** (التحفة اللطيفة، ج ١ صفحة ٩)

إن خطاب ورقة لمحمد (ص) بتلك الكلمات ساطع المضمون ويؤكد فيه بنفسه أن النبي هو محمد (ص)، ولم يحاول ورقة أن ينتحل صفة النبوة إلى نفسه مما يؤكد عدم

وجود علاقة متبادلة تشير أدنى إشارة إلى احتمال أن ورقة كان المعلم والمدرب والموحي والداهية والزعيم.

نأتي الآن إلى العنوان المثير في كتاب الحريري: "**القس يعلن النبي خليفته.**" لنحلل الفكرة الأساسية التي يتضمنها مبتدئين بتذكير الحريري بالمسلمة الأولى لنقاش موضوعي. إن اختياره لهذا العنوان هو تجنٍ على العقل وعلى سلامة الهدف. فمن يريد أن يعلن خليفة له يجب أن يكون في ذاته شيئاً ذا أهمية أو أنه أنجز شيئاً فكرياً أو حضارياً مفيداً يريد الحفاظ عليه ويخشى ضياعه ويحرص على استمراره بعد وفاته. ولكن ورقة لم يكن شيئاً من ذلك. فماذا كان شأنه قبل الدعوة؟ وما شأنه أثناءها وبعدها؟ إنه لم يترك كتاباً أو أي مخطوط وراءه ولم يَطّلِعْ على البشرية بشيء ليشعر بضرورة البحثِ فيما بعد عن خليفةٍ يتابع عمله. إنه لم يدعُ إلى الإسلام ولم يُسلِمْ ليحدد محمداً (ص) خليفة له بل ولا يوجد أيِ إثبات على أنه قام بالدعوة إلى النصرانية أو الإبيونية أو التحنث أو التحنف أو إلى أية ديانة سمها ما شئت. فقبل الدعوة صرف ثلثي عمره بين الوثنية وبين رحلة البحث عن دين إبراهيم الحنيف. فلو كان صاحب أي فكرٍ أو وحيٍ لكان أظهره ودعا إليه وتحمل كل الصعاب في سبيله. ولما بقي مختبئاً قبل الدعوة ليتوفاه الله بعدها أصمَّ أعمى مريضاً لا يقوى على القيام بشيء.

يقول الحريري:

لقد كان محمد (؟) [إشارة الاستفهام من عند الحريري ليعبر عن رأيه في أن محمد (ص) لم يكن المقصود وإنما ورقة] **يعي استمرارية الوحي وعياً كاملاً. فهو لم يأت بوحي جديد من لا شيء. لقد كان الوحي عليه هو ذاته الوحي على الأنبياء السابقين، "إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده. وأوحينا إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب والأسباط."** (سورة ٤/١٦٣) ويتابع الحريري كلماته قائلاً: "**ووحي الله على محمد كوحيه على من سبقه سواء بسواء**"..."**ينتج من ذلك أن وحي محمد هو "من" وحي سابق و"من" كتاب كان قبله ومن أنباء سالفة اعتمد عليها.**" (حريري، صفحة ٨٦)

ثم يشبعنا الحريري بتكرار ممل بفكرة تفيد في نهاية الأمر بأن محمداً (ص) لم يأتهِ وحي من الله وإنما من بشر ثم ينصب لنا فخاً يثبت (حسب منطقه غير المستقيم) أن ورقة بن نوفل هو صاحب الوحي الذي أصبح قرآن المسلمين.

ولنتابع اللعبة الفكرية مع الحريري لنقرأ عنده:

"ينتج من ذلك كله أن وحي الله على أنبيائه هو هو، وأن تنزيل القرآن العربي هو نفسه تنزيل الكتاب العبراني، وأن التنزيل اللاحق هو من تنزيل سابق، وأن كل ما له صلة بخلاص الانسان هو إياه منذ البدء حتى النهاية. أما السؤال فهو: كيف تعرف محمد على التنزيل السابق؟ أهو الله الذي تدخل مباشرة بالنبي محمد وعلمه ما لم يعلم؟ أم هو ملاك من الله وافى محمداً ولقنه ما لم يكن بوسعه اكتشافه وحده؟ أم هو أخيراً أمر حدثَ له كما يحدث للملهمين من العالم؟

واحد من اثنين: إما أن يكون محمد اكتشف التنزيل السابق بذاته وتعلمه بلغته الأصلية العبرانية ونقله أو أخذ منه ما يناسب أحوال مدعويه، وإما أن يكون تلقن التنزيل على يد "خبير حكيم علمه ما لم يعلم. ولا يمكننا افتراض شيء آخر، فلا الله يتدخل بأمور الناس متخطياً كل معطيات الإنسان فيعلمه بعد جهل، ويظهر عليه متجلياً مراراً ومراراً، ولا الملاك جبرائيل تتفتح له أبواب السماء ليزور صديقه على الأرض طيلة ستين سنة ونيف...وأيضاً لا يمكننا افتراض الأمر الأول، لأنه لم يعرف عن محمد أنه كان يعرف العبرانية أو الآرامية لينقل عنها قصص الأنبياء وأمثال الإنجيل، أو أنه باستطاعته أن يتلقن التنزيل السابق بدون معلم أو كتاب أو هداية.

..."بقي إذن أن يكون محمد تعلَّم ما لم يكن يعلم من "خبير حكيم" ولسنا نجد في كتب السيرة والأخبار والتواريخ غير القس ورقة بن نوفل." (حريري، صفحة ٨٨ – ٨٩)

لقد اشتط الحريري في الضلال الفكري! فالاحتمالان اللذان وضعهما أمامنا وفنَّدَ لنا إمكان حدوثهما هما بالذات الأكثر واقعية من احتماله الثالث حول ورقة بن نوفل الذي يمكن تفنيده كلياً. ونرى من المناسب الإشارة إلى أن الحريري "أثبت" لنا إلمام محمد

(ص) بالقراءة والكتابة. ولكنه أنكر عليه أن يكون على علم بلغات أخرى[٣١] بينما الحداد "يثبت" لنا أن محمداً (ص) كان يتقن لغات أجنبية. (انظر حريري، صفحة ٤٧ وحداد، صفحة ١٩٣ من: القرآن والكتاب)

فبعد أن "أثبت" لنا الحريري والحداد مقدرة محمد (ص) على القراءة والكتابة، وبعد إثبات الحداد لوجود التوراة بالعربية، وبعد أن بيَّن لنا الحداد قناعته بأن محمداً (ص) كان يستمع إلى ما يقرؤه بعض من يعرفهم "**بلغة غير لغة أهل مكة**"[٣٢] يصبح اطلاع محمد (ص) على التعاليم الأسبق واقعاً ملزماً. من ثم تنتفي ضرورة وجود ورقة بالكيفية التي اختلقها الحداد والحريري من أساسها.

أما القول بأن الله لا يتدخل بأمور الناس...وأن جبريل لا تَتَفَتَّحُ له أبواب السماء ليزور صديقه على الأرض فهو كلام مارق! فمن هو الحريري حتى يحدد لنا متى يتدخل الله؟ وما هو السبب المقنع الذي دفعه إلى أن يطلب منا قبول نزول الوحي على الأسبقين دون اللاحقين؟ إن التحريف والإضافة والحذف في الكتب السابقة للقرآن راسخ في العقول المتفتحة. فلماذا لا يوحي الله تصحيحاً لما زيفه السابقون؟

ورقة مترجم الإنجيل؟

قبل أن نعالج صحة احتمال قيام ورقة بترجمة الإنجيل إلى قرآن نشير إلى اقتباس من الحداد":

---

[٣١] – كتب الحريري: "**الحقيقة تقضي بأن نقول: إن محمداً لم يكن يعرف أية لغة أجنبية.**" (حريري، صفحة ٨٣)

[٣٢] – يأتي الحداد بالاستناد التالي: "**قال محمد صبيح: "...إن لدينا من الحوادث ما يؤكد اتصال رسول الله وهو في مكة بهؤلاء الأجانب الذين كانوا يقيمون فيها وكان يزورهم ويطيل صحبتهم. فقد روي عن عبيد الله مسلم قال: كان لنا غلامان روميان يقرآن كتاباً لهما بلسانهما فكان النبي ص. يمر بهما فيقوم فيسمع منهما. وروي عن ابن إسحق أن رسول الله كثيراً ما كان يجلس عند المروة إلى سبيعة – غلام نصراني يقال له جبر _ عبد لبعض بني الحضرمي. وعن ابن عباس أن النبي كان يزور وهو في مكة أعجمياً اسمه بلعام وكان المشركون يرونه يدخل عليه ويخرج من عنده. وفي رواية أخرى ان غلاماً (كان لحويطب بن عبد العزى) قد أسلم وحسن إسلامه، اسمه عائش أو يعيش وكان صاحب كتيب – وقيل هو جبر، وقيل هما اثنان جبر ويسار – كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل، فكان رسول الله إذا مرَّ عليهما يسمع ما يقرآ، الخ...وإذن فقد كان رسول الله يسمع ما يُقرأ في الكتب بلغة غير لغة مكة وكان يفهم ما يُتلى عليه.**" (حداد، القرآن والكتاب، صفحة ١٩٣)

"منذ هجرة اليهود إلى العراق، في جلاء بابل في القرن الخامس قبل الميلاد، وتشتت اليهود في مهاجرهم، واستبدال العبرية بالآرامية السائدة في المشرق كله حتى فلسطين شعر اليهود ثم النصارى منهم بضرورة ترجمة الكتاب إلى اللغة الحديثة التي ينطق بها الشعب. فقامت مهنة "الترجوم" الترجمة." (الترجوم، ترجوميم) (حداد، صفحة ١٤١)

نلاحظ من سياق هذا الاستشهاد أن رعاة الديانة اليهود والنصارى شعروا بضرورة ترجمة الكتب المقدسة منذ قرون خمسة قبل ولادة السيد المسيح. وهذا أمر طبيعي لأن الإيمان بدين يتطلب معرفة الناس بمضمون الديانة التي سيعتنقونها. وشَعَرَ النصارى أيضاً بتلك الضرورة بعد ولادة السيد المسيح وأنجزوا التراجم اللازمة للرعية. فهل امتنع النصارى المهاجرون إلى الحجاز عن إحضار أو إنجاز ترجمة لكتب ديانتهم في المحيط الاجتماعي العربي الجديد لمدة تقارب خمسمائة عام؟

ونكرر اقتباساً أوردناه قبل عدة صفحات يؤكد وجود كتب عديدة لشيع مختلفة:

"ومن المعروف أنه كان في زمن القس والنبي كتب عديدة، وكان لكل شيعة من شيع بني إسرائيل كتاب، ولكل قرية أو أمة كتاب، وكل يدعو إلى كتابه، ويشهد القرآن العربي على تعدد الكتب وتوزعها بين أيدي أصحابها." لنتساءل:

هل بقيت فرق النصرانية الأخرى على مدى ستة قرون بعد عيسى بن مريم (ع.س.) بدون إنجيل بالعربية؟ ألم يتسن لهم قراءة الأناجيل المختلفة التي يؤمنون بها؟ هل آمنوا بالإيحاء؟

وهل آمن نصارى العرب من غساسنة أو مناذرة أو نجرانيين بتعاليمِ كتبٍ لم يطّلعوا عليها ؟ من ذلك نستنتج كما استنتج الحريري ما نعتبره استنتاجاً قاطعاً بأن الإنجيل كان مترجماً إلى العربية ليقرأه المتنصرون.

ونلاحظ أيضاً كلمات المؤرخين التي تقول بأن ورقة كان قد اتبع الكتب. واتباع الكتب يشير إلى كونها موجودة. والقول بأنه "**عَلِمَ من عِلْمِ الناس**" يدل على أنه مجرد واحد من كثيرين عَلِمَ كما يعلم أي امرئ ما هو متوفر في فكر الناس الآخرين ولا يتميز عن أي منهم بما يثير الانتباه. فهل تعلَّمَ اليهودية استناداً إلى كلام المبشرين الشفوي؟ إن كان قد اقتنع باليهودية ثم بالنصرانية استناداً إلى أعمال تبشير شفوية عادية فليس هو إلا رجلاً

عادياً في جملة الناس يسمع فيقبل ويتقبل. أما إن كان على المستوى الفكري الذي يريد الحريري أن يقنعنا به، فلا بد أن يكون مفكراً كبيراً لا يغير معتقده إلا بعد أن يكون قد اطلع على أصول المعتقد وجذوره. فهل حصل ذلك التغيير لديه استناداً إلى الكتب العربية التي يجب أن تكون متوفرة آنذاك عند القبائل النصرانية العربية أم أن ذلك حصل استناداً إلى معرفته بالعبرية، ومتى تعلمها؟ ترى هل استمر بقاؤه في بلاد الشام والعراق إلى أن تعلم العبرية ليقرأ التوراة والتلمود فيقتنع باليهودية. وهل يمكن لإنسان أن يقرأ التوراة التي بين أيدينا والتلمود بنصوصه المخيفة فيتقبل اعتناق اليهودية؟ وما الأحداث التي جعلته ينبذ اليهودية ويغير معتقده؟ هل تَعَلَّمَ العبرية وترجم الإنجيل قبل عامه الستين وقبل "رحلة إيمانه" وعاد إلى مكة أم بعده؟ أليس الأصح منطقياً توفر كتب ونصوص بالعربية عند المبشرين يفهمونها ويفهمها هو فاقتنع بها. لنقرأ ما كتبه خليل عبد الكريم حول هذه النقطة: **"ويظهر من أدبيات بعض الإخباريين أن بعض أهل الجاهلية كانوا قد اطلعوا على التوراة والإنجيل، وأنهم وقعوا على ترجمات عربية للكتابين منهم ورقة بن نوفل وأمية بن أبي الصلت."** (خليل، قريش، صفحة ١٨٣) وبذلك ينتفي تلقائياً القول بأنه ترجم الإنجيل. (انظر أيضاً حريري، صفحة ١٩٦)

وكيف يتفق كل ذلك مع ادعاء الحريري والحداد بأن ورقة ترجم الإنجيل خلال الأعوام الخمسة عشرة الأخيرة من عمره بحضور محمد (ص)؟ لنقرأ ما كتبه الكاتبان حول ذلك:

"وأقام محمد خمسة عشر عاماً في بيت خديجة يتمتع بالجمال والمال والسيطرة التجارية على قريش والجزيرة...ويحضر ترجمة ورقة لإنجيل النصارى من العبرانية إلى العربية، ويتعلم "المثل" القرآني الذي فيه علم الكتاب." (حداد، صفحة ٣١٨)

أما الحريري فيدعي مرة أن محمداً (ص) حضر عمليات الترجمة على مدى ١٥ عاماً ومرة أخرى يكتب:

"أما العلم الذي كان محمد يجهله وقد تكفَّل القس ورقة بإعطائه لتلميذه الروحي، فهو علم الكتاب المنزل الذي كان القس ينقله في حضور محمد طوال أربع وأربعين سنة."

(حريري، صفحة ٥٠) أي منذ ولدته أمه آمنة حتى وفاة ورقة! وبكلمات أخرى: وُلد محمد (ص) وانطلق فوراً إلى ورقة ليراقب أو ليرافق ترجمة الإنجيل.

لنعتمد صيغة الخمسة عشرة عاماً لنقبل بأن ورقة ترجم الإنجيل بحضور محمد (ص) خلال فترة زواجه من خديجة (ر) لنستنتج أنه بدأ مشروع الترجمة وهو في السابعة والثمانين من عمره؟ (ما شاء الله!!) وحصول الترجمة بحضور محمد (ص) ينفي قطعاً كون هذه الترجمة جاهزة من قبل.

وإن كان ترجمه في شبابه فهل أخفى مضمونه سبعين أو ثمانين عاماً دون الاستفادة من الوقت الضائع بالإعلان عن تلك التشريعات والحِكَمَ والدررَ التي اكتشفها أو ترجمها؟ ولماذا نام عليها طوال عمره الراشد تقريباً؟

وهناك مقولة في كتاب الحداد تؤيد وجود التوراة باللغة العربية في ذلك العصر عندما شجب رأياً آخر ينفي توفر توراة معربة آنذاك. يقول الحداد:

"لذلك نستغرب أن يكرر في الطبعة الرابعة لكتابه (روح الدين الإسلامي) السيد عفيف عبد الفتاح طبارة بكل جهل للتاريخ والحديث والقرآن نفسه قوله: "ومن ناحية أخرى فقد ثبت تاريخياً أنه لم تكن هناك ترجمة عربية للإنجيل ولا توراة في عصر النبي (ص)."

(حداد، صفحة ٢١١) ويتابع الحداد بهجوم صاعق:

"ألا يستحي من شهادة القرآن وهو يتحدى اليهود: "قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين." (آل عمران ٩٣) فهل يتحداهم أن يتلوها أمام العرب بالعبرية أم بالعربية؟ لا شك بالعربية، وإلا لم يكن التحدي حاسماً مفحماً."

يدفعنا هذا الجزم العجيب بوجود توراة بالعربية في زمن محمد (ص) لنسأل الحداد: هل يمكن أن تتوفر ترجمة توراة اليهود المتصارعين مع النصارى دون أن يتوفر لدى النصارى ترجمة واحدة أو أكثر لإنجيلهم لاستخدامه في ممارسة دينهم وللدفاع عن عقيدتهم؟

ونحن نستطيع تفنيد ادعاءات الحريري في أن القرآن من ترجمة أو من "إنتاج" ورقة بالاستناد إلى حقائق ثابتة أخرى لا ينالها أي شك. فنحن إذا سلمنا بادعاء الحريري يكون ورقة قد شرع في همس الوحي في إذن محمد (ص) وهو في عمر يناهز المائة سنة وفي

وقت كان أصمَّ وأعمى متقلاً بالمرض.[٣٣] فهل يعقل أن يتمكن هذا الإنسان بوضعه هذا من همس وحي يتناسب مع الأحداث الثائرة فيجهر بعدائه للكفار ويحاججهم في معتقداتهم ويتوعدهم ويتحداهم في عقر دارهم ويهددهم بأسوأ العواقب وبئس المصير؟ ولو كانت آيات القرآن تتحدث في عموميات من التعاليم فربما قلنا بأن ورقة كتب القرآن كاملاً وسلمه لمحمد (ص) الذي أخذ يقسطه على المسلمين بالتقسيط. ولكن آيات القرآن نزلت في معظمها أجوبة على أمور دينية ودنيوية وردود أفعال لأحداث كانت تقع في المجتمع فتنزل الآية أو الآيات التي تتناسب مع الحدث. فهل عرف القس وهو في الثالثة أو الرابعة بعد المائة من العمر بالهيجان الاجتماعي الذي سيهز المنطقة خلال عشرين عاماً تَلَتْ وفاته؟ ولو تناسينا تجاوزاً هذا الاعتراض وقلنا بأن ورقة كتب القرآن قبل خمسين أو ستين سنة من وفاته لتساءلنا: لماذا لم يُكبِّد نفسه عناءَ نشرِ قرآنهِ "النوفلي" بنفسه؟ هل بخل على مجتمع مكة بما أنجز؟ هل كان ضعيف الحجة وأضعف من أن يتصدى لمثل هذا الشأن أم أنه لم تكن له أية علاقة بكل ما أراد الحداد والحريري نسبه إليه على الإطلاق؟ وهذا هو الأرجح والأقرب لكل منطقٍ وعقل!

ألا تثبت وحدة الأسلوب الإعجازي في القرآن بما لا يقبل الشك وحدة المصدر ووحدة صياغة الآيات؟ لو كان ثمة أثر لأسلوب دخيل لما غاب الأمر عن الثقات من المتأدبين العرب، منهم الصحابة ومنهم علماء اللغة والفقه على مدى ألف وأربعمائة عام.

وفيما يلي نأتي على أمثلة من الآيات في بعض السور لنوضح عبث ادعاءات الحريري والحداد:

– تقول الآية ٢٦ من سورة البقرة: "**إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما.**" نزلت هذه الآية بعد نزول آية فيها تشبيه ببيت العنكبوت. فما أن اطلع خصوم النبي على النص حتى استخدموها وسيلة للغمز فتساءلوا ساخرين: أرأيت حديث ذكر الله للذباب والعنكبوت؟

---

[٣٣] - بدأ نزول الوحي على محمد وهو في الأربعين من عمره.

فالمناسبة كانت بنت يومها آنئذٍ ولا يمكن لورقة أن يعرف عنها شيئاً خلال الـ ٤٤ سنة إياها.

- والآية ٢٠٧ من سورة البقرة تقول: " **ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد.**" مناسبة الآية أن صهيباً اتجه من مكة إلى المدينة مهاجراً فلحق به قوم من قريش بنية الأذى فأدركوه. فنزل عن راحلته وأخرج سهامه كلها وخاطب ملاحقيه: أمامكم خياران: أنتم تعلمون أني من أقدر الناس على الإصابة في الرمي. ولن يصل أحد منكم إلا بعد أن أرمي كل السهام التي في كنانتي. ثم أضرب بسيفي حتى يتحطم. وبعد ذلك يحصل بي ما يحصل. أما الخيار الثاني فأنا على استعداد لإرشادكم إلى مالي في مكة لتأخذوه وتكفوا عن ملاحقتي. فاختار القرشيون المال. فنزلت الآية. فأين ورقة بن نوفل من ذكر مثل تلك الواقعة في الوحي وفي القرآن؟

- نقرأ في سورة النازعات وهي مكية: " **يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها** " ونجد في تفسير الجلالين المناسبة التي استدعت نزولها فنقرأ: "..**أن مشركي مكة سألوا النبي فقالوا: متى تقوم الساعة؟ استهزاء منهم، فأنزل الله الآية.**" (الجلالين، صفحة ٨١٤)

إننا عندما نقرأ هذا التفسير نكتشف واقعية محمد (ص) وعدم تصديه للإجابة بجواب مزيف يُكتشف زيفه بعد قليل. بل إننا نلاحظ أن محمداً (ص) لم يلجأ إلى صنع العجائب لإثبات ما لديه. فلم يحيي الموتى ولم يمش أمام جنود إسرائيل، كما جاء في كتاب اليهود، العهد القديم، لينتصروا على أعدائهم.

- أما سورة الإخلاص التي نرى لها وقعاً لا يقدر على معتقد المسلمين فهي نزلت في مناسبة محددة حين طلب المشركون من محمد (ص) أن ينسب لهم ربه. فأجاب: "**قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.**"

- وتقول سورة النصر: "**إذا جاء نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا، فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا.**" فهذه السورة نزلت بعد فتح مكة ومن الصعب أن يكون لها علاقة بورقة الذي كان قد توفاه الله قبل حوالي عشرين سنة.

– ونقرأ في سورة المدثر: **يا أيها المدثر. قم فأنذر.** متى "كتب" ورقة هذه السورة؟ هل ترجمها من العبرانية في وقت سابق فرآى محمداً (ص) مدثراً فأمره منذ ذلك الوقت بالقيام والإنذار؟ أم هل رآه مدثراً خلال الدعوة عندما كان أصممَّ أعمى عليلاً؟

– وسورة المسد التالية مثال يحمل مؤشرات أخرى. فقد نزلت تندد بأبي لهب عم محمد (ص) وبزوجة عمِّهِ وتبشرهما بالجحيم لدفاعهما عن الوثنية في مكة ولمكافحتهما لمحمد (ص) وظهورهما ضد الدعوة. وهذا هو نصها:

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

تتميز هذه السورة التي نزلت في حياة ورقة خلال العام الأول من الدعوة، أي عندما كان ورقة قد بلغ المائة وسنة من عمره بالتهديد والوعيد وبالموقف الصلب ضد الوثنية. وكل آيات السورة تنبض بالبأس الشديد لصاحب إرادة قرر ألا يتقهقر في كفاحه ضد الأصنام. فهل كتب ورقة بن نوفل هذه السورة والعديد السورة قبل حصول "الملحمة بين محمد (ص) وعمه خلال الـــ ٤٤ سنة إياها أم بعد أن أصبح مريضاً أصمَّ وأعمى لا يكاد يدرك ما يجري حوله؟

– وآية أخرى استخدمها الحريري لإثبات جشع الإسلام نحو المغانم والتي سنتعرض لها فيما بعد بالتفصيل. فالآية تُنذر كل مسلم محارب بألا يعرقل استسلام الجنود الجانحين إلى الاستسلام ويهددهم بمصير قاتم في الآخرة. (السورة الرابعة، النساء/الآية ٩٤) وكل ذلك حدث بعد وفاة ورقة بعشر سنين. فهل كتب ورقة الآية قبل وفاته أم بعدها ؟

– ونذكر هنا في هذا الصدد سورة الكهف عندما أراد بعض اليهود إحراج محمد (ص) بسؤاله عن الروح وعن أهل الكهف فطلب منهم التريث يوماً. وفي اليوم التالي كرر طلب الانتظار. واستمر الوحي غائباً عنه لمدة خمسة عشر يوما ثم نزلت سورة الكهف. فلو كان الوحي جاهزاً قد هيأه قبل وفاته لما فتر الوحي!!

إني لا أريدِ الاسترسال في ذكر الأمثلة وإنما أقول: لا يوجد صفحة من صفحات القرآن ولا سورة من سوره إلا وفيها آيات لها مناسبات لا يمكن أن يكون لورقة فيها أي دور. وبذلك تسقط النظرية التي تتحدث عن دورٍ ما لورقة في كتابة القرآن أو صياغته.

أرقام قرآنية

كتب الحريري حول نوعية الأعمال التي نشط فيها القس بقوله: "**تذكر بمهمة القس ورقة التي عُرف بها ولم يُعرف بغيرها، وهي، كما جاء على لسان المحدثين وفي صحيح مسلم وصحيح البخاري وأغاني أبي الفرج الإصفهاني، وابن كثير، وغيرهم...أن القس ورقة كان ينقل الإنجيل العبراني إلى العربية.**" (حريري، صفحة ٧١)

لنقم بعملية حسابية بسيطة حول سرعة ترجمة ورقة للقرآن! فعدد آيات القرآن هو ٦٢٣٦ آية. فإن كان ورقة ترجمها خلال ١٥ سنة = ٥٤٧٥ يوما، يكون ورقة قد ترجم ١,٣ آية في اليوم الواحد! أما إذا أنجز الترجمة خلال ٤٤ عاماً (حسب رواية الحريري) = ١٦٠٦٠ يوماً يكون ورقة قد ترجم ثلث آية في اليوم الواحد. فهل لنا أن نضع في خلفية أفكارنا هذا الإنجاز من رجل لم تُعرف له أية مهنة سوى ترجمة الإنجيل؟ وما هذا الإنجاز لرجل عالم نذر نفسه لعمل واحد حدده لنا الحريري: ترجمة الإنجيل؟

وعندما يدعي الحريري والحداد في مواقع متعددة بأن ورقة ترجم الإنجيل بحضور محمد (ص) خلال خمسة عشر عاماً نسأل: ماذا كانت مهمة محمد (ص) عندما كان ورقة يمسك القلم ويترجم؟ هل كان يصفف كلمات آية وثلث الآية خلال اليوم الواحد؟ هل كان يرهق نفسه بحفظ آية وثلث في اليوم الواحد؟

إننا لا نستطيع إذن سوى أن نقول بأن وفاة القس ورقة، خال زوجته الأمينة الوفية، أحزن محمداً (ص). لا أكثر ولا أقل، ولا حاجة لتحميل الأمور ما لا تحتمله.

ومما يثير الاهتمام أن الحريري يدعي تارة بأن الإنجيل العبراني غير موجود ولم يبق له أثر سوى مقتطفات منه متناثرة في كتب متفرقة وفي الكتب اللاهوتية الشائعة قديماً

بينما يقلب الصورة في تارة أخرى فيجعله شديد الانتشار[٣٤]. ففي الصفحة ٢٨ كتب: "**والكتاب الذي كان القس يعكف على نقله وتعريبه هو "الإنجيل العبراني" المعروف لدى آباء الكنيسة والواسع الانتشار في الأوساط النصرانية. فالقديس جيروم وجده في حلب ونقله من الآرامية إلى اللاتينية واليونانية، واستشهد به أغناطيوس الانطاكي في انطاكيا، وقرأه أوريجينوس في الاسكندرية وكذلك كليمنضوس الاسكندري، وأبيفن في قبرص، والقديس ايريناوس في ليون بعد آسيا الصغرى.**" إن هذا الاقتباس يكشف لنا تقصيراً في أسلوب الكاتب. فبينما يوثق بالمراجع والأرقام والصفحات وجود ذلك الإنجيل في كل مكان مذكور في الاقتباس نجده يتابع من عنده فيكتب: "**...ونقله القس ورقة في مكة إلى العربية.**" (ذات الصفحة) وتبقى هذه الجملة بدون أي توثيق على الإطلاق! وإهمال باحث يدعي العلم لعملية التوثيق الأمين عند الحاجة الماسة يعتبر من أساليب التزييف.[٣٥]

من طرائف الحداد تأكيده أن الإنجيل حسب العبرانيين يشبه إنجيل متى فيقول:
"**من الشواهد التي نقلها علماء المسيحية نرى أن الفوارق طفيفة بين إنجيل النصارى والإنجيل بحسب متى عند المسيحيين.**" (حداد، صفحة ١٠٥)
يبدو لنا أنه نسي ما كان قد كتبه في فصل سابق حيث كتب:

---

[٣٤] – **كيف يكون [الإنجيل العبراني] واسع الانتشار في الأوساط النصرانية بكل مكان وبين أيدي آباء الكنيسة في الاسكندرية وأنطاكيا والجزيرة العربية، ثم يزول فجأة ويختفي من التداول ليس في بلاد الإسلام فقط بل في كل مكان حتى البلدان النصرانية التي لم يكن للإسلام عليها سلطان." (عمران، ٩١ – ٩٢)**

[٣٥] – أورد الحريري إثباتات حول وجود إنجيل عبراني من أوسابيوس، (+٣٤٠)، أوريجينوس، (+٢٥٢)، اكليمنضوس الإسكندري، (+٢١٦)، أبيفان، (+٤٠٣)، أريناوس، (+٢٠٨)، جيروم، (+٤٢٠)، أما في عام ١٩٢٢ فقد كتب الأب "لا غرانج" "**والجدير بالذكر أنه لم يبق لنا من نصوص هذا الإنجيل إلا الشيء القليل، في بعض كتابات الآباء والمؤرخين.**"..."**ويبدو أن هذا الإنجيل كان واسع الانتشار، بحسب شهادات الآباء الذين نقلنا عنهم. لقد كان بين يدي اغناطيوس الأنطاكي في أنطاكيا، وأوريجين واكليمنضوس في الاسكندرية، وجيروم في حلب، وأيريناوس في آسيا الصغرى، وربما في مكة أيضاً.**"...."**ويبدو أيضاً أنه ترجم إلى لغات متعددة: وُضع في الأصل باللغة الآرامية، ثم نُقل إلى اليونانية، ثم إلى اللاتينية، وربما إلى العربية أيضاً.**" (حريري، صفحة ٧١ – ٧٥)

"يقبل الإبيونيون إنجيل متى وحده ويسمونه "الإنجيل حسب العبرانيين"، وهو نفسه إنجيل متى الآرامي ولكنه ناقص ومحرف ومزيّف." (حريري، صفحة ٢١) فهل هي فوارق طفيفة التي يُعَبَّرُ عنها بـ "نقص وتحريف وتزييف؟

يصر الحريري على أن ورقة هو المترجم للإنجيل العبراني ويسمي هذا الإنجاز نجاحاً ثانياً له فيكتب:

"أما النجاح الثاني الذي تحقق على يد القس فيقوم على نقل الإنجيل العبراني إلى لسان عربي مبين. وسُمّيَ النقل قرآناً! والقرآن هو في حقيقته القراءة العربية للكتاب العبراني. إلا أن ناقلها "تصرف" بها بما يناسب أحوال مدعويه." (حريري، صفحة ٢٠)

كيف يقلب الحريري الظن إلى يقين؟ وكيف كتب أن الإنجيل "ربما" تُرجم إلى العربية ليجزم بأنه تُرجمَ؟ ومن قال بأن ورقة نقل الإنجيل العبراني إلى العربية؟ لقد قرأنا بالطبع الاستشهادات التي جاء بها الحريري حجةَ إثباتِ أن ورقة عرَّب الإنجيل، ونعيد إيرادها من كتابه حرفياً:

"كان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب." (صحيح البخاري، شرح الكرماني، ج ١، ٣٨ – ٣٩)

"كان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب." (صحيح مسلم ج ١، ٧٨ – ٧٩)

"كان امرأً تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب بالعبرانية من الإنجيل ما شاء أن يكتب." (الأغاني ج ٢ ، ١١٤)

"وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب." (ابن كثير، السيرة النبوية ج ١، ٣٨٦)

فهل في ذلك أي دليل منطقي يسمح بالادعاء بأن القس عرَّبَ الإنجيل؟

نحن نجد حسب ثلاثة استشهادات من الأربعة التي اختارها الحريري أن ورقة كان يكتب بالعبرانية. فقط في واحد منها جرى الحديث عن كتابة "من" الإنجيل بالعربية. فلا البخاري ولا مسلم ولا أي إنسان تحدث عن إنجاز ترجمة إنجيل متكامل إلى كتاب متكامل بالعربية. والقول بأنه كان يترجم الكتاب والإنجيل غير دقيق لأنه لا يوجد أي

مرجع تحدث عن "ترجمة" وإنما عن "نقل". والنقل قد يعني الترجمة ولكنه لا يتطابق معها.

فما هو الواقع؟ هذا ونحن نجد الكلمات: "**ما شاء الله أن يكتب.**" فهل يجوز أن نشتق منها أنه ترجم كتاباً كاملاً؟

ونلاحظ أن الاقتباسات الأربعة تحدثت عن "**كتابة من الإنجيل**" أي "**أجزاء** من كلٍّ". ولو كان "فعلُ" الترجمة يقصد كامل الكتاب لوجدنا في هذه الاقتباسات أو في أي مكان آخر من مراجع التاريخ العربي أو الأجنبي ذكراً واضحاً ينم على ذلك. والحداد وثّق لنا جزئية الترجمة بحديثه عن "**ترجمة بعضهم (كورقة بن نوفل) أجزاء من الأناجيل إلى العربية.**" [٣٦] إن الكلمتين: " **نَقَلَ مِنْ** " هي تعبير مطاط قد يعني فقرات أو صفحات ولكنه حتماً لا ينم على ترجمة كتابٍ بكامله.

الإنجيل الضائع في رمال مكة

عجيب أن الحريري لم يتحدث عن توفر نسخة من ذلك الإنجيل في مكة. وعجيب أنه يشكك في ترجمته إلى العربية. ولكنه في ذات الوقت يكافح بعناد عجيب وبدون أي مسوغ لإقناعنا بأن القس عرّب هذا الإنجيل بالذات ثم جعل منه الوحيَ الذي سَيَهْمِسُ به في آخر المطاف في أذن تلميذه محمد (ص). ولا يكتفي بذلك وإنما يتوقّعُ تَوَقُّعَ العارفِ والجازمِ أن الإنجيل مخفي في أرض مكة ويطالب بالسماح للمنقبين بالبحث عنه "..**فيتاح للمنقبين في آثار مكة وتحت رمالها اكتشاف تلك الترجمة الثمينة. وما دام ذلك مستحيلاً يبقى لنا [أن] نتحسر عليها وعلى صاحبها إلى الأبد....وقد يكون القرآن العربي هو هذا الأثر.**" (حريري، صفحة ٧٥)

قد نتفهم أن الجزيرة العربية أخفت أو أحرقت الإنجيل العبراني في مناطق نفوذها. ولكن نفوذها آنذاك لا يطال البيزنطيين ولا روما ولا إسبانيا ولا مصر ولا بلاد الشام. فهل استأصل كل هؤلاء ذلك الإنجيل وأخفوا أثره؟ ويتابع الحريري استنتاجه موحيا بأن

---

[٣٦] – علينا الانتباه إلى كلمة أجزاء من عدد من **الأناجيل** وليس من إنجيل واحد.

اختفاء الإنجيل العبراني يدل على أن القرآن هو ذلك الإنجيل. وهذا تطاول على الحقيقة وعلى المنطق يسهل على المرء إطلاقه ما دام لا يمكن التحقق من صحته. فلو كان الإنجيل العبراني هو أصل القرآن لوجدنا التعاليم القرآنية المميزة ضمن الاقتباسات التي يتحدث عنها وفي الكتب اللاهوتية الشائعة في أنحاء أوربا وآسيا الصغرى. ولا نعتقد إلا أن مكتبة الفاتيكان، التي تحوي من كنوز المعرفة أكثر من أي مكان آخر على وجه البسيطة، تمتلك كتاباً كهذا لو كان موجوداً. وإن كان الأمر كذلك فلا بد أن للحريري من المكانة في جامعة الروح القدس في الكسليك/جونية/لبنان ما يسمح له بالاطلاع على مقدسات مكتبة الفاتيكان. ولو وجده لنشره على الفور ليثبت ادعاءاته المختلقة.

كم يؤلم أسلوب الحريري في تعاطيه مع الموضوع الذي يطرقه. فبعد أن أثبت وجود هذا الإنجيل في أماكن كثيرة استناداً إلى توثيقات أجنبية غزيرة نجده يؤكد اختفاء نسخه من جميع الأمكنة التي حددها لنا. وجميعها أمكنة متباعدة ومنتشرة ويتكلم أهلها بلغات عديدة، ومعظمها متنافر في اتجاهه اللاهوتي. ولكن الحريري لا يوجّه اللوم على تغييب او استئصال هذا الإنجيل من جميع تلك البلاد المسيحية إلى أي إنسان في تلك المناطق وإنما يختار مكة بالذات ليحملها مسؤوليةَ فقدانِ إنجيلٍ وجودُهُ فيها وهمٌ أكثر من كونه حقيقةً، فيعيده إلى ظلم رمال مكة.!! نقول "وجودُهُ وهمٌ أكثر من كونه حقيقةً" لأن الحريري نفسه لا يجزم بوجود هذه الترجمة. فهو يقول عن ذلك الإنجيل:

"وُضع في الأصل باللغة الآرامية، ثم نُقِلَ إلى اليونانية، ثم إلى اللاتينية، وربما إلى العربية."[٣٧]. ويأخذ كلام الحريري عن الاختفاء المزعوم من مكة أسلوباً تشع منه مشاعر الحقد والنقمة المضمرة حيث يقول:

بقي علينا أن نعرف شيئاً عن الترجمة العربية نفسها. لكن هذا منوط حقاً برحمة من التاريخ. ولولا ستحق[٣٨] هذه الرحمة لاكتشف المنقبون في آثار مكة وتحت رمالها الظالمة تلك الترجمة الثمينة. إلا أن الظلم أودى بالترجمة وبصاحبها إلى الأبد."[٣٩]

---

[٣٧] – صفحة ٧٢ من حريري طبعة ١٩٧٩ و صفحة ٧٤ من طبعة ١٩٨٥. في نسخة ١٩٨٥ أضاف الحريري كلمة: " أيضاً ".

على أسس مثل: "وقد يكون"، و" قيل " و " يقال "، وعلى إنجيل عبراني "**ربما كان موجوداً في مكة**" أو "**ربما تُرجم إلى العربية**" يريد الحريري تأسيس "قلاع فكرية" بأكملها وإقناع الناس بآراء لا سند لها وتتضارب فيما بينها وثَبَّت بعضها عكس ما يريده الحريري.

ونبقى في موضوع الترجمة لنقرأ ما نقله الحداد عن الصحيحين "**بأن ورقة بن نوفل، قس مكة، كان يترجم الكتاب والإنجيل من العبرانية إلى العربية، وذلك بجوار محمد وحضوره.**" (حداد، صفحة ٢١١) فماذا كان "التلميذ" محمد (ص) يفعل بجوار القس أثناء الترجمة؟ هل ترجم معه؟ هل كتب له النص العربي؟ هل صاغ له لغة الترجمة ليجعلها تليق بمقام الدعوة؟

لم يتوان الحريري عن القول بأن ورقة هو النبي الحقيقي. فلماذا انتظر النبيُّ الحقيقيُّ نبياً بالوكالة؟ لماذا تأخر حتى ابتلاه الله بالصمم والعمى قبل أن يكلف محمداً (ص) بنشر الدعوة؟ ألم يخش أن يتوفاه الله قبل أن يأمر محمداً (ص) بالانطلاق؟ هل كان من الجائز أن يمسك ورقة بالدرر التي ترجمها فيحجبها عن المجتمع الذي كان متعطشاً إليها؟

ورقة يزوج محمداً (ص) من خديجة (ر)

إن هذا الزواج يأخذ وضعاً مفصلياً في الإجابة على الحريري. فمن خلال دراسة هذا الحدث من مختلف جوانبه نوضح مجدداً بأن لا دور لورقة في أي تأثير على محمد (ص)!. وجوابنا يتطلب قراءة متأنية لأننا سنبدو وكأننا نلعب معه الشطرنج. فهو يعلمنا في الجملة الأولى من صفحة ٣٧ بان أبا طالب "**ألح**" على محمد (ص) أن يعمل عند خديجة (ر). فــ "**راح محمد يعمل في تجارة خديجة بصدق وأمانة، وراحت هي تدفق عليه الأموال وتعطيه ضعف ما تعطي رجلاً من قومه.**" وبعد مضي فترة من التعامل معه

---

[٣٨] – هذه الكلمة غير واضحة في النسخة الصورة التي بين أيدينا. فهل هي: تستحق؟ لكن المعنى الحاقد بقي واضحا على كل حال.

[٣٩] – صفحة ٧٣ من طبعة عام ١٩٧٩)

والثقة به " أرسلت إليه ذات يوم خادمتها "تفيسة" تفاوضه في الزواج منها. وروت لنا "تفيسة" قائلة: فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت: فإن كفيت ذلك ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية، ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قلت بلى. وأنا أفعل. فذهبت فأخبرتها. فأرسلتْ إليه أن أتت الساعة كذا وكذا." (نقرأ في طبقات ابن سعد، صفحة ١٣٢ أن خديجة (ر) أرسلت أختها إلى محمد (ص) وليس نفيسة.)[٤٠]

ويتابع الحريري كلامه فيقول:

"وعندما بلغت الساعة الحاسمة، أرسلت خديجة إلى أعمامها فحضروا. وأرسل محمد إلى أعمامه فحضروا أيضاً. واجتمع الناس. وخطب وليّ أمره أبو طالب وقال:[٤١] "...وابن أخي له في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك." وخطب القس ورقة وليّ أمر خديجة وقال: "الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضلنا على ما عدَّدت. فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله. لا ينكر العرب فضلكم. فاشهدوا عليَّ يا معشر قريش. إني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله." وفرح أبو طالب فرحاً شديداً، وقال: "الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم." وقال أيضاً عن ابن أخيه: "وهو، والله بعد هذا (الزواج) له نبأ عظيم وشأن خطير." (حريري، صفحة ٣٨)

قبل أن نشرع في تمحيص كلام الحريري نأتي بالاقتباس كاملاً من السيرة الحلبية لنواجهه بما اقترف من "تعديلات" تؤدي إلى تشويه المعنى:

"وفي الشرف أن خديجة رضي الله تعالى عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إذهب إلى عمك فقل له تعجل إلينا بالغداة فلما جاءها معه رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت

---

[٤٠] - نقرأ في السيرةالحلبية/المكية "وفي الإمتاع بعد أن ذُكِرَ أن السفير بينهما نفيسة بنت منية ذُكر أنه قيل كان السفير بينهما غلامها وقيل مولاة مولدة. وقد يقال: لا منافاة لجواز أن يكون كل ممن ذُكِرَ كان سفيراً." (الحلبية/المكية ج ١ صفحة ١٣٨) اللطيف في الأمر أن هذا المرجع وكل المراجع القديمة الأخرى ذكرت عدداً من الوسطاء دون أن يأتي في أي منها ذكر لورقة بن نوفل!

[٤١] - لقد جزم الحريري جزماً بأن ورقة هو الذي تحدث بوصفه وليّ أمر خديجة (ر) ولم يذكر ما جاء في كثير من أمهات الكتب بأن عمها هو الذي أجاب على خطبة أبي طالب وبأن القول بأن ورقة هو الذي تكلم لا يعدو كونه احتمالاً.

له: يا أبا طالب تدخل على عمي فكلمه يزوجني من ابن أخيك محمد بن عبد الله فقال أبو طالب: يا خديجة لا تستهزئى. فقالت: هذا صنع الله. فقام فذهب وجاء مع عشرة من قومه إلى عمها ...[وكان] أن أبا طالب خطب يومئذ فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسمعيل وضئضىء معد أي معدنه وعنصر مضر أي أصله وجعلنا حضنة بيته أي المتكفلين بشأنه وسوّاس حرمه أي القائمين بخدمته وجعله لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا حكام الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وإن كان في المال قِلّ فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتا عشرة أوقية [٤٢]... قال النووي وعند ذلك قال عمها عمرو بن أسد: هو الفحل لا يقدع أنفه وأنكحها منه وقيل قائل ذلك ورقة بن نوفل اي فإنه بعد أن خطب أبو طالب بما تقدم خطب ورقة فقال: الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ورغبتنا

---

[٤٢] – نضيف هنا ما حذفناه من موضعين من كامل الاقتباس. حذفناه من النص لأنه يرهق القارئ دون أن يمس موضوع الزواج. وأدرجناه في الحاشية لكيلا يظن أحد بأننا حذفنا من أجل تزيف المعنى:

" الحديث أي وفي رواية ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر ولا مخالفة لجواز أن يكون المراد ببني هاشم أولئك العشرة وأنهم كانوا هم المراد برؤساء مضر في ذلك الوقت وذكر أبو الحسين بن فارس وغيره"

"ونشا أي وهو عشرون درهما والأوقية أربعون درهما أي وكانت الأواقي والنش من ذهب كما قال المحب الطبري أي فيكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي وقيل أصدقها عشرين بكرة أي كما تقدم أقول لامنافاة لجواز أن تكون البكرات عوضا عن الصداق المذكور وقال بعضهم يجوز أن يكون أبو طالب أصدقها ما ذكر وزاد صلى الله عليه وسلم من عنده تلك البكرات في صداقها فكان الكل صداقا والله أعلم قال وما قيل إن عليا رضي الله تعالى عنه ضمن المهر فهو غلط لأن عليا لم يكن ولد على جميع الأقوال في مقدار عمره وبه يرد قول بعضهم وكون علي ضمن المهر غلط لأن عليا كان صغيرا لم يبلغ سبع سنين أي لأنه ولد في الكعبة وعمره صلى الله عليه وسلم ثلاثون سنة فأكثر وسنه حين تزوج خديجة كان خمسا وعشرين سنة على ما تقدم أو زيادة بشهرين وعشرة أيام وقيل خمسة عشرة يوما على ما يأتي وقيل الذي ولد في الكعبة حكيم بن حزام قال بعضهم لا مانع من ولادة كليهما في الكعبة لكن في النور حكيم بن حزام ولد في جوف الكعبة ولا يعرف ذلك لغيره وأما ما روى أن عليا ولد فيها فضعيف عند العلماء.

في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش إني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله وذكر المهر. فقال أبو طالب: قد أحببت أن يشركك عمها فقال عمها: اشهدوا علي معاشر قريش انى قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد، وأولم عليها صلى الله عليه وسلم: نحر جزورا وقيل جزورين وأطعم الناس وأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن الدفوف وفرح أبو طالب فرحا شديدا وقال الحمد الله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الغموم وهي أول وليمة أولمها رسول الله صلى الله عليه وسلم. (السيرة الحلبية، ج: ١ ص: ٢٢٦)

قبل الخوض في معالجة موضوع الزواج نشير إلى استخدام الحريري لتعبير: "**وراحت هي تدفق عليه الأموال وتعطيه ضعف ما تعطي رجلاً من قومه**" فلماذا "تدفق" عليه دفقاً إن كانت قد عقدت معه عقداً ثابتاً في التاريخ يحصل فيه على ضعف ما يتقاضاه رجل آخر من قريش؟ هل نلحظ التمهيد النفسي الموجه والإيحاء غير المباشر- الذي يلجأ إليه الحريري ليشوه الصورة؟

نعود الآن إلى موضوع "التزويج": إن ادعاء الحريري بأن ورقة بن نوفل هو وليّ أمر خديجة (ر) زائف قطعاً. فلا يوجد أي نص يذكر ذلك! حتى ما كتبه الحريري في الاقتباس السابق ناقض به نفسه عندما أقر بأن خديجة (ر) أرسلت إلى أعمامها فحضروا وأرسل محمد (ص) إلى أعمامه فحضروا. إذن فورقة لم تُذكر دعوته مع الأعمام لآنه أدنى مرتبة منهم ولأنه ليس وليّ خديجة (ر)!! ويؤكد لنا النص أن خديجة (ر) هي التي قامت بالمبادرة وسألت محمداً (ص) أن يتزوجها. ونجد أيضاً أن عم الرسول، وهو وليّ أمره، هو الذي افتتح حفل الزواج بخطبة زكّى بها محمداً (ص) بأعذب الكلام.

وبعد كلام أبي طالب تسلم عمرو بن أسد، وليُّ أمر خديجة (ر)، الكلام فثنّى على ما قاله أبو طالب وأثنى على محمد (ص) ثم قال بأنه يُنْكِح، أي يزوج، خديجة (ر) لمحمد (ص). وتستدرك السيرة الحلبية مشيرةً إلى الاحتمال الآخر بأن ورقة هو الذي قال ذلك. ويبدو من هذا الاستشهاد ومن غيره أن ورقة قال: "**فاشهدوا علي معاشر قريش إني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله.**"

هنا نجد أن الحريري أخفى جزءاً أساسياً من النص الأصلي وهو: "**ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم ورغبتنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم**". فهذه الكلمات تحدد المكانة الأسمى لآل أبي طالب وتضع مكانة آل ورقة في مكانة تالية لمكانة أبي طالب الذي بَيَّنَ في خطابه أن عائلته هي الطبقة الحاكمة المكلفة برعاية البيت الحرام وبحمايته واستتباب الأمن فيه. هذا وإن إجمال مثل هذا النص في خطبة آل الزوجة لا ينم في أي حرف من حروفه على كون الكلام صادراً عن قس أو يحمل أي معنى نصراني وإنما يعرب عن تقدير أهل العروس لشرف أهل الزوج وعن رغبتهم بالاتصال بحبلهم.

ونكتشف أيضاً عند هذا الموضع تزييفاً أساسياً آخر ارتكبه الحريري عندما شطب نصاً مهماً من الاقتباس الأصلي، ألا وهو الاعتراض الواضح الذي صرَّح به أبو طالب عندما لم يرضَ ولم يكتفِ بصدور قرار التزويج من قبل ورقة بن نوفل وإنما أصرَّ على أن يصدر هذا القرار عن عم خديجة (ر). ولو كان ورقة هو وليَّ أمر خديجة (ر) لما احتجَّ أبو طالب ولما طلب أن يتم إشهار الإنكاح من قبل وليّ أمر خديجة (ر) الحقيقي. وبعد ذلك فقط ابتدأ الاحتفال.

ومن أجل وضع النقاط على الحروف نؤكد أن طلب الزواج تقدم به أبو طالب وبأن الموافقة على الإنكاح المعترف بها صدرت عن عم خديجة (ر). فلا يوجد أي علاقة رسمية لورقة في أي مرحلة من مراحل هذا الزواج.

ومما يلفت النظر ورود كلمة أبي طالب لخديجة (ر): "**لا تستهزئي**" عندما أعلمته بعزمها على الزواج من ابن أخيه. وكلمته هذه تدل على أنه فوجئ من رغبة خديجة (ر) بالزواج من محمد (ص). وهذا يدحض مقولة الحريري في أن أبا طالب كان شريكاً في "**المخطط الذي يتنفذ على يد أبي طالب وخديجة.**" أو المقولة الأخرى: "**ولم تبخل علينا كتب السير والأخبار في ما كان عليه القس والعم والزوج. لقد كان لكل منهم دوره في ما دبَّرَ الله على أيديهم المباركة.**" (حريري، صفحة ٣٨)

وثالث أساليب التزييف الماكر لمضمون الاقتباس السابق هو ما نراه عندما قَصَمَ الحريريُّ وحدةَ خطابِ أبي طالب أمام جموع الحفل ليتلاعب في المضمون. فقد بدأ الحريري نص اقتباسه ابتداء من كلمات محددة مخفياً ما قبلها:

"...وابن أخي له في خديجة بنت خويلد رغبة..." وهذه الطريقة غير أمينة لأن النص الأصلي ابتدأ بـــ :

" الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسمعيل وضئضيء معد أي معدنه وعنصر مضر (أي أصله) وجعلنا حضنة بيته أي المتكفلين بشأنه وسواس حرمه (أي القائمين بخدمته) وجعله لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا حكام الناس ثم إن ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله إثنتا عشرة أوقية ..."

كلمة أبي طالب قاطعة في معناها وتحدد بكل وضوح سمو فرع عائلته على فرع ورقة بن نوفل من ناحية الجاه والمكانة. لكن التزييف الأهم نكتشفه عندما "يخلع" الحريري كلمات أبي طالب التسعة التالية من مكانها الأصلي في صلب النص: " **وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل.**" ليلصقها في نهايته، جاعلاً الكلمات التسعة وكأن أبا طالب ألقاها بعد إتمام الزواج: "**وهو، والله بعد هذا (الزواج) له نبأ عظيم وشأن خطير.**" (لم ترد كلمة "الزواج" في المرجع الأصلي ولكن الحريري أضافها ظلماً وكأنها تفسير لـــ "**بعد هذا**"! والتزييف يكمن في أن أبا طالب قال كلماته هذه في سياق الفخر بالمحتد وكيل المديح لمحمد (ص). فكلمة "**بعد هذا**" تعني حصراً: "...واستناداً إلى كل هذه الصفات الحميدة التي يتميز بها ولدنا محمد (ص) سيكون له نبأ عظيم وخطر جليل." وكتب د. حومد عن هذه النقطة: "**والغريب أن يفهموا** [المقصود الحريري وأمثاله] **من قول أبي طالب (وهو والله بعد هذا) على أنه يقصد (بهذا) الزواج من خديجة، مع أنه يريد به – كما يفهمُ النصَّ من له إلمام معقول باللغة العربية – أن محمداً فوق هذا كله، وما جرى الحديث عنه من فضائله، وشرف بيته، وكرم نفسه..فإنه سيكون له شأن خطير.**" (د. حومد، صفحة ٣٦)

أما الحريري فحوَّرَ مكان الكلمات بقصد تغيير المعنى ليرسخ في فكر القارئ أن مصير محمد (ص) سيكون خطيراً وذا شأن **نتيجةً** لهذا الزواج. وهذا كلام مردود على الحريري وخاصة عندما حشر كلمة (الزواج) حشراً كاذباً.[٤٣]

هذا ولقد تحرينا المراجع لنكون أمينين على المصداقية فوجدنا أن عملية اجتثاث الحريري للنص من مكانه ونقله إلى مكان آخر ثابت عليه ويؤكد عزمه على تشويه الحقيقة. انظر: "مختصر الجامع في السيرة النبوية" (صفحة، ١٢٢)

ويتابع الحريري تشويه الصور حين كتب:

"**يلاحظ ثانياً أن القس لم يكن حاضراً حفلة الزواج ومتقدماً على الحاضرين وحسب، بل كان محتفلاً بالعقد و"مكللاً". فهو الذي أبرم العهد، وشهد عليه، وأعلن على الحضور ما جرى. هو المحتفل الأول بالعقد، أو قل هو "الكاهن" الذي ربط، باسم الله، ما لا يحله إنسان، بحسب تعليم انجيل الإبيونيين. كاهن نصراني يبارك الزواج، فعلى أي دين يكون الزوجان إذن؟**"[٤٤] (حريري، صفحة ٣٨)

لم يكن ورقة متقدماً ولا محتفلاً ولا مكللاً ولا شاهداً ولا كاهناً وإنما كان أحد الضيوف المدعوين من أقارب الزوجة. وإن كان قد ألقى أصلاً بالكلمة التي "قيل" إنه ألقاها فلا يثبت ذلك أي صفة من الصفات التي انتحلها الحريري له.

فما يا ترى القرينة التي جعلت الحريري يكتشف أن ورقة كان متقدماً على الحاضرين؟ كيف غيَّب أعمام الرسول أبا طالب وحمزة هكذا دفعةً واحدة وهم من نبلاء مكة وحكامها وكل منهم أرقى درجة من ورقة بمراحل كما رأينا في نص الاستشهاد

---

٤٣ – من الزرقاني نتحقق أيضاً من أن الحريري نقل الجملة الحرجة: "**وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم**" من صلب الخطبة إلى نهايتها ليدعم وجهة نظره مزيفاً للواقع. (زرقاني صفحة ٢٠٢)

٤٤ – نجد على الصفحة ١٠٢ من كتاب الحريري نصاً يدعي فيه بأن آمنة وعبد الله والدي محمد "**كانا على الهداية والإيمان.**" ثم يستنتج بأسلوبه المشبوه: **أو قل على النصرانية.**" هكذا وبكل سهولة يستخدم الحريري: "**أو قل**" ليستنتج من هداية وإيمان والدي محمد كونهما نصرانيين.

الأصلي قبل أن يكيّفه الحريري بالشكل الذي يناسبه؟[٤٥] كيف تجاهل سمو أبي طالب الذي كان أكبر شخصية قرشية هاشمية في مكة؟ إنَّ الظلَّ الذي كانت تلقيه مكانةُ أبي طالب في الأوساط المكية على محمد (ص) أدَّت إلى حمايته من جموح سادة قريش الذين قالوا بأن محمداً (ص) استخف بأوثانهم وأصنامهم ومع ذلك لم يجرؤا على محاولات إيذائه إلا بعد وفاة العم. فأين ورقة من كل ذلك؟

وأبو طالب هو الذي وضع القس عند حدّه أثناء الاحتفال فرفض الاعتراف بالكلمات التي "قيل" إنه ألقاها وأصر على صدور نص "الإنكاح" عن عم خديجة (ر)، وليّ أمرها الحصري. أما أن يكون ورقة قد "كلَّل" فهو تجاوز وتطاول مؤسف. فلو "كلَّلَ" لتم الزواج في كنيسة وليس في دار خديجة (ر). ولو كان "كلَّلّ" لما كان نص التكليل على الشكل الذي لا يختلف لا في خطواته ولا في مضمونه عن عقد أي زواج بين أشراف الجاهلية من أهل مكة. فنصوص "التكليل" مختلفة في تفاصيلها ولم يأت في كلام ورقة أي تعبيرٍ يتيمٍ يشير إلى النصرانية أو إلى كنيسة. وكما رأينا قدَّمَ الزوج الصداق لزوجته وليس العكس. كل ذلك يثبت أن ورقة لم يحضر حفل الزواج إلا بصفته أحد أقرباء خديجة (ر) وليس ككاهن ولا لكونه متقدماً على الحاضرين ولا بصفته وليّ أمر خديجة (ر).

ترى كيف ينسب الحريري إلى ورقة أنه "**هو المحتفل الأول بالعقد، أو قل هو "الكاهن" الذي ربط، باسم الله، ما لا يحله إنسان...**"!!!

بل كيف يجرؤ على هذا الادعاء بعد أن أعلمنا بنفسه أن عم محمد (ص) هو الذي ابتدأ الكلام في حفل الزواج؟

وكيف يطلب منا الحريري هكذا، وبلمح البصر وبدون تقديم أن نقول بأن ورقة كان الكاهن...!! هل فاته أن "الكاهن والكهان" هم رجال "الديانة" الوثنية عند العرب كما يعلمنا الحداد في الصفحة ١٣٨ من كتابه "القرآن والكتاب"؟

---

[٤٥] – يقول د. حومد: " إن قول ورقة (نحن سادة العرب وقادتها) لا يعني به نفسه على التخصيص ولا يعني به عبد العزى عشيرته الأقربين، إنما كان يعني به قريشاً كلها، فالسيادة في قريش لم تكن لورقة، ولا لفخذ ورقة، إنما كانت في بني عبد مناف وعبد الدار وبني مخزوم، ولا يستطيع ورقة ولا أحد من بيت ورقة أن يتطاول إلى مقام الزعامة في قريش وبنو هاشم وبنو أمية وبنو مخزوم وبنو عبد الدار موجودون. " (د. حومد، صفحة ٣٠)

هذا ويجدر بنا هنا التذكير بأن أي زواج منذ أكثر من خمسة آلاف سنة حتى اليوم كان له مقومات أساسية استمر العمل بها في الجاهلية وفي مكة والتي تم حسبها زواج محمد (ص) من خديجة (ر). يقول الزبيدي:

"للزواج عند العرب في الجاهلية يومان:

يوم الإملاك – أي يوم العقد.

ويوم البناء – وهو يوم الدخول.

ففي يوم الإملاك يأخذ ذوو الفتاة زينتهم ويجمعون قاصيهم وينتدون في ساحة دارهم، وفي صدرهم وليّ صاحبتهم "مرتدياً بُردى حبرة" متخلقاً بالخلوق وهنالك يقدم رجال الفتى. حتى إذا اطمأنوا بالمكان أنشأ وليّ الزوج يخطب بالقوم خطبة يكشف فيها عما قدموا له ويعدد المهر عاجله وآجله. فيجيبه ولي المخطوبة بخطبة يضمنها الرضا بالقوم أخداناً وبصاحبهم صهراً. حتى إذا انتهيا ذُبحت الجزور ومُدَّت المطاعم وسُمع الغناء من مجالس النساء. وتسمى وليمة ذلك اليوم "بالنقيعة."

وصيغة العقد عندهم أن يقول الزوج: "خطبٌ" فيقول وليّ الزوجة: " نكِحٌ " (تاج العروس للزبيدي، ج ١ صفحة ٢٥١)

وفي كتاب الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام نقرأ تفاصيل يبدو أن الحداد والحريري لم يطلعا عليها بالرغم من دلالتها على أن عقد زواج محمد (ص) كان يتماشى مع الأصول المتبعة في الجاهلية."[٤٦]

كيف يطلب منا الحريري اعتبار ذاك الاحتفال نصرانياً بالرغم من فقدان عناصر الزواج النصراني كلياً ؟ فالمهر المتقدم والمتأخر غير معروفان في النصرانية وإنما يتقدم أهل الزوجة بالعطاء.

ويتطلب زواج النصارى سؤال كل من الزوجين على حدة وبحضور شهود إن كانا يوافقان على الارتباط بعقد زواج. أما ما حدث بين محمد (ص) وخديجة (ر) فلم يكن فيه شيء من ذلك على الإطلاق.

---

٤٦ – نقرأ على سبيل المثال: "الخطبة هي إعلان رغبة الرجل في الزواج من امرأة معينة." (ترمانيني، صفحة ٧٠) وهذا هو تماماً ما فعله أبو طالب

وزواج النصارى يتم في كنيسة بينما أقيم الحفل في دار الزوجة تماماً كما ورد في "تاج العروس."

وترتيب الكلمات التي تُلقى متفقة أيضاً كلياً مع المراجع في الجاهلية إذ خطب وليّ الزوج كاشفاً عما قَدِموا من أجله مفتخراً بنسب الزوج وصفاته محدداً المهر. ثم تبعه ولي الزوجة معلناً رضاه بالقوم. ولم يكن ورقة وليَّ خديجة (ر) ولا نجد في أي مرجع قديم أي تنويه لكلمة أو لشعار نصراني في سياق ذاك الزواج.

أما أن محمداً (ص) لم يتزوج امرأة أخرى إلا بعد وفاة خديجة (ر) فلا علاقة له بأي دين. ولم يحدث للمرة الأولى في تاريخ البشرية ولن يكون الأخير. هذا مع العلم بأن الزواج النصراني حسب تعريف الحريري والحداد لا يمنع تعدد الزوجات!! فقط مسيحية التثليث تمنع ذلك. فلماذا يستخدم الدلائل في عكس مضمونها؟

ونستمر في موضوع هذا الزواج لكيلا نترك للحريري خرم ابرة يتسلل من خلاله إلى إثبات باطله فنقرأ كيف كتب أن محمداً (ص) "**مهما كان جريئاً، لا يخطر بباله، وهو الخادم، أن يتزوج من سيدته التي شفقت عليه واستخدمته في تجارتها، وقد كان قومها حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، قد طلبوها وذكروا لها الأموال فلم تقبل. لن يكون لمحمد ذلك لولا دافع دبَّرَ له المناسب. ومن يكون هذا الدافع غير القس؟ فلولا القس لما كان ما كان، ومتى أراد القس شيئاً كان.**" (حريري، صفحة ٤١) (انظر أيضاً صفحة ٥٤ من المرجع نفسه حيث يقول إن "**القس قدير على كل شيء في كل حال.**")

كلام غير لائق مغلوط شاذ. فالحريري نفسه هو الذي أخبرنا بأن خديجة (ر) أرسلت "واسطتها" نفيسة إلى محمد (ص) لتستشف رد الفعل لديه حين تعلمه برغبة خديجة (ر) بالزواج منه وليس العكس.[٤٧] إنها هي التي أعجبت به وسعت إليه. وبالمقابل لا يوجد أية إشارة أو مجرد قرينة عاصرت الحدث تفيد أن لورقة ضلعاً في دفعها لهذا الزواج. إن شخصية ورقة، المؤدب القابع في إحدى زوايا الفكر الديني متعايشاً مع الوثنية القرشية (التي لم يأت أي ذكر من أي مؤرخ أنه حاربها أو أنها حاربته) في ذلك العصر، لا تتفق

---

[٤٧] – هناك روايات تتحدث عن أن خديجة (ر) أرسلت أختها إلى محمد. ولا يوجد أي مرجع موثق أشار إلى دور لورقة في هذا الأمر.

أبداً مع الصورة الثورية العبقرية التي حلم بها الحريري فوضعها أمام ناظرتينا وكأنها واقع ثابت. صحيح أن قوم خديجة (ر) حاولوا الزواج منها وأغروها بالمال فرفضت. ولكن رفضها أمر طبيعي جداً لأنها ليست بحاجة إلى المال وإنما إلى العطف والمحبة وروح الشباب. إنها فضلت، وهي قد تجاوزت الأربعين من العمر، الشاب الخلوق محمداً (ص) وهو في أوج شبابه وقمة عطائه في الخامسة والعشرين من العمر، وهو الأمين الصادق القادر على إدارة أعمال تجارية دولية بنجاح والذي ثبتت نزاهته وحسن تصرفه. فلماذا تفكر في أي زوج آخر؟ وهل تحلم أية امرأة قديماً وحديثاً بأكثر من تحقيق مثل هذا الحلم صعب المنال؟

لنضع نصب أعيننا الوضع التالي: كانت خديجة (ر) أكبر من والدة محمد (ص)، آمنة. فالمعروف والموثق في المصادر أن آمنة توفاها الله وهي في العشرين من العمر. وكان عمر محمد (ص) عام وفاتها ست سنوات. ومحمد (ص) وُلد في عام الفيل = ٥٧١ ميلادية (وفي رواية أخرى: عام ٥٧٠). إذن كانت وفاة آمنة في عام ٥٧٧ ميلادية. فإذا حذفنا منها ٢٠ عاما تكون آمنة ولدت في عام ٥٥٧ م. أما خديجة (ر) فقد ولدت قبل عام الفيل بـــ ١٥ سنة. أي في عام ٥٥٦ م.

وكان من الشائع أن تتزوج البنات وهنّ في عمر يتراوح بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة. وزواج الفتيات في عمر أقل من ذلك كان مألوفاً ومنتشراً. وعندما بلغت سن النساء عقدت خديجة (ر) زواجها الأول على عتيق بن عائذ بن عبد الله المخزومي وأنجبت منه ولداً وبنتاً، ثم تزوجت زوجها الثاني بعد وفاة زوجها الأول هند بن زرارة التميمي، الملقب بأبي هالة وأنجبت منه ابنين وبنتاً، ثم غادرها زوجها الثاني إلى الحبشة وبقيت طليقة ومارست أعمالها التجارية ووكلت محمداً (ص) على تجارتها وهو في السابعة عشرة من عمره وخَبِرَتْهُ ووثقت به ومالت نفسها إليه فقررت استئناس رأيه بالزواج منها. كان محمد (ص) شاباً بينما لم تعد هي في السن الذي يطمح الشباب بالاقتران بها. وهذا يفسر ويبرر كونها هي التي أمسكت بزمام المبادهة. ولو كان لورقة أي دور من حيث التدبير والتخطيط والدهاء لما أرسلت خادمتها نفيسة للتمهيد وللاستئناس برأي محمد (ص) قبل أن تفاتحه خشية أن يعتذر فتُحرج.

ونود الاسترسال عند هذه النقطة لنقرأ ما كتبته بنت الشاطئ (الدكتورة عائشة عبد الرحمن) في كتابها "تراجم سيدات بيت النبوة"، حول شعور خديجة (ر) نحو محمد (ص):

"لقد بلت خديجة الدنيا وعرفت الرجال، وتزوجت مرتين باثنين من سادات العرب وأشرافهم...فما رأت فيمن عرفت، ذلك النمط من الرجال. واستغرقت في تفكيرها تستعيد صوته الفريد المميز وهو يحدثها عن رحلته، ويطالعها مرآه وهو مقبل عليها ملء الفتوة والجلال. وفجأة أَلْفَتْ خواطرها تحوم حول الموضع الذي التقت فيه بالشاب الهاشمي فهزها شعور مباغت خفق له قلبها:

فيم الخفقان وقد أدبر الشباب أو كاد؟

ترى هل مسَّه الحب فاستيقظ بعد ما طال به الهجوع وطاب له الرقاد؟

وإذ تلقت جواب القلب، انتفضت مذعورة لا تدري كيف تواجه دنياها بمثل هذه العاطفة بعد أن نفضت يديها من الرجال أو خرجت – في حساب بيئتها – من حياة الرجال؟

وكيف تلقى بها قومها وقد ردَّت عن بابها الخطاب من سادة قريش وسراة مكة؟

ولكن ويحها! لقد فكرت في قومها، دون أن تعرف رأي محمد فيها: أتراه يستجيب لعاطفة أرملة كهلة في الأربعين من عمرها وهو الذي انصرف حتى اليوم عن عذارى مكة وزهرات بني هاشم الناضرات؟

وانتابها ما يشبه الخجل، فما هي في كهولتها بالقياس إلى محمد في شبابه غير خالة أو أم، ولو عاشت آمنة بنت وهب لما جاوزت يومئذ سن الأربعين! وهي بعد ليست خلية من هموم الأمومة، فقد ترك لها زوجها عتيق بن عائذ المخزومي ابنة أدركت سن الزواج، وخلف لها زوجها أبو هالة هند بن زرارة التميمي ولدها هندا غلاماً لم يشب عنه الطوق. فأي طائل وراء هذه العاطفة التي تبدو يائسة عقيماً؟" (صفحة ٢٢٠)

هذه قرائن دامغة لا تمس قلب خديجة (ر) فحسب وإنما قلب الحقيقة أيضاً ولا سبيل إلى العبث بها. فالادعاء بأن ورقة هو الذي خطط ودبر ونفَّذ لا يعدو كونه خيالاً راود الحريري فدسَّهُ دساً مغرضاً.

وثمة دلائل وقرائن أخرى تفند استنتاجات الحريري. فلو كان ورقة هو الذي خطط للزواج لما تمت الترتيبات بالشكل الذي قرأناه في كتابات المؤرخين وإنما كان ورقة

اتصل بأبي طالب، عم محمد (ص) "الضالع في المؤامرة"، حسب ادعاء الحريري[٤٨]، وتفاهم معه على تلك "الصفقة". ولو كان له أي تأثير على "**تلميذه المطيع**" محمد (ص) لأمره بدون لف أو دوران، أو نصحه نصحاً، أو أوعز إليه بأن يمسك بزمام المبادرة لإيقاع خديجة (ر) في قفص الزواج. ولو كان هو، ورقة، هو صاحب الوحي، كما يدعي الحريري، لأوحى إليه إيحاءً بأنَّ عليه أن يتزوج خديجة (ر) ليتفادى بعض ما سينال حتماً من مكانة ابنة عمه عندما تعرض نفسها عن طريق وسيطة.

وملاحظة أخرى، هامشية، على كلمات الحريري: " **مهما كان جريئاً، لا يخطر بباله، وهو الخادم، أن يتزوج من سيدته التي شفقت عليه واستخدمته في تجارتها.**"

إن استخدامه للكلمات: "**خادم**" "**سيدته**" "**شفقت عليه**" "**استخدمته**" ينضح بالكراهية التي يكنّها الحريري لمحمد (ص) وللإسلام. لا شك في أننا نتوقع أن يجيبنا الحريري على نقدنا له متملصاً بأن "السيد" و"الخادم" بالعربية تعني "سيد القوم". ولكن السياق العام لكلام الحريري يثبت سوء النية لديه. ولو كان على حق في استنتاجاته لتحملنا تحامله الذي أكل عليه كبده. ولكنه على ضلال. فمحمد (ص) لم يكن خادما ولم تستخدمه خديجة (ر) وإنما كان وكيلاً مفوضاً مسؤولاً عن كامل تجارتها الدولية. ونجاحه في إدارة الأعمال كان منقطع النظير. ولأمانته كافأته بأكثر مما كان مألوفاً آنذاك. أما أنه لم يخطر على بال محمد (ص) أن يتزوج من خديجة (ر) فهذا صحيح ولكن ليس من منطلق عقدة نقص وإنما عكس ذلك بالضبط. فقد كان محمد (ص) بكل المقاييس الاجتماعية والقبلية والخلقية أكثر شموخاً من خديجة (ر). أما الثروة فلم تكن هي المقياس في أي عهد من العهود إلا لدى المعقّدين ومحدثي النعمة والغارقين في المال والثروة التي نهى عنهما عيسى (ع.س.). هذا مع العلم بأن ثروتها لم تكن نتيجة نشاطها وإنما ورثتها عن زوجها الأول وراكمتها بفضل أمانة محمد (ص) ورجاحة فكره عند أخذه للقرار.

---

[٤٨] – كتب الحريري حول موضوع المؤامرة لجعل محمد نبياً: "**القس دبَّر. والزوجة نفَّذت. والعم عضد. والنبي استسلم لارادة الله. على هؤلاء قامت الدعوة الجديدة**" (حريري، صفحة ٦١) إن ما يثير الابتسام في كتابة الحريري يكمن في تصوير محمد، مسكيناً، ومذعناً للثلاثة المذكورين.

لو كان لمحمد (ص) مجرد إحساس مبدئي برغبة الزواج منها لكان هو نفسه عبَّر عن ذلك بأدبه الجم وعقله الراجح دون أن يعرضها إلى حرج الموقف عندما عرضت نفسها عليه. إن النصوص التاريخية تثبت أنه هو الذي فوجئ بطلب خديجة (ر) الزواج منه بينما كان على الأغلب يفكر بزوجات تتناسب أعمارهن مع عمره. ويبدو أن خديجة (ر) هي التي خشيت أن تضيع عليها الفرصة فداست شعورها وخرجت، ضمن حدود الأدب والحفاظ على الكرامة، عن الأسلوب المتبع وتقدمت إليه بطلب الزواج قبل أن يتزوج.[٤٩]

تذكر بعض المراجع أن والد خديجة (ر) حضر زواجها من محمد (ص). ولكن يوجد حول صحة ذلك أكثر من شبهة، إذ يرى البعض أنه اعترض على هذه الزيجة بقوله: "**أنا أزوج يتيم أبي طالب؟ لا لعمري**" ولكن عنف رغبة خديجة (ر) بمحمد (ص) هي التي أزالت تلك العقبة بعزم وبأس بأن خاطبت أباها: "**ألا تستحي؟ تريد أن تسفه نفسك عند قريش؟ فلم تزل به حتى رضي.**" (حريري، صفحة ٣٩).

لقد اعترضت على أبيها بقوةِ وبأسِ صاحبِ القرار وسألته سؤالاً فيه كل العزم بل التحدي مُصِرَّةً على تنفيذ رغبتها وعلى عدم استعدادها للاستسلام فسألته: "**ألا تستحي؟**"

ترى ما المهمة التي يمكن لوالد خديجة (ر) أن يكون قد نفذها بتعليمات من ورقة إن كان قد رفض تزويج ابنته من "يتيم أبي طالب؟ هل نسي الحريري فجأة أن والد خديجة (ر) عندما اعترض على الزواج لم يتدخل ورقة الداهية وإنما خديجة (ر) هي التي انفعلت فخاطبت أباها بحزم: "**ألا تستحي؟ تريد أن تسفه نفسك عند قريش؟ فلم تزل به حتى رضي.**" ترى لماذا لم يتدخل ورقة الزعيم في "تطبيق" الوالد قبل الوقوع في هذا الموقف المحرج أمام الملأ؟ إن كلتا الصورتين اللتين أوردهما الحريري تفيد بما يقطع كل شك أن خديجة (ر) كانت هي القوة المحركة الأولى والأخيرة التي نفذت رغبتها في الزواج من محمد (ص).

---

[٤٩] - لم يكن غريباً أن تخطب المرأة زوجها في الجاهلية. ولكن ذلك لم يكن الأكثر انتشاراً. فإمساك خديجة (ر) لزمام المبادرة دليل إضافي على عدم نصرانية عقد الزواج.

ونستمر في جولتنا حول الدور المشكوك به لوالد خديجة (ر) [٥٠] فنقرأ: "**وكان أبوها خويلد سكران من الخمر فلما كُلِّمَ في ذلك أنكحها فألقت عليه خديجة حلةً وضمخته بخلوق فلما صحا من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل له: إنك أنكحت محمداً خديجة وقد ابتنى بها. فأنكر ذلك ثم رضيه.**" [٥١] (زرقاني صفحة ٢٠١)

ونجد كلاماً مثل ذلك عن والد خديجة (ر) المخمور الذي غضب عندما صحا من سكرته وعرف بزواج محمد (ص) من خديجة (ر)، فأخذ السلاح على بني هاشم فحملوا هم السلاح أيضاً ثم إنهم اصطلحوا بعد ذلك. (الطبقات، ج ١ صفحة١٣٢)

فمن أين يستنبط الحريري أن ورقة هو الذي خطط ودبر تلك الزيجة؟ لو وجد الحريري أي توثيق يشير في قليل أو كثير إلى سعي ورقة إلى تنفيذ هذه الزيجة لتلقفه بشبق كبير وسلَّطَ عليه أسطع الأضواء ليثبت ما يدعيه.

ونضيف إلى كل ذلك أن شغف عائلة القس بعائلة محمد (ص) لم يكن حديث العهد وإنما له سوابق. فالحريري يعلمنا بأن أخت القس ورقة بن نوفل، رقية، سبق لها أن حاولت الزواج من عبد الله بن عبد المطلب، والد محمد (ص)، ولكنها فشلت في مسعاها. لقد كتب: "**ونلاحظ...كيفية زواج والد محمد المدعو عبد الله (؟)** [٥٢] **الذي كان يسعى وراء شريكة حياته، وقد عرضت "رقية" أخت القس ورقة نفسها عليه.**"(حريري، ص ٤٠)

لكن الحريري يستنتج من فشل هذا الزواج استنتاجاً لا يستقيم إذ يقول:

"**إلا أنها لم توفق بالزواج من عبد الله...وهذا ما يدل مرة أخرى على معرفة ورقة بمحمد وبآل محمد، حتى قبل ولادة محمد، كما يدل على أن في الأمر تدبيراً مدروساً ومصمماً له.**" (حريري، صفحة ٤٠)

---

[٥٠] – من الضروري التذكير بأن بعض المصادر تنفي حضور والد خديجة زواجها: "قال محمد بن عمر: فهذا كله عندنا غلط .... والثبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم أن أباها خويلد بن أسد مات قبل الفجار وأن عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله." (الطبقات ج ١ صفحة١٣٣).

[٥١] – يؤكد هذا النص أن الزواج تم على الطريقة الجاهلية. فبعد الاملاك قام الزوج بالبناء فاكتملت خطوات الزواج.

[٥٢] – لم نفهم قصد الحريري من وضع إشارة الاستفهام بين قوسين. فهل يشكك باسم والد محمد؟

إننا نجد في هذا الاستنتاج عجباً وخاصة بعد أن نقرأ بعد صفحة واحدة من كتاب أبي موسى الحريري قوله:

"لن يكون لمحمد ذلك [الزواج من خديجة (ر)] لولا دافع دَبَّرَ له المناسب. ومن يكون هذا الدافع غير القسّ؟ فلولا القس لما كان ما كان، ومتى أراد القس شيئاً كان."

ترى كيف لم يتنبه الحريري إلى الحفرة التي أوقع نفسه فيها دون أن يدري؟ ففي الاقتباس قبل أسطر يؤكد لنا وجود تدبير مدروس ومصممٍ له قبل ولادة محمد (ص)، أي عندما حاولت أخته رقية الزواج من والد محمد (ص) فرفض وفشل المشروع! لقد أمسكت أخت ورقة بثوب عبد الله تدعوه لمضاجعتها فسحب ثوبه منها وانصرف. ولم تثمر محاولة ورقة المدبرة والمدروسة والمصمم لها! ولو كان لديه أي تأثير لما ترك تلك الفرصة النادرة تضيع منه ولأنجَحَ زواجَ والدِ محمد (ص) من أخته رقية ليصبح خال النبي المقبل، الذي لم تلده أمه بعد، ليحتويه احتواء كلياً منذ أن ترى عيونه النور. لقد فشل ورقة في ذلك! فكيف يجرؤ الحريري بعد ذلك الفشل أن يقول في الاقتباس السابق: **"ومتى أراد القسّ شيئاً كان؟"**

لقد قرأنا في المصادر أن نوفل، والد ورقة، احتفظ بأموال ابن أخيه عنوة حاول اغتصابها ، ولم يردها إلا بعد تهديده بالحرب والسيف. واطلعنا أيضاً على أن أخته رغبت بمضاجعة عبد الله بن عبد المطلب، والد محمد (ص)، وعرضت عليه استعدادها للتضحية بذبائح سخية من الإبل من أجل تحقيق رغبتها بالاستبضاع منه. ولكنه لم يوافق وإنما انصرف عنها. فهل هذه أخلاق كريمة يفخر بها الإنسان؟

لا بد إذن من أن أثر القسّ أكثر تواضعاً بكثير مما يوحي به الحريري، هذا إن كان لهذا الادعاء أي أصل. فها هو فشل في تزويج أخته من والد محمد (ص). وهاهي المصادر العديدة لا تذكره سوى عندما نسبت إليه إلقاءه لخطبة الإنكاح. وحتى هذا جاء بصيغة الاحتمال وليس بصيغة الإقرار. وذات المصادر ركَّزت على أن أبا طالب شجب صدور نص الإنكاح عن ورقة وأصر على صدوره من وليّ الأمر الحقيقي لخديجة (ر). ومن يدري إن كان زواج محمد (ص) من خديجة (ر) مقدراً له النجاح لو مدَّ القس يده إلى الموضوع؟

ونستمر في الطواف في الملابسات التي أحاطت بموضوع زواج محمد (ص) من خديجة (ر) حيث يتحدث الزرقاني نقلاً عن الواقدي "**...عن الأسباب التي أدَّت إلى رحلة محمد الثانية إلى الشام بدءاً من حديث أبي طالب مع محمد: "يا ابن أخي أنا رجل لا مال لي ...وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة تبعث رجالاً من قومك يتجرون في مالها ويصيبون منافع. فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وإن كنت أكره أن تأتي الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بداً. فقال صلى الله عليه وسلم: لعلها ترسل إليّ في ذلك. فقال أبو طالب: إني أخاف أن تولي غيرك. فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقبلَ ذلكَ صِدقُ حديثِه وعِظَمُ أمانتهِ وكرمُ أخلاقهِ فقالت: ما علمت أنه يريد هذا، وأرسلت إليه وقالت: دعاني إلى البعثة إليك ما بلغني من صدقِ حديثِكَ وعِظَمِ أمانتِكَ وكرمِ أخلاقِكَ وأنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك.**" (شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني، ج ١ صفحة ١٩٨).

نكتشف في هذا النص قرائن مفحمة تنفي وجود أي دور في زواج محمد (ص) من خديجة (ر). فقوله بأن أبا طالب "ألح" على محمد (ص) كلام غير وارد لا في هذا الاقتباس ولا في أي اقتباس آخر تطرق إلى الموضوع. لقد اخترعه الحريري اختراعاً. ونحن إذا أخذنا من كلام أبي طالب الكلمات: "**فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك**" استنتجنا أن خديجة (ر) بلغها من آخرين المديح لأخلاق محمد (ص). فهي لم تكن على معرفة شخصية به. ولو كانت تعرفه لاختلفت كلمات عبد المطلب لتصبح: "فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما تَعْرِفُ عنك من طهارتِكَ".

وماذا كان جواب محمد (ص) على كلام عمه؟ إنه عبَّرَ عن تمنيه لو أن خديجة (ر) تمسك زمام المبادرة فتعرض عليه أن يعمل عندها لكيلا يفاوضها من موقف الضعف. وعندما عرفت خديجة (ر) بما دار بين محمد (ص) وعمه دعته إليها وقالت باستغراب وبوضوح إنها لم يكن لديها علم برغبته بـــ " الوظيفة ". وخاطبته بقولها إن دَعْوَتَها له استندت إلى ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه.

تشير هذه الصورة بقوة إلى الغياب الكلي لأي دور لورقة في العملية. فلو كان له دهاء أو تدبير لأخذ الزواج منحىً مختلفاً تماماً كأن يتولى شخصياً تعريف محمد (ص) بخديجة (ر) ووصله بها مباشرة. وان قبلنا بمقولة الأستاذ الحداد بأن ورقة كان يأمر محمداً (ص) أمراً، لتم الزواج بالأمر دون الحاجة إلى تلك المقدمات. ولكن تبدو النصوص لتؤكد بما لا يقبل الشك بأنه لم يكن ثمة لقاءات سابقة تتعلق بهذا الموضوع تمت بين محمد (ص) وخديجة (ر). إنها لو كانت على معرفة سابقة به لتحققت من نبل أخلاقه وأمانته بنفسها دون الحاجة لأن يبلغها خبره من آخرين. أما أن يكون ذلك بلغها فيدل على أنها لم تحتك بمحمد (ص) شخصياً في أي وقت سابق.

إن هذا الكم من القرائن يثبت أن ورقة لم يزوج محمداً (ص) من خديجة (ر). فمجموعة القرائن تولد اليقين. وبذلك تَحَطَّمَ واحدٌ من أهم أسس بنيان الحداد والحريري لإثبات ما لا يَثْبُتْ. وبتحطم الأساس ينهار البناء الذي تكبدا المشقات لبنائه. ولكننا لا نقف عند هذا الحد من تفنيد مزاعمه وإنما سنتابع الطريق لتطويق الأمر من كل جانب. فقد كتب لنا الحريري واصفاً الأوضاع بعد "**وقوع محمد في قبضة القس**" فقال:

"**بعد أن ارتبط مصير محمد بمصير خديجة انحلت في مخطط القس عقد كثيرة. لقد وقع النبي في قبضة القس وقعة إلهية. لقد تمت الخطوة الأولى بنجاح. وضع القس خبرته في خدمة نسيبه فزين له مستقبلاً غنياً بالأماني والآمال. ولم تضن ثرية قريش بمالها لتنفيذ رغبات ابن عمها. وتعاون الاثنان، بما يملكان من خبرة ودهاء وجاه ومال، على إعداد النبي للرسالة المقررة. وسار القس به على طريق النجاح المكفول. والنجاح المكفول يُسار إليه حثيثاً. والرسالة الخطيرة تتم بالتدريب المتواصل والتهيئة الباطنية! فكان أول ما كان وأهم ما كان الخلوة. والخلوة في غار حراء حيث اعتكف جده وندماء جده و "الحُمس"[٥٣] من آل قريش. هناك، في مدة تزيد على الخمس عشرة سنة، راح القس والنبي يختليان ويصليان وينقطعان عن الناس ويفكران بالله، شهراً كاملاً من كل سنة. هناك تدرب النبي على يد القس الخبير بشؤون الله والناس.**" (حريري، صفحة ٤)

---

[٥٣] – يكتب الحريري أن الحمس هم قرشيون متشددون زاهدون. يحجون (حريري، صفحة ١٧) ويصفهم خليل عبد الكريم بقوله: " وكان القرشيون يسمون (الحمس) أي أصحاب الحماسة في الدين." (خليل، صفحة ٣٣٣)

نرى في هذه الفقرة كتلة متكاملة من التناقضات والتجاوزات العجيبة التي تتناسب تماماً مع ما عودنا من ابتعاد متعمد مؤسف عن الموضوعية. فالحديث هنا عن "**تخطيط**" و"**عُقَد**" كانت تعوق التخطيط، وعن "**وقوع النبي في قبضة القس**" وعن "**تمويلِ ثريةِ قريش**" لرغبات ابن عمها ومخططاته مستخدمة معه "**الخبرة والدهاء والجاه والمال**" و"**إعداد للنبي للرسالة المقررة**" وإعلان عن أن "**الرسالة الخطيرة تتم بالتدريب والتهيئة الباطنية.**" لا تعدو كونها أحلاماً لا سند لها بينما هناك توثيقات تجتثها من أصولها. فلو كان الأمر كذلك فماذا بقي من شخصية محمد (ص)؟ هل كان لديه قبس من إرادة أم كان مجرد عجينة لينة يعركها ورقة وابنة عمه مع موقف مشارك أو مستسلم لأبي طالب كما يدعي الحريري؟ (انظر الحريري، صفحة ٦٣)

لا شك في أن التخطيط هو أمر يسبق الحدث. والحدث هو ما يسميه الحريري: "إعداد النبي للنبوة". ولكن كيف عرف القس منذ ما قبل ولادة محمد (ص) بأن عبد الله بن عبد المطلب سيكون له ابن نبيّ؟ هل كان ورقة نبياً وهو الذي بقي ستين عاماً مثابراً على شرب الخمر وعبادة الأوثان وحرق الضحايا تحت أقدامها؟ هل يمكن له، وهو غارق في الوثنية والشرك أن يملك من ملكات الصفاء ما يجعله يتنبأ بولادة نبي من صلب رجل لم يكن قد تزوج بعد؟ وهل تحرر ورقة من مواقف الشك ومن آثار مروره بعقائد أربعة متباينة كل التباين وتتراوح بين الوثنية واليهودية التي هجرها ثم إلى النصرانية التي يقال إنه اعتنقها أثناء رحلة البحث عن الدين الحنيف ثم إلى النصرانية "الإسلامية" التي يُفترض أنه ابتكرها ليدرب محمداً (ص) على تبنيها ثم نشرها؟ هل من مؤشرات أو كرامات، أية كرامات تقنعنا بأنه صار له من السمو بعد ذلك ما يخوله التنبؤ كما يتنبأ الأنبياء؟ ألا يخطئ الحريري كثيراً حين يضع كل مراهناته على القس ويحَمّله ما يقصم ظهرَ ذِكْرِهِ في سياق التاريخ؟

ويتحدث الحريري عن محمد (ص) وعن ورقة فيقول عنهما " **راح القس والنبي يختليان ويصليان وينقطعان عن الناس ويفكران...**" هل له أن يكشف لنا عن مرجعٍ واحدٍ

يتيمٍ يتحدث عن محمد (ص) وعن ورقة بصفة المثنى بالمعنى الذي اصطنعه اصطناعاً من أجل تزييف متعمد لصالح ورقة الطيب[٥٤]؟

ونتابع معالجة الاستشهاد السابق لنفكك بنيان ادعاءات الحداد والحريري فنتساءل:

ما العقد يا ترى التي انحلت في وجه ورقة بعد زواج محمد (ص) من خديجة (ر)؟ إن كان يقصد سهولة اللقاء فهذا أمر لم يكن عسيراً بحال من الأحوال عندما كان محمد (ص) يدير أعمال خديجة (ر). ألم يدَّعِ الحريري بأن ورقة لازم محمداً (ص) أربعة وأربعين عاماً؟ فإن كان ذلك حقيقة، وهو قول زائف حقاً، فماذا أضاف زواج محمد (ص) من خديجة (ر) على واقع الأمر؟ وكيف يقع محمد (ص) في قبضة ورقة؟ ما هذا التعبير الإيحائي الشاذ؟ هل من مؤشر على أنه كان للقس شخصية تمكنه من إيقاع أحد في قبضته؟ لو توفر له هذا الكم الضخم من المقدرة على "التفكير" و"التدريب" و"الخبرة" و"الدهاء" و"الجاه" و "التدبير" مما ذكره لنا الحريري دون أن يستخدم تلك القدرات لنشر ما لديه من تعاليم فاضلة لاستنتجنا بالضرورة أنه لا يعدو كونه إنساناً ضعيف الهمة متأرجح الفكر لا حول له ولا قوة وليس لديه ما يعطيه لأحد. ولو كان لديه قسط بسيط من تلك الصفات لادعى النبوة لنفسه ولما ترك ساحة نشر الدعوة الموكولة إليه فارغة تاركاً لمحمد (ص) تنفيذَ رسالةٍ رسوليةٍ سامية. ترى هل سَجَنَ ورقة محمداً (ص) ووضعه في قبضته ليتمكن من تدريبه أم تحادث وتحاور معه في أمور الدين مما لا يوجب وقوع أحد في قبضة أحد، ولا يستلزم أن يتزوج قريبته. وماذا عن التمويل؟ لماذا يريد الحريري وضعنا في أجواء المال واستغلال الثروة والتآمر وكسب المواقع وتدبير العملاء باستخدام الجاه والمال والجمال؟ وأين وجد أي دليل على أن خديجة (ر) بذلت مالاً من أجل الدعوة؟ لا شك في أنها شاركت في مصروف الأسرة خلال مرحلة كان محمد (ص) خلالها بدون عمل. أما أن تكون بذلت للدعوة فهذا تجاوز لا يؤيده أي مرجع في التاريخ.

---

[٥٤] – انظر تفنيد عمران لخلوة محمد مع ورقة أو مع غيره. (عمران، الحقيقة، صفحة ٧٨)

لو كانت مزاعم الحريري عن علاقته بمحمد (ص) صحيحة لذكرت كتب السير بمختلف مشاربها وتوقيت تدوينها أنباء اجتماعاتهما، ولكنا سمعنا قصصاً مستفيضة وربما نوادر عن تلازمهما خلال تلك السنوات الطويلة.

ونكرر الآن اقتباساً ورد سابقاً لنستنتج منه أموراً أخرى:

وفي الشرف أن خديجة رضي الله تعالى عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: اذهب إلى عمك فقل له تعجل إلينا بالغداة فلما جاءها معه رسول الله صلىالله عليه وسلم قالت له يا أبا طالب تدخل على عمي فكلمه يزوجني من ابن أخيك محمد بن عبدالله" (السيرة الحلبية ج: ١ ص: ٢٢٦)

نجد في هذا الاقتباس تأكيداً على أن خديجة (ر) طلبت من محمد (ص) أن يذهب إلى عمه ليطلب منه الحضور إليها. ولما حضر طلبت منه أن يذهب إلى عمها (انتبه: إلى عمها) ليزوجها إلى محمد (ص)! ولم يأت لورقة أي ذكر! أما الحريري فقد حرف الاقتباس السابق فحوله إلى: "**يا أبا طالب تدخل على عمي (ورقة) فكلمه يزوجني...**" نعم ! لقد أضاف اسم "ورقة" بدون خجل. ولقد تحرينا هذا التحريف في طبعتي ١٩٧٩ و ١٩٨٥ من كتابه فوجدنا التزييف قائماً في الطبعتين. فأين الأمانة في الاقتباس عندما يجعل من "ورقة" عماً لخديجة (ر) ليمرر التركيبة المغرضة بأنه وليّ أمرها؟

ونقرأ أيضاً ما كتبه الحداد عن "**زواج مصلحة مدروس.**" وأن "**ورقة أقوى شخصية في مكة، والحامي الأكبر للنصارى فيها وفي الحجاز كله.**" (حداد، صفحة ٢٨٨) فيتبادر للذهن السؤال: لماذا لم يقم بحماية محمد (ص) إن كان أقوى شخصية في مكة؟ كيف لم يخطط مسبقاً لظروف المستقبل حيث تعرَّضَ محمد (ص) للاضطهاد بل للقتل؟ هل اهتزازه وتقلبه بين الأديان والعقائد ينم على كونه أقوى شخصية في مكة؟

ونقرأ في كتاب الحداد: "**وهل كان قس مكة النصراني وسيدة نساء قريش التي تأتمر بأمره [!!] يرضيان بهذا الزواج لو لم يكن مثلهما نصرانياً؟**" (حداد، صفحة٢٨٨) يؤكد الحداد في هذه الجملة أن ورقة وخديجة (ر) ومحمد (ص) كانوا نصارى. وهذا ضلال وتضليل.

كيف يمكن أن تكون خديجة (ر) نصرانية دون أن تعرف من جبريل.

ولو كانت النصرانية دين توحيد ولو كان محمد (ص) نصرانياً لما كان هناك أية حاجة لقول القرآن: "**ألم يجدك ضالاً فهدى؟**" إلا إذا كان الحداد يرى أن النصرانية هي ضلال. أما نصرانية ورقة بن نوفل فهي غير ثابتة كما رأينا، وخاصة عندما شكك الحداد بنفسه بصحتها في أكثر من موضع.

وكيف يكتب الحريري أن خديجة (ر) تأتمر بأمر ورقة بعد أن خلت كل المصادر من مجرد إشارة إلى أنها نفذت أي أمر أصدره؟ بل كيف يقول إنها تأتمر بأمره بعد أن عرفنا من معظم المصادر أنها لم تتزوجه (هاء الغائب تعود على ورقة) حين أراد الزواج منها؟ فلو كانت له تلك الشخصية الزعامية والقوية وله ذلك الدهاء ولو كان لدى خديجة (ر) تقبل له لما فشلت فكرة الزواج منها ولما اختارت ابن زرارة، زوجها الأول وتركته.[٥٥]

ورقة الزعيم الآمر

"**وحدهم النصارى من بني إسرائيل والمتنصرون معهم من العرب بزعامة ورقة بن نوفل وعبد المطلب الأول، جد محمد الأعلى، يقولون بإسلام القرآن، لأنه إسلامهم.**" (حداد، صفحة ٣٣٥)

ألا يكفي الحداد تخبطاً عشوائياً في بحار الشكوك والظنون ودس الخطأ والزيف؟ أين هي زعامة ورقة؟ ولماذا يحشر الحريري القس في ظروف ليس له فيها دور؟ ومن العرب أو غير العرب الذين تنصروا تحت زعامته؟ بل أين هؤلاء النصارى الذين لم يشاركوا بأي نشاط للدفاع عن محمد (ص) بصفته " تلميذ " النصراني ورقة؟ وإن كان له زعامة ناجحة فلماذا لا نجد أي أثر لدعوة انطلقت استناداً إلى زعامته؟ هل نسي الحداد ومعه الحريري أن ورقة كان وثنياً خلال تلك الفترة بالذات التي يتحدث فيها عن عبد

---

[٥٥] – نجد في الطبقات الكبرى عن ذلك: "وكانت خديجة بنت خويلد قبل أن يتزوجها أحد قد ذُكِرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي فلم يقض بينهما نكاح فتزوجها أبو هالة واسمه هند بن النباش بن زرارة بن وقدان...." (طبعة دار بيروت ج ٨ صفحة ١٤)

المطلب الأول؟[56] ألا ينسجم ذلك مع وثنية الرجلين معاً؟ هل اختلط الأمر على الحداد والحريري أم تعمدا هذا الخلط لإقناع أشباه المتعلمين وعامة الناس والجانحين عن الصواب؟ وهل نسي الرجلان الكاتبان رسوخ عبد المطلب الثاني في الوثنية عندما أراد التضحية بابنه عبد الله، والد محمد (ص)؟

وأكد الحداد من خلال نصٍّ لا يخلو من التواء والتفاف أن ورقة هو صاحب الأوامر التي صدرت إلى محمد (ص) ليلتزم بتنفيذها مثل: "**وأُمرتُ أن أكون من المسلمين.**" (النمل ٩٠) أو "**وبذلك أُمرتُ وأنا أول المسلمين.**" (الأنعام ١٦٣) أو "**إني أُمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين، وأُمرتُ لأن أكون أول المسلمين.**" (الزمر ١١ / ١٢). "**وأُمِرْتُ لأعدل بينكم**" (الشورى ١٥) **بين اليهودية والمسيحية بفرض "النصرانية" دين موسى وعيسى على العرب.**" (حداد، صفحة ٣١٩ - ٣٢٠)

من الواضح تطاول الحداد على المصداقية والمنطق حين يتحدث عن أوامر أصدرها ورقة إلى محمد (ص). لقد بيَّنا ضعف ورقة وتواضع قدراته ما لا يسمح له بأن يصدر أي أمر لأي إنسان كان. والقرينة التي تثبت التطاول نستقيها من ذات الاقتباسات القرآنية. فقائلها هو محمد (ص). وكلمة "أُمِرْتُ" تعني أن الأمر صدر عن أحد ما إلى محمد (ص). الحريري يقول إن ورقة هو هذا "الأحد". أما محمد (ص) فيقول إن من أمره هو الله.

أما أن يكون قد أمر محمداً (ص) بالعدل بين اليهودية والمسيحية "**وأُمرت لأعدل بينكم.**" (شورى ١٥) فيدعو إلى التساؤل: لماذا أمر محمداً (ص) ولماذا لم يتنطع بنفسه لتنفيذ الفكرة التي يؤمن بصحتها؟ لماذا بقي مائة عامٍ عاطلاً عن العمل في محاولة لنشر العدل؟ ألم يجازف ورقة كثيراً في الرهان على تلميذٍ من المحتمل أن يتوفاه الله في عمر مبكر فتضيع كل الجهود التي بذلها من أجله كضياع الماء في الرمال؟ ألم يدفعه دهاؤه وتخطيطه وعظمته للتفكير في احتمال وفاة ولي العهد فتذهب جهوده الجبارة أدراج الرياح؟ وهل فكر في تحضير أكثر من خليفة خشية حصول ما لا تحمد عقباه؟

---

[56] – نستخدم تعابير جاء بها الحداد عن عبد المطلب الأول والثاني بعد أن اختلطت عليه الأمور. (انظر حداد، صفحة ٢٧٢)

ورقة سيد مكة

"أما الزعم بأن ورقة تولى أمور الكعبة فهو قول غير صحيح أبداً. لا أمورها جملة، ولا واحدٌ من أمورها كان تحت ولاية ورقة. فأمور الكعبة هي المآثر الستة التي أحدثها قصي ونال بها الملكية وهي: السقاية والرفادة والحجابة والوصاية واللواء والندوة." (عمران، صفحة ١٠٦)

كم عجيب أن يكون ورقة استلم شؤون الكعبة دون أن يتحدث أي إنسان في التاريخ عن ارتباط اسمه بأيٍ من الأمور الستة التي شكلت أسس سيادة قريش؟ قصي هو الذي حمل مشعل التغير ونفذ التنظيم الجديد الذي رفع من شأن مكة ومن مكانة قريش في الجزيرة العربية وفي امبراطوريتي الروم والفرس. وهو الذي وزع الشؤون الإدارية والسياسية هناك بتقسيمها إلى السقاية والرفادة والحجابة والوصاية واللواء والندوة مما يُذكِّر بتوزيع السلطات الذي أخذ حدَّه إثر الثورة الفرنسية، أي بعد الإنجاز القرشي بأكثر من ١٣٠٠ عاماً. ودار الندوة كانت بمثابة بيت الشعب ومقر الحكومة حيث تعقد جلسات أصحاب القرار[٥٧]. والمهام الست وزعها على أبنائه لكيلا يستأثر واحد بكل السلطة. ولقد حاول بعض الأبناء السيطرة وكادت تسيل الدماء بين العائلة الواحدة لولا تحكيم العقل. فأين اسم ورقة بن نوفل من أن يلامس ولو من بعيد، أية إدارة من الإدارات الست؟

ورقة يحدد محمداً (ص) خليفة له

يقول لنا الحريري:

"لقد أراد القس أن يكون محمد خليفة له على نصارى مكة، يكمل عمله الروحي بين العرب، ويحافظ على استمرارية النصرانية في الحجاز، ويعمل على ضم شمل النصارى من بني إسرائيل، ويوحد شِيعهم وأحزابهم، ويوحد كتبهم وعقيدتهم...فكان له ذلك بما

---

[٥٧] – "بنى قصي الندوة وفيها كانت تتم المشاورات، لا بين شيوخ قريش فحسب، بل بين شيوخ القبائل الأخرى...ولم تكن دار الندوة للشورى فقط، بل كانت جميع الأمور الهامة تتم بين جدرانها: عقد ألوية الحرب، خروج قوافل التجارة، إبرام عقود النكاح، وبذلك عدت دار الندوة مقراً للحكم المركزي الوليد، إذ لم يحدثنا التاريخ العربي عن دار مثلها في أي بقعة في جزيرة العرب." (خليل عبد الكريم، صفحة ٤٤ – ٤٥)

أوتي من تجرد وذكاء وجرأة وإقدام. وساعده على إتمام مهمته امرأته خديجة بما كان لها من شرف وجاه ومال..." (حريري، صفحة ٦٥)

نحن نوافق على المضمون الفكري لهذه الفقرة الرائعة ولكن مع تحفظين بسيطين:

١ - يجب حذف كلمة القس منها نهائياً! فمحاولة الحريري ربط ورقة بمحمد (ص) بمناسبة أو بغير مناسبة هو تضليل للفكر. وقد أثبتنا ذلك بقرائن لا تحتمل مزيداً من الجدل.

٢ - ومحمد (ص) لم يأخذ على عاتقه جَمْعَ شِيع النصارى وإنما خاطب البشرية جمعاء التي يشكل النصارى جزءاً منها. ولم يوحّد كتبهم وعقيدتهم وإنما جاء بمعتقد غير متطابق مع مضمون أي كتاب آخر. ولم يقبل محمد (ص) بصور أنبياء العهد القديم القاتمة والشائنة بالشكل الذي وردت في العهد القديم وإنما قلب تلك الصور رأساً على عقب فجعلها سامية صافية. وكذلك جعل زوجته خديجة (ر)، زوجته، سيدة فاضلة نبيلة سامية يكنُّ لها المسلمون كل محبة واحترام، ولكنها لم تصنع نبوته وإنما أسهمت مثل أية زوجة فاضلة، بتأمين الأجواء المناسبة لزوجها ضمن العائلة، وشاركت في تحمل الأعباء المادية لعيش الأسرة خلال الفترة التي حورب فيها محمد (ص) وهذا إسهام رائع، ولكن أن يسميها الحريري نبية أو يكاد لهو أمر لا يستقيم بكل الأعراف.[٥٨]

يقول الحريري بأن علماء المسلمين **" توفقوا في التركيز على الراهب على حساب القس. وتركيزهم على الراهب وتحويل أنظار الناس إليه وردّهم على ما استنبطوا من أضاليل حوله أعطى أهمية لبحيرا دون ورقة. وبهذا فُقِدَ أثرُ الاثنين معاً. وضاع الباحثون بين الراهب والقس. ولسهولة رفض أثر الراهب ظن الناس أن أثر القس هو أيضاً يُرفض بالسهولة نفسها."** (حريري، صفحة ٦٨)

---

[٥٨] - ومن طريف ما كتبه الحريري ما يلي: **"ولكن، لا بد لنا أن نسأل، لا عن نبوة محمد، بل عن نبوة خديجة، التي أعلنت لزوجها نبوته..."** (صفحة ٥٧). ولذلك نرى أنه لا يكتفي برفع القس إلى مكانة الخالق في حين وإلى مكانة الأنبياء في أحيان أخرى، وإنما نجده يطلب منا أن نعتبر خديجة نبيةً لأنها أعلمت محمداً بأنه نبي هذه الأمة. وكيف يستقيم ذلك مع وجود العديد ممن تنبأ بنبوة محمد. فهل يعتبرهم لذلك أنبياء؟

نلاحظ ادعاء الحريري بأن علماء المسلمين استنبطوا الأضاليل حول بحيرى. فإن كانت الاستشهادات عبارة عن أضاليل مستنبطة فما هو الكلام الصحيح؟ وأين ثمة إثبات على ادعاءات الحريري التي يرسلها في الآفاق جزافاً دون توثيق؟

في الواقع ليس من الضروري رفض دور ورقة كما ورد في الاستشهاد لأنه لم يكن له دور على الإطلاق. إن الأقرب إلى المنطق هو قلب الصورة رأساً على عقب لأن ورقة هو الذي اطّلع على الإرهاصات التي سبقت الدعوة واكتشف التطوير الذي طرأ على ما أَلِفَهُ سابقاً فجاء الإسلام شيئاً مختلفاً عن النصرانية. فورقة أصبح مجرد متفرج مذهول بما يأتي على أيدي محمد (ص) ولم يعد في مقدوره متابعة تسارع أحداث الدعوة. ولذلك اقتصر على الانفعال ولم يفعل أي شيء.

والحريري يقولها بوضوح. كانت مهمة ورقة "**التي عُرف بها ولم يُعرف بغيرها**" (حريري، صفحة ٧١) هي نقل الإنجيل العبراني إلى العربية. فلماذا يناقض الحريري نفسه فيُقحِمُ ورقة في مهمات لم يقم بها؟ بل نحن نطور السؤال ونطرحه على الشكل التالي: لماذا يُقحم القس في مهمات لم يقم بها ولم يدَّعِ أنه قام بها ولم ينسبها لنفسه؟ لو كان المؤرخون المسلمون قد تستروا على دور ورقة وبخسوه حقه لكنا وجدنا مراجع غير إسلامية لا حصر لها تكشف تحيز العلماء المسلمين وتلقي الأضواء باهرة على القس المغبون حقه. فمكانة قس نصراني في مكة أكبر من أن يبخسها مؤرخو المسيحية آنذاك حقها من الإطراء أو من التنديد. ولو وجد الحريري مجرد قبس من مثل ذلك لجاء به بكل تأكيد.

نحن نعجب من جَلَدِ أبي موسى الحريري على التكرار العنيد لوجهة نظره إذ يقول:

"**جل همنا أن نقدم الدليل، للمرة الألف، على أن القرآن العربي هو قراءة ميسرة للكتاب الأعجمي، وعلى أن محمداً لم يكن ليعرف أية لغة أعجمية، وعلى أن من علمه ما لم يكن يعلم "خبير" كان يقرأ الكتاب من قبل، له به صلة، وبينهما أكثر من قربى. وفي مقصدهما أن يكون للأميين كتاب كما للكتابيين.**" (حريري، صفحة ١٩٤)

ونحن نكرر أيضاً أن شخصية ورقة التي انقلبت من الوثنية إلى اليهودية إلى النصرانية وأخيراً "ليضع" أسس الإسلام لا تؤيد كونه الرجل الذي يمكن له أن يكون قد

أعطى محمداً (ص) شيئاً. لقد قضى ورقة في الوثنية طفولته وصباه وأعوام نضجه وجزءاً من حقبة كهولته قبل توبته. ففي مثل عمره أنجز محمد (ص) كل مراحل الإنتاج الفكري والحضاري والسياسي فأسس ديناً ودولة ووضع تشريعاً متكاملاً بينما هادن ورقة، بسبب ضعفِهِ، الوثنيةَ وتعايش مع الأصنام.

ونلاحظ كيف يناقض الحريري نفسه حين يكتب:

"**ومن المعروف أنه كان في زمن القس والنبي كتب عديدة، وكان لكل شيعة من شيع بني إسرائيل كتاب، ولكل قرية أو أمة كتاب، وكل يدعو إلى كتابه، ويشهد القرآن العربي على تعدد الكتب وتوزعها بين أيدي أصحابها.**" (صفحة ٢٠٣)

وبعد ثلاث صفحات أخرى كتب لنا:

"**لقد عرف القسّ والنبي ان خلافات المسيحيين فيما بينهم وانقسامهم إلى نساطرة ويعاقبة وملكانيين، حسبما عرف عنهم آنذاك، وخلافات النصارى المتعددة إلى ابيونية وقيرنثية وألكسائية!..كل هذه الانقسامات كانت بسبب الجدال اللاهوتي حول طبيعة المسيح وأسرار الخلاص...لأجل هذا تجنب القس والنبي أن يخوضا مع الخائضين. فلزما الاعتدال لئلا يزيد بلبال الانقسامات.** (حريري، صفحة ٢٠٥)

نريد مواجهة الحريري مع تناقضه استناداً إلى ما كتبه بنفسه؟ فهو يؤكد معرفة محمد (ص) بخلافات المسيحيين وانقسامهم وبالأسباب اللاهوتية لتلك الانقسامات. بل إنه اتخذ موقفاً منها. فهل يمكن لمحمد (ص) أن يتعمق بهذه الأمور إن كان لم يطلع إلا على إنجيل واحد حدده لنا الحريري بالاسم ومنعنا من التفكير بأن محمداً (ص) يعرف مراجع أخرى؟ إن الحريري هو الذي أصر على وجود إنجيل واحد لم يعرف محمد (ص) غيره. بينما يعترف هنا بوجود كتب عديدة لمختلف الشيع حيث تدعو كل شيعة منها إلى كتابها. فقط ورقة لم يدعُ أحداً إلى أي شيء وإنما استأثر بمحمد (ص) واختبأ معه في ظلام غار حراء وعلمه الطلاسم والأسرار والغيبيات وشَدَّ كلَّ نوابضه (راصوراته) بحيث تعمل دون توقف، بمجرد إطلاقها، على مدى عقدين ونصف من السنين دون الحاجة إلى شدها من جديد، ثم أخرجه من ظلام المغارة وأطلقه على البشرية. هل اختزن القس ورقة كل هذه القدرات الإيمانية المتفجرة في داخله ولم يحاول مرة واحدة إطلاقها؟ والعجيب أن

ورقة لم يطلق "نوابض" محمد (ص) إلا بعد أن بلغ من العمر عتيا. فلماذا اختار هذا التوقيت المتأخر جداً؟ لماذا لم يطلقه في وقت كان له بقية باقية من قدرةٍ على مؤازرته؟ أربع وأربعون عاماً لازمه وشحنه شحناً بالتدريب والتعليم والترجمة دون أن يقدمه لمجتمعه أو يخلق حوله "ضجة إعلامية" تجعله معروفاً في مكة كحامل للواء الدين الجديد؟

وينسب الحريري إلى ورقة نجاحاً آخر "... **تحقق على يد القس والنبي فمرده إلى "جمع" الفرق والشيع والأحزاب النصرانية المنتشرة في مكة والحجاز آنذاك وجَعْلِها ديناً واحداً وأمةً واحدةً. وما الإسلام في حقيقته وجوهره إلا دين التوحيد.**" (حريري، صفحة ٢٠٥)

ولكن الحريري حمّلَ القس مجدداً ما لا يحتمل بالرغم من أنه وجد في هذه المرة لمحمد (ص) مكاناً في هذا النجاح. وهنا نعود إلى السنين الثمانين أو التسعين الأولى من حياته، فلماذا لم ينجز القس طوال تسعين عاماً من عمره توحيد الشيع؟ قد نبالغ لو وجهنا إليه اللوم بأنه لم ينجز عملية التوحيد. ولذلك نكرر السؤال بشكل مخفف: هل يوجد أي مصدر يحدثنا عن محاولات قام بها ورقة لإنجازات في ذلك الاتجاه؟ لماذا لا نجد في أي مرجع من مراجع التاريخ أية إشارة إلى وقوفه في موقف صاحب رسالة؟

عندما كان الشاعر والخطيب أمية بن أبي الصلت يدعو إلى التوحيد ونبذ الوثنية كان يقف وقفة الرجال ويجاهر برأيه وبمطلبه أمام الملأ. وقس بن ساعدة لم يبق صامتاً في الظل وإنما وقف على المنابر وجاهر برأيه وبدعوته. والمتلمس بن أمية الكناني "**كان يقف في فناء الكعبة يخطب ويدعو ويعظ، كما فعل بعده محمد.**" (حداد، القرآن والكتاب، صفحة ١٤٦ – ١٤٧) أما زيد بن عمرو بن نفيل فكان له من قوة الإرادة وسلامة التصرف أن درس اليهودية فرفضها بينما ورقة استجاب لها واعتنقها. ثم درس زيد النصرانية فلم يقتنع بالتثليث فيها فرفضها ولكن ورقة انقلب على اليهودية وتنصر. وفي طريق العودة قُتل زيد لثباته على رأيه بينما عاد القس إلى مكة وهادنَ الوثنيين ولم يجابههم برأي ولا بإرادة، ولم يُبْدِ أية وجهة نظر تستدعى أن يجابهوه.

أما محمد (ص) فقد دعاه عمه أبو طالب إلى نبذ التبشير بالدين الجديد وأخبره عن مدى البذخ الذي كان سادة قريش الوثنيون على استعداد لبذله كيما يعود محمد (ص) عن

دعوته فأجابه: **"يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته."**[59] وأمام إصرار محمد (ص) وعزمه على بذل كل ما لديه من أجل تحقيق هدفه السامي كف أبو طالب عن محاولة ردِّهِ وأجابه: **"اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك بشيء ابداً."**

ونعلق مجدداً على قول الحريري بأن ورقة لازم محمداً (ص) على مدى أربع وأربعين سنة سخَّر كل قدراته لتعليم محمد (ص) وتدريبه في الدين الجديد. ترى هل حضر القس ولادة محمد (ص) واستأثر به كلياً منذ ولادته إن كانت المراجع تؤكد أن محبة جده عبد المطلب وعمه أبي طالب تمثلت في ملازمة محمد (ص) لهما كما نرى من الاقتباسين التاليين:

"**ولما توفيت** [آمنة، أم محمد (ص)] **قبضه إليه جده عبد المطلب وضمه ورقّ عليه رقَّةً لم يرقّها على ولده، وكان يقرّبه منه ويدنيه، ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك: دعوا ابني إنه ليؤنسُ مُلكاً.**" (طبقات، المجلد الأول صفحة ١١٨)

"**وكان** [أبو طالب] **يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا إلى جانبه، ويخرج فيخرج معه، وصبّ به أبو طالب صبابة لا يصبّ مثلها بشيء قط.**" (طبقات، المجلد الأول صفحة ١١٩)

ونعرف ويعرف الجميع أن محمداً (ص) كان مكلفاً برعاية قطعان الغنم في الطبيعة الملهمة في البادية بعيدا عن مكة حيث يبقى الأيام والأسابيع الطويلة. فكيف يتفق كل ذلك مع أن ورقة بن نوفل "لازم" محمداً (ص) ٤٤ عاماً؟

وكيف يستقيم ذلك مع إلحاح الحريري والحداد على أن محمداً (ص) كان بتحنفه، نصرانياً ابن نصراني ابن نصراني؟ (حداد، صفحة ٢٩١) نحن لا نجد في ذلك مجرد ارتباك فكري فقط وإنما نكتشف فيه تحطيماً لأصول إعمال العقل. فكيف يكون محمد (ص) نصرانياً ابن نصرانيّ من جهة وكيف يحتاج إلى مدرب من أصل وثني يرعاه

---

[59] – "السنة النبوية في ضوء القرآن والسنة" للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة، ج ١ صفحة ٣٠٢

ويلازمه ٤٤ عاماً ليجعله بعد كل هذه السنين نصرانياً؟ كل من الكاتبين نقل إلينا أن ورقة بن نوفل كان نديماً لعبد المطلب. ولكن ورقة كان وثنياً آنذاك. ووثنية عبد المطلب ثابتة راسخة أيضاً من خلال توثيقات لا حصر لها آخرها قصة استشارته للقداح في حضرة الصنم "هُبل" والصنمين "إساف ونائلة" في جوف الكعبة حول التضحية بابنه عبد الله. وغضب أبي طالب من محمد (ص) لأنه رفض الحضور مع قومه لقضاء عيدٍ وثني مع الصنم أمر معروف. فالرجلان، عبد المطلب وورقة، غارقان في أجواء الوثنية.[٦٠] أحدهما سيد بلا منازع والآخر لا يعدو كونه نديماً له. ولكن الحريري والحداد جعلا من الرجلين نصرانيين ليستنتجا من ذلك أن النصرانية هي الإسلام ليطلبا منا أن نماشيهما في هذا الاستنتاج الخاطئ. ولو كان الأمر كذلك فلماذا لم يعتنق الكاتبان الإسلام؟

هذا وثمة تساؤلات أخرى:

ترى كم من السنين استغرق تعلم ورقة للنصرانية ورسوخ تعاليمها في نفسه ليصبح حجةً فيها وقادراً على نقل علمه إلى محمد (ص)؟ لئن كان محمد (ص)، وهو الشاب الذكي صافي الفكر وقوي العزم والإرادة استغرق ٤٤ عاماً ليصبح مهيأً لحمل الرسالة التي أوحاها ورقة في أذنه فكم عاماً مضى على ورقة قبل أن يصبح ضليعاً في النصرانية؟ وكيف لنا أن نوزع هذه الأعوام الأربع والأربعين التي تلت نبذ ورقة للوثنية بين:

- رحلة البحث عن الإيمان
- تعلم اليهودية وممارستها
- الإقلاع عن الإيمان اليهودي ثم التنصر
- العودة إلى مكة ليلازم محمداً (ص) ملازمة كاملة وليعلِّمَهُ ديناً يُفترض أن محمداً (ص) كان عليه.
- تعلم العبرانية أو السريانية ليترجم الإنجيل العبراني إلى العربية بحضور التلميذ محمد (ص).

---

[٦٠] - "آخر كلمة تفوّه بها أبو طالب وهو يحتضر قوله: "أنا على ملة عبد المطلب. ثم مات." (حريري، صفحة ١٠٣)

– الهمس بالوحي في أذن محمد (ص).

– سنوات العمى والصمم والمرض قبل الوفاة.

كل ذلك يُفترض أنه تم خلال ٤٤ عاماً كان ورقة في بدئها خارج مكة وفي آخرها أعمى وأصم ومريضاً باعتراف الحريري الذي كتب لنا: "...**وكان القسّ قد أصبح عاجزاً وضريراً وأصم**."[٦١] (حريري، صفحة ٦٢)

هل قام بتلك الجولة المطولة حول العالم القديم وغيَّر ديانته مرتين ليعود بشيء كان بالأصل جاهزاً منتشراً تحت سمعه وبصره وفي متناول يديه وكأنما ضرب الماء فبقي الماءُ ماءً؟ لو كانت النصرانية منتشرة في مكة فلماذا لم "تكتشفه" هي إن كان قصوره لم يسمح له بأن يكتشفها؟

كيف يقول الحداد: "**فنحن مدينون بنبوءة محمد، النبي العربي، – بعد الله – إلى زعماء "النصرانية" بمكة**." (حداد، صفحة ٣١٦) إن كان يعترف بنبوة محمد (ص) الإلهية، فلا حاجة لكل هؤلاء الذين ذكرهم وخاصة أنه لا يوجد بينهم أي زعيم. وإن كان ورقة والآخرون جميعاً مؤثرين في محمد (ص) وأتمر بأمرهم فكيف جاء بالإسلام مخالفاً للنصرانية التي قالوا بأنهم لقنوه إياها؟ لو كان معتقداً بمعتقداتهم فلماذا جاء الإسلام أصلاً؟ ويؤكد الحداد أن أقرباء خديجة (ر) هم صناديد قريش. وهؤلاء الصناديد حاربوا محمداً (ص) بكل قسوة وأرادوا التخلص منه. فهل كانوا نصارى؟ وكيف سمحوا بوضع ٣٦٠ صنماً في جوف الكعبة وحواليها؟

لنقرأ وصف الحريري لورقة معترفاً بتقدم محمد (ص) عليه:

"**بيد أن النبي استطاع أن يتفوق على القس ويستقل عنه. شأنه شأن أي تلميذ بارع يتخطى بذكائه قدرات معلمه. وشأن القس شأن أي مرب حكيم يترك لربيبه حرية التصرف! لقد كان النبي، لفرط ذكائه، ينشد الحرية ويلتمس الاستقلال، وكان القس**

---

[٦١] – يصف أحمد عمران حالة ورقة الصحية: "**فالسنون تهبط بأثقالها على جسدٍ يدب فيه الضعف ويخف فيه النشاط وتُقَصِّرُ الجوارح عن متابعة مهمات الإيصال والاتصال بالناس وإليهم، فلا أشعة العين ولا أعصاب الأذن ولا عضلة اللسان، ولا تلافيف المخ، مثلما كانت عليه فيما مضى....إنه صائر إلى الزوال، وكلمات زميله قس بن ساعدة ترن في أذنيه: من مات فات، وكل ما هو آت آت**." (عمران، صفحة ١٤١)

لوفرة حكمته يختفي أمام عنفوان تلميذه بلباقة ويتوارى عن المسرح حتى أن التاريخ طمس لنا الكثير عنه. لقد أدى القس خدمته وذهب، وبقي النبي يجاهد ويناضل حتى حفظ له التاريخ أجمل ما حفظ. إلا أن النبي، كما عرف أن يتدرب على القس بأمانة، عرف أيضاً كيف يتصرف بما تعلم بحكمة. فجاءت رسالته مناسبة لظروف البيئة والمجتمع." (حريري، صفحة ٦)

لنحلل هذه الفقرة بما تستحق من إمعان لنجد أن براعة محمد (ص) طوت ذكر ورقة. لقد تبنى الحريري فكرة نبوة محمد (ص) واعترف بأنه تخطى بذكائه قدرات معلمه. وهذا يستثير سؤالاً شديد الأهمية: هل شعَّت عوامل الذكاء والتفوق عند محمد (ص) دفعةً واحدةً بمجرد وصول الأستاذ ورقة إلى أرذل العمر؟ هل بقيت مؤشرات المقدرة الجبارة التي لم تعتمد على الأعاجيب والخوارق إلى أن "ضغط القسُّ الزرَّ" فأطلقها بعد أن أصيب بالمرض وبالعمى والصمم؟[٦٢] أما كون القس ترك لمحمد (ص) حرية التصرف فهذا وجه واحد لواقع الأمر. والوجه الآخر، وهو الأكثر منطقيةً، هو أن شخصية محمد (ص) الفذة المستقلة لم يكن للقس فيها أي دور في أي وقت. ولم ينشد محمد (ص) الحرية ويلتمس الاستقلال الفكري لفرط ذكائه، وهذا أمر مفروغ منه باعتراف العالم أجمع، وإنما لتوفر اختلافات أساسية وجذرية بين إيمان ورقة وبين ما جاء به محمد (ص).

في سياق إثبات نصرانية محمد (ص)[٦٣] يحاول الحداد ربط ختانه بالنصرانية من خلال أن ختانه تم في اليوم الثامن مثل نصارى بني إسرائيل فيقول:

"وكان أول عمل للكفيل الكبير أنه ختن حفيده في اليوم الثامن، على عادة النصارى من بني إسرائيل الذين كانوا يمارسون الختان والعماد معاً". بعد جملة واحدة يأتي الحداد

---

٦٢ – أكد الحداد جبروت ورقة فكتب: **"وهنا تبرز خصوصاً تلك الشخصية الجبارة التي لعبت الدور الأول في هداية محمد."** (حداد، صفحة ٢٦٩)

٦٣ – يأتي الحداد بإثبات آخر لنصرانية محمد فيقول بأن حاضنة محمد، بركة (أم أيمن) الحبشية مسيحية. **"فكان محمد طفلاً في حضانة مسيحية."** (هل كان النصارى يكلفون أتباع الدين الذي اضطهدهم في مهمة حساسة كهذه بالرغم من الخلاف العقائدي العميق؟) (حداد، صفحة ٢٧٧)

باقتباس للغزالي يفيد أن عبد المطلب ختن محمداً (ص) في اليوم السابع وليس في اليوم الثامن. في الحقيقة لا يعنينا في شيء إن كان الختان تم قبل يوم أو بعد يوم. ولكن حين يتشبث الحدّاد بختان عيسى (ع.س.) في اليوم الثامن ويتخذه دليلاً على "نصرانية" محمد (ص) يصبح لليوم مدلول. ولذلك أوردنا ما أوردناه. (فقه السيرة، صفحة ٦١)

شريحة نصرانية طاغية في مكة

يدعي الحريري والحداد وجود شريحة نصرانية قوية في مكة تسعى إلى تنصير المشركين المجرمين الذين جاء ذكرهم في سورة نون والقلم؟ لقد اقتبس الحداد منها الآية التي تقول: "**أفنجعل المسلمين كالمجرمين.**"؟ ثم تابع تعليقه كما يلي: "**إنها السورة الثانية في تاريخ النزول. نسمع فيها فجأة اسم "المسلمين" في مقابلة المشركين "المجرمين": فمن هم؟ على معرفتهم يتوقف سر الدعوة القرآنية. لم يؤمن بعد بمحمد سوى خديجة: فليس هؤلاء "المسلمون" جماعة محمد. إنهم أهل الكتاب تجاه المشركين. وليسوا اليهود ولا المسيحيين على التخصيص. إنهم الطائفة من بني إسرائيل التي آمنت بالمسيح، ومن "تنصر" معهم من العرب.**"..."**إنها شهادة بوجودهم في مكة، وشهادة بمحاولتهم "تنصير" المشركين "المجرمين" وشهادة بتحريض المشركين على الانضمام إليهم مثل محمد:**" (حداد، صفحة ٣٢٤ – ٣٢٥)

ويستنتج الحداد من هذا الكلام وجود شريحة نصرانية ضاغطة في مكة. ولكنه في كتابه الآخر يناقض نفسه ويقلب رأيه رأساً على عقب إذ قال: "**وتوسع محمد في الدعوة. ومال إلى بني إسرائيل أكثر فأكثر. لم يجد النصرة الكافية عند المسيحيين في بلاده وخارجها لدعمه في دعوة قومه إلى التوحيد الخالص، لأن نفوذهم في الحجاز كان محدوداً ولأن المسيحيين كانوا فيه جاليات قليلة.**" (القرآن والكتاب، صفحة ١٦٤) وكتب في الصفحة ١٦٨ من ذات المرجع كلاماً أكثر مباشرة: "**لم يجد محمد في انتمائه إلى النصارى في أول العهد بمكة سنداً على هداية قومه، لقلة صولتهم في الحجاز وخصيصاً في مكة.**"

كم بلغ التشتت الفكري عند الحداد؟ إن ورود تعبيري "المسلمين والمجرمين" لا يعني وجود شريحة نصرانية في مكة ولا يمكن بالطبع أن يعني وجود أي نشاط تبشيري لها. فالحديث عن المسلمين يقصد ذات الناس الذين عناهم القرآن حين قال:

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾

أما المجرمون فهم بالطبع مشركو مكة الذين ثار محمد (ص) على كفرهم ودعاهم إلى الإسلام ورفض مهادنتهم حتى لو وضعوا الشمس على يمينه والقمر على يساره.

ولقد فاجأنا الحداد باعترافه الواضح بوجود "مجرمين مشركين" فاعترافه هذا ينسف اجتهاده بأن أهل مكة كانوا "مؤمنين موحدين" يعبدون الله عن طريق الأصنام. وكأنما يقول بأن أهل مكة كانوا يسعون إلى الصلاح والإيمان عن طريق الفجور والشرك. فلو كانوا مؤمنين موحدين فلماذا قامت في مكة تلك المعمعة التي هزت نتائجها الفكر البشري؟ لو راجع الحريري ما كتبه بيده من مقولات ونظريات بدقة لاكتشف اعترافه الواضح بأن ورقة إن كان أصلاً قد أعطى محمداً (ص) أي شيء فهي معلومات وتعاليم موجودة من قبل ومعظمها مدون، ولم يكن له أي فضل في اكتشافها وإنما تعلمها في وقت متأخر جداً ممن هم أعرق منه وأعلم منه فنقلها نقلاً. وهذه التعاليم هي تراكمات تاريخية ممعنة في القدم يدَّعي الحريري أن ورقة نقلها من الإنجيل العبراني إلى العربية لتصبح ما يسميه: إنجيل العرب. فإن كان حقاً هو الذي ترجمه (وهذا أمر مشكوك فيه كلياً) فلا فضل له أكبر من فضل ترجمان أنجز مهمة حضارية. ولو كان للقس مؤهلات أخرى لتبدت نتائجها قبل ولادة محمد (ص) ولفرضت نفسها فرضاً على مجتمع متعطش للإصلاح كمجتمع مكة.

لقد عرفنا أن ورقة استمر مع الخمر والوثنية حتى حصلت حادثة الصنم المنكفئ في الكعبة معه ومع زيد بن عمرو بن نفيل مما جعله يسخر من الأصنام ويقرر المشاركة مع أربعة من رفاق الدرب للبحث عن دين وحداني يقنعهم. وانطلقوا في الرحلة وغابوا عدة سنوات لنجد أن ورقة اعتنق اليهودية بعد اقتناعه بها ثم عدل عن رأيه فهجر الدين

اليهودي ليتنصر. وحول هذه الفكرة نقرأ تحليل عمران لها حيث يقول: "**ان امرءاً ذكي الفؤاد متقد التفكير مثل ورقة لا ينتقل من اليهودية إلى النصرانية طفرةً واحدة، ولا يهجرها جاهلاً بها، ليستقر في عقيدة جديدة دون درس وتمحيص. بل لا بد من مرور وقت طويل مُثْقَلٍ بالدراسة والمقارنة بين الاتجاهين والمفاضلة بين الفلسفتين الروحيتين والأسس اللاهوتية التي تقوم عليهما كل منهما، بعد ذلك كله – وما ندري كم استغرقه من الوقت – قام تفضيل النصرانية على اليهودية عند ورقة فهجر الثانية وانضوى تحت الأولى.**" (عمران، صفحة ٨٩)

وهذا يفرض علينا سؤالاً لا يرتاح إليه الحريري أبداً لأنه جنَّدَ كل ما لديه من حجج، وكرس كل ما توفر له من جهد لإبراز مكة كموطن نصراني انتسب إليه أعداد كبيرة من أفاضل قريش عموماً ومن عائلة محمد (ص) بالذات. لنأخذ أبا موسى الحريري عند قوله حيث أكد لنا نصرانية ورقة لنتساءل: إن كانت النصرانية منتشرة في مكة فهل انطلق ورقة إلى بلاد الله الواسعة ليزور بلاداً ومدناً نعرفها بالاسم ومدناً لا ندري أسماءها ويعتنق اليهودية ثم يهجرها ليعود ليتنصر ثم ليعود بعدها إلى موطنه الأصلي وكأنه عاد بخفي حنين؟ لقد كانت اليهودية التي اعتنقها وهجرها والنصرانية التي لاذ إليها والإبيونية التي جعلها الحريري رديفة للنصرانية منتشرة في معقل إقامته قبل حادثة انقلاب الصنم كما يؤكد لنا الحريري. فلماذا أنهك نفسه ليعود بدين منتشر في مكة؟ لماذا لا نجد أي ذكر لدى الحريري ولا في أي مرجع آخر لمحاولة ورقة مناقشة الأديان المتواجدة في أفقه المكيّ قبل أن يتجشم أعباء السير في العالم القديم بحثاً عن دين جديد؟

ترى ما القدرات الفكرية لرجل غادر بلاده ليبحث عن دين موجود أصلاً في عقر داره؟

إننا عندما نقرأ لدى الحداد تأكيده أن محمداً (ص) كان نصرانيا ابن نصراني ابن نصراني، ولو أعرنا كلامه أيسر مقدار من الجدية، لاستنتجنا أن محمداً (ص) كان أعرق من ورقة في النصرانية. فورقة استمر ٦٠ عاماً من عمره يتعبد الأصنام بينما كان محمد (ص)، حسب زعم الحداد المغرض، نصرانياً.

ويجدر بنا ونحن نتحدث عن شعار رفعه الكاتبان عن انتشار النصرانية والمسيحية بين قبائل العرب المختلفة إلى أن البيزنطيين فرضوا ديانتهم على كل إقليم حكموه ولم يكن لديهم أي تسامح مع الناس. ونقطة أخرى تهمنا، ألا وهي أن الحداد والحريري عندما يذكران إسمين أو ثلاثة متنصرين في قبيلة يعممون فيدعون بأن جميع القبيلة نصرانية.[٦٤]

في محاولاته للرفع من أثر ورقة على محمد (ص) نقرأ لدى الحريري الاقتباس التالي: **"لا نفهم من تعاليم القرآن شيئاً إن غابت عنا تعاليم "الإنجيل العبراني"... كما أننا نعجز عن فهم الكثير من قصص الأنبياء الأقدمين، ومن تعاليم التوراة والإنجيل، الواردة في القرآن، إن لم نردها إلى أصلها والمصدر الذي عنه أخذت....إن لم نرجع بها إلى تعاليم ورقة وإنجيله العبراني."** (حريري، صفحة ٣٤) وفي ذات الصفحة كتب الحريري: **"ولسنا نجد في مكة، في أيام النبي محمد، غير القس ورقة يلازم محمداً طوال أربع وأربعين سنة."**

عجيب والله أمر الحريري !

كيف يقول إنه لم يكن في مكة من يلازم محمد (ص) غير ورقة؟ ألم يؤكد لنا الكاتبان توفر أعداد كبيرة من النصارى لهم من الأثر ما جعلهم يخرجون "الأصنام العربية" و"ينفونها" إلى خارج الكعبة؟ ألم يكن بينهم وجيهاً وحيداً سوى ورقة الوثني "المتخمر" في عبادة الأصنام؟ أين مكان القس عداس النينوي في طيف هذه الادعاءات كثيرة الألوان؟

الحقيقة هي أن ورقة لم يعلّم محمداً (ص) لأن جميع المعلومات التي يمكن للقس أن يكون أوصلها لمحمد (ص) كانت متوفرة على بساط الفكر السائد في المجتمع آنذاك ومتداولة قبل الدعوة إلى الإسلام وقبل تنصر ورقة. كما أن المعلومات عن الأقدمين الواردة في التوراة والإنجيل والتي جاء الحديث عنها والتعليق عليها في القرآن لم يقتصر وجودها على الإنجيل العبراني المفقود أصلاً[٦٥]. ولم يقتصر اتصال محمد (ص) على ورقة وإنما

---

[٦٤] – راجع في هذا الموضوع: (د. حومد، صفحة ٢٣ – ٢٤)

[٦٥] – **"ولا يغيب عن بالنا أن نصوص الإنجيل العبراني الذي نعتمده غير متوفرة. بيد أننا نعرفه حق المعرفة من خلال الأناجيل الازائية الثلاثة: متى ولوقا ومرقس الذين اعتمدوا على إنجيل متى الآرامي أصل كل الأناجيل بعده، الرسمية منها والمنحولة.** (حريري، صفحة ١٨٥)

كان على اتصال بالحنفاء والنصارى واليهود ممن يصعب حصرهم. وتنبأ له بالنبوة رهبان وقسيسون وأجداد ونساء وملوك. وكل مؤرخي العالم والتاريخ يشهدون بعظمة شخصية محمد (ص) وبأنه لم يكن مجرد أداة سهلة يديرها أحد وإنما اعتبروه عبقرياً فذاً من ألمع من وطئت أقدامه الأرض من بني البشر. فهل يعقل أن "يحجر" محمد (ص) نفسه مع إنسانٍ واحدٍ وحيدٍ تأرجحت عقيدته بين ديانات أربعة ولم يُعرف من إنجازاته ما يجعله متفوقاً بشيء ليستقي منه العلم والمعرفة؟ هل أعطى ورقة محمداً (ص) شيئاً أم فوجئ هو، وهو في المائة من العمر، بالفيض الدافق المنبثق عن محمد (ص) فأبدى استعداده لمؤازرة الدعوة فيما لو كتب له العيش. ألم يدرك الحداد والحريري أن إبداء ورقة عزمه على المؤازرة هو قرار مستقبلي يثبت بالمنطق أنه لم يكن على علم بشيء من قبل. ولو افترضنا جدلاً أن ورقة هو الذي عرَّب الإنجيل وأعطاه لمحمد (ص) لاستنتجنا ما ينفي دوراً لورقة. فلم يكن محمد (ص) إنساناً معزولاً وإنما كان من خلال رحلاته إلى الشمال والغرب والجنوب على صلة بنصارى آخرين، وكان يتحدث عن أناجيل عدة تتجاوز إنجيل متى الذي يدعي الحريري بأنه الوحيد الذي كان محمد (ص) يعرفه، وكان على اطلاع على اليهودية وعلى الصابئة وعلى ديانات أخرى. وكان يسمع ويطلع على خطب ومعلقات شعرية فيها الكثير من الحكم والتعاليم الفاضلة التي أصبحت من صلب الإسلام. فلا حاجة بمحمد (ص) لأن يحصر نفسه حصراً مع ورقة الذي أصبح بعد نبذه للأوثان رجلاً فاضلاً وكفى. فلم يكن له باع في شعر أو نثر يستحق الذكر ولم يكتب معلقة وليس له أية أشعار أو أية نصوص لاهوتية فيها من التعاليم شيء يشبه ما نقرؤه في خطب قس بن ساعدة وفي أشعاره ، وزهير بن أبي سلمى، وأمية بن أبي الصلت الذي بلغ من مطالبته بالنبوة أن عزل نفسه عن محمد (ص) ومات في عزلته هذه. كل هؤلاء، وغيرهم كثير كتب ووعظ وخطب في أمور الحنيفية ودعا الناس وقريش إلى اتباعها. فقط ورقة لم يكتب شيئاً ذا شأن، ولم يُعرف عنه أنه دعا إلى شيء أو أنه ترك أثراً مكتوباً.

لقد قال الحريري بأن ورقة هو النبي. فما هذا النبي الذي قضى ستين عاماً من عمره في عبادة الأوثان وسدانتها ولم يعلن عن أي دين أو أية تعاليم؟

لنوجز ما قلناه بوضع النقاط على الحروف حول علاقة ورقة بمحمد (ص). فهو:

لم يكن ملازماً لمحمد (ص)، لا بالشكل الذي يتحدث عنه الحريري والحداد ولا بأي شكل آخر.

لم يكن ورقة المتنبئ الأول ولا العليم الأول ولا العارف الأوحد بنبوة محمد (ص)،

وهو لم يزوجه خديجة (ر) قطعاً،

وهو لم يكتب الوحي ولم يلقنه محمداً (ص) ولم يكن له أي دور مباشر أو غير مباشر به.

وهو لم يكن من الأصيلين في دين الوحدانية والحنيفية وإنما حديث العهد بذلك.

فلماذا يثير الحريري هذه الزوبعة غير المنصفة حول رجل طيب لم يدّعِ في أي لحظة من لحظات عمره أنه صاحب دعوة؟

أما أن يكون التاريخ طمس الكثير من المعلومات عن ورقة فهذا خطأ بحت. فقد يتحاشى مؤرخ أو اثنين أو أكثر إلقاء الأضواء على ورقة أو على إنجازاته. أما أن يتحامل كل الرواة والمؤرخين من مسلمين وغير مسلمين في إطار مكة أو في إطار النصارى والمسيحيين الغساسنة والمناذرة في شمالي الجزيرة وجنوبها في نجران وفي بلاد الحبشة ومصر وفي بلاد الروم، فهذا أمر من الصعب أن يصدقه عقل. إن اقتصار ذكر ورقة على ما هو متوفر بين أيدينا هو تأكيد على أن إنجازاته، فيما لو كان له أية إنجازات تُذكر، انحصرت في ما ورد في أمهات الكتب، وهو جد قليل. وجدير بالتذكير أن مكانة ورقة عند محمد (ص) كانت سامية مما يفتح المجال أمامه وأمام أي مؤرخ أن يسترسل في التحدث الإيجابي عنه لو كانت ثمة إيجابيات. إن التاريخ علم، والبعض يسميه فناً. وقد يتحامل التاريخ على إنسان أو على حدث لإبراز حدث آخر أو إنسان آخر. أما أن يطمس دوراً يستحق أن يندرج في سياق التاريخ فهذا ما لم يحصل. إن التاريخ يبرز البارزين وكل من يخط خطاً بقوله أو بعمله في كيان التاريخ والمجتمع سواء أكان الخط مع القيم الصالحة أو ضدها. أما أن يهمل ذكر من خطَّ بعمله خطاً سلبياً أو إيجابياً فهذا ما لم يحصل. ومن يلعب دوراً ثانوياً يبقى في ذاكرة ثانوية للتاريخ. فقط من ليس له دور يبقى في الظل بالرغم من محاولات بعض المؤرخين الرفع المتأخر من شأنه وتعظيمه.

ويجدر التذكير أيضاً بأن المؤرخين المعاصرين لتلك الأحداث تناولوا نشاط حنفاء ونصارى آخرين في عهد محمد (ص) وقبله بتفصيل أكثر وذكروا مناقبهم ومآثرهم وما

يؤخذ على بعضهم وأثبتوا أشعارهم وخطبهم وتعاليمهم دون انتقاص من قيمتهم. فلماذا لا يذكرون مآثر ورقة لو كان لها وجود؟ هل نذكر أن الحداد الذي عالج موضوع الحنفاء والوحدانيين قبل الإسلام قد كتب نبذاً عن معظمهم. وكتب صفحتين عن قس بن ساعدة وثلاث صفحات عن أمية بن أبي الصلت ولم يذكر ورقة بن نوفل إلا بثلاث وعشرين كلمة ؟

الحداد وسورة "الضحى"

من المفارقات التي تدعو إلى الابتسام ايحاء الحريري بأن ورقة "اكتشف محمداً (ص). فهو يقول: "**هذا وإن في السيرة الهاشمية تأكيداً على أن الذي وجده (محمداً (ص)) هو ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش. فأتيا به عبد المطلب. وكان له من العمر خمس أو ست سنين. وهذا معنى قوله: "ووجدك ضالاً فهدى.**" (حريري، صفحة ٤٠)[٦٦]

وهذا الادعاء يوضح كيف يتعامل مع القارئ وكأنه يهزأ به. فالقصة هي أن محمدا ضاع في الكعبة وعمره خمس سنوات، وبحث عنه بعض من كلفهم عبد المطلب بالبحث عنه فانطلق ورقة مع رجل آخر من قريش ووجدوه وأعادوه إلى جده. فما علاقة هذه القصة العادية التي قد يتعرض لها كل طفل بسورة قرآنية قد تحمل أي معنى ما عدا الذي فهمه االحريري وأمثاله من مسلمين وغير مسلمين؟ حتى أن الحداد فهم الهداية على أنها التعميد.

لنبدأ بالآية التي سبقت آية الضلال وبتلك التي تلتها لنجد :

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾

---

[٦٦] – انظر أيضاً حداد صفحة ٢٧٨ حول ضياع محمد في مكة.

والمعنى واضح! فالسؤال عبارة عن استفهام تقرير، أي "وجدك يتيماً" فآواك عند جدك عبد المطلب. ووجدك ضالاً عن طريق الدعوة التي ستُكلَّف بنشرها فهداك إليها. فأين هذا الضلال في المعتقد من المعنى الساذج الذي أراد الحريري أن يقنعنا بصحته؟

ولننظر في الآية :"**ووجدك ضالاً فهدى**" من زاوية أخرى. فالكلمات تفيد أن محمداً (ص) لم يكن قبل البعثة على دين إيمانٍ وإنما كان ضالاً عن طريق الهداية. لكن الحداد أكَّد بقوة أن محمداً (ص) كان نصرانياً ابن نصراني وحفيداً لنصراني.(حداد، صفحة ٢٩١) فإن كان محمد (ص) نصرانياً مثل جده عبد المطلب كما يدعي الحداد والحريري فتكون النصرانية تمثل الضلال لأن الآية تحدد أنه كان ضالاًّ! (قارن أيضاً حداد، صفحة ٢٧٥)

ولننظر إلى ذات الآية من منطلق ثالث حيث يريد الحداد إثبات أثر القس على محمد (ص) وعلى هدايته بأن ورقة عمَّدَه.[٦٧] فيكتب: "**لقد رأينا أثر "القس" في ما يسميه القرآن "هداية" الطفل محمد، بمناسبة كفالة جده عبد المطلب له: "ألم يجدك يتيماً فآوى؟ ووجدك ضالاً فهدى" (الضحى ٦ – ٧): هداية في الطفولة، في بيئة "نصرانية" لا تكون إلا العماد النصراني، ولا يستقيم غير ذلك.**" (حداد صفحة ٣٢١ – ٣٢٢)

كيف يقول بأنه لا يستقيم غير ذلك في حين أن "ذلك" هو الذي لا يستقيم؟

أما ذكر إيواء اليتيم عند جده فما أثر القس في محمد (ص) في ذلك؟ وأما اعتبار العماد رمزاً لهداية محمد (ص) من الضلال فهو في حد ذاته تضليل. إن إجراء طقس العماد لا يهدي الولد المُعَمَّد وإنما هو تعبير عن رغبة أهل الولد في وضعه على أول الطريق ليصير نصرانياً أو مسيحياً. إنه تعبير عن انتهاء عهد الخطيئة وإدخال الطفل في أول طريق النصرانية. وهذا لا يعبر عن وقوع الهداية على الولد.[٦٨] فلا يجوز القول إن هداية محمد (ص) كانت في تعميده. فالآية: "**ووجدك ضالاً فهدى**" لا يمكن لها أن تعني

---

[٦٧] – كتب الحداد: "**وهذا العلم المنزل في الإنجيل لا يناله إلا أتباع المسيح الحقيقيون...وهذا العلم ينالونه من العماد، لذلك فهم يسمون العماد الاستنارة.**" (حداد، صفحة ١٣٧)

[٦٨] – قال لنا الأستاذ المفكر ندرة اليازجي في لقاء غني المضمون بتاريخ ١٨نيسان ٢٠٠٢ بأن الطفل المسيحي لا يعتبر مسيحياً إلا اعتباراً من تعميده. وكان إذا مات طفل قبل التعميد لا يُدفن حسب الطقوس الدينية وإنما كان في بعض الحالات وإنما يرمى في القمامة. وهذا ما أكده المستشرق النروجي د. إيلربرج. (أنظر د. دالاتي، "ربحت محمداً"، صفحة ١٥٤ من الطبعة الثانية)

هداية محمد (ص) وهو في الخامسة من عمره. فلا أبو طالب كان نصرانياً ولا سافر إلى الشام لتعميد محمد (ص) على يد بحيرى[٦٩]. ولماذا لم يعمده عداس النينوي أو" قس النصارى" ورقة بن نوفل؟ ألم يدَّع الحداد أن ورقة عمَّدَ محمداً (ص) وهو في السادسة من عمره عندما أخذته حليمة السعدية إليه وهو في غار حراء؟ هل تم تعميد محمد (ص) مرتين؟ ما الصحيح؟ وهلا استقر الكاتبان على رأي واحد؟

وأما "ووجدك عائلاً فأغنى" فلا تعني الفقر ولا يمكن أن تعني زواجه من خديجة (ر) لأن خديجة (ر) لم تقتطع من ثروتها لتعطيه وإنما قبلت المهر واحتفظت به ولم تعط محمداً (ص) من مالها شيئاً. والأحرى بالأمر أن الغنى نتج عن مغانم الفتوحات التي كانت توزع على المسلمين.

ورقة النبي وخديجة النبية

في تقديمه لذلك كتب الحريري عدة أفكار اعتبرها مؤسسة لاستنتاجاته. يقول مثلاً: لقد أدرك كتاب السير مقاصد ورقة وعرفوا ما أدركوا و"**حاولوا تجنب خطر ما أدركوا وما عرفوا. وما تجنبوه من خطر كان إثباتاً أخطر لما نبحث عنه. لقد حاولوا إثبات نبوة محمد، فيما هم في الحقيقة يثبتون نبوة القس.**"..."**والقس قدير على كل شيء في كل حال.**"..."**أما الذين تعاونوا مع القس وسمعوا نداءه وذهلوا بتدابيره فأولهم وأهمهم زوج النبي، وأبو طالب عمه وكفيله، وأبو بكر الصديق صديقه الحميم، ووالد خديجة بعد رضاه، وأخوها عمرو، وغيرهم كثير. كلهم انصاعوا لتدابير الله على يد القس ووكيله في مكة، واتُخِذوا فيما دبر. وبارك الراهب بحيرا والراهب عداس النينوي وسلمان الفارسي هذا التدبير.**" (صفحة ٥٤ – ٥٥)

---

[٦٩] – يقول ابن كثير في تفسيره: " **فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان.**" (ابن كثير، مجلد ثالث، صفحة ٦٥٠)

يؤسفني التعبير الذي سأصف به مضمون هذا الاقتباس "الحريري". إني أرى فيه خلطة عجيبة من البطاطا مع السمك مع المغنزيوم وفوقها عصير الجزر مع حمض الكبريت. لقد جمع الحريري كل هؤلاء في حلّة واحدةٍ ومزجها بخلاط ضخم مع بعضها ليخرج بنتيجة مُخَطط لها سلفاً والتي لم يقصد إلا إياها. ولو تتبعنا الأمور بتؤدة لرأيناها يناقض واحدها الآخر.

ومن المفارقات الغريبة دمجُ الحريري لأسماء أشخاص مع بعضها وكأنها على اتصال تآمري فيما بينها. ولكننا لم نعثر في أي من أمهات الكتب على أي أثر يشير إلى أن بحيرى اتصل بعداس أو بورقة. ولم نجد إشارة إلى أن خديجة (ر) سافرت إلى أي منهما، ولا ذكر بأن ورقة كاتَبَ بحيرى أو اتصلَ بعداس، ولا يوجد إشارة إلى أن بحيرى زار "المرشح للنبوة" في مكة.

ولا يقتنع الحريري بنبوة ورقة وإنما يمهد ليجعل من خديجة (ر) نبية أخرى فيكتب: **"لم تتوانَ خديجة عن البحث والاستشارات لتهدئ روع زوجها. فقد كانت تذهب به إلى القس ورقة تارة، وإلى عداس النينوي طوراً"...."ثم كتبت خديجة إلى بحيرى تسأله عن جبريل"**.(حريري، صفحة ٥٩)

وأعلمنا بأن خديجة (ر) كانت ضالعة في "مخطط صنع النبي". وطلب منا أيضاً أن نكف عن السؤال عن نبوة محمد (ص) لنسأل عن نبوة خديجة (ر) فكتب: **"ولكن لا بد لنا من أن نسأل، لا عن نبوة محمّد، بل عن نبوة خديجة، التي أعلنت لزوجها نبوته، التي عرفت بمشيئة الله، وفسَّرت الرؤية كعليمة باسرار الغيب."** (حريري، صفحة ٥٧) ثم كتب: **"القس دَبَّرَ. والزوجة نفذت. والعم عضد. والنبي استسلم لإرادة الله....والحقيقة تقال أن الله، إذا ما اراد اختيار أنبيائه، يهيئ لهم الظروف المناسبة ليكفل لهم النجاح في مهماتهم الصعبة."** (حريري، صفحة ٦٣) أما الحداد فكتب ما هو أشد تطرفاً فقال: **"خديجة هي التي تدير الجميع وتسيطر عليهم."** (حداد، صفحة ٣١٦)

إنهما يحيراننا: فهل ورقة هو النبي الذي جنَّدَ خديجة (ر) وخطط لها مؤامرته أم هل كانت خديجة (ر) تدير الجميع وتسيطر عليهم؟ هل نحن، هكذا، في صدد نبي ونبية دفعة واحدةً ؟

لماذا تذهب خديجة (ر) إلى بحيرى في بلاد الشام البعيدة إن كانت هي النبية أو إذا كان ورقة، النبي الحقيقي، والشخصية الأهم، والزعيم، والجبار، والقادر على كل شيء في كل وقت موجوداً إلى جانبها ويشحن زوجها شحناً بتلك العلوم الإلهية؟ لماذا "التيمم" في بلاد بعيدة جداً إن كان ماء "الوضوء" متوفراً بجوارها بل حاضراً بين يديها؟ وماذا كان يفعل عداس النينوي، القس الثاني إلى جوار ورقة في مكةٍ لا يكاد يوجد فيها جالية نصرانية لها أي شأن أو أي دور ؟ هذا وإذا كان الله هو الذي هيأ الظروف المناسبة لنجاح محمد (ص) فلا يجوز لورقة أن ينسب إلى نفسه نبوة بالإشراف أو بالاشتقاق أو بالوكالة. ولا يجوز لأي كائن كان قديماً أو في العصر الحديث جعل خديجة (ر) نبيةً أو الادعاء بأن ورقة اختار محمداً (ص) تلميذاً وخليفة له كما فعل الحريري بقوله: "**أول نجاح حققه قس مكة كان في اختياره محمداً**."(حريري، صفحة ٢٠١) فالله هو الذي يختار الأنبياء وليس رجلاً كالقس. فكيف إن كان هذا القس قد تحوّل خلال حياته في معتقدات متباينة أربعة دون أن نعلم بشكل جازم على أية عقيدة كان حين توفاه الله؟

الوثنية في صلب عائلة محمد (ص)

من أهم الأفكار التي يحلو للحداد والحريري إثباتها هو أن محمد (ص) كان نصرانياً. وأبوه وعمه وجده وزوجته أيضاً. بل ينسبان النصرانية إلى كل من يحيط به من العائلة والمعارف[٧٠]. ولإثبات ذلك يورد الحريري نصوصاً حول وحدانية أبي طالب وحنيفيته ونصرانيته نختار منها اثنين:

"وقد جاءت أدلة كثيرة تشهد بأن عبد المطلب كان على الحنيفية والتوحيد، أي كان يتأله" وهي صفة النصارى في بلاد العرب"..." وليس أدل على ذلك من استخلاص العبر من سيرته وأوصافه وتعاليمه ووصاياه لبنيه: لقد قيل عنه أنه كان "من حلماء قريش وحكمائها، وكان مُجاب الدعوة محرماً للخمر على نفسه، وهو أول من تحنث بحراء. كان إذا دخل رمضان صعد وأطعم المساكين، وكان صعوده للتخلي عن الناس. يتفكر في

---

[٧٠] - لقد وثقنا ادعاء الحداد بأن محمد نصراني ابن نصراني ابن نصراني. (حداد، صفحة ٢٩١)

جلال الله وعظمته. وكان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤوس الجبال. ولذلك كان يقال له: "مطعم الطير. ويقال له: الفياض."(حريري، صفحة ١٠٠)

وفي اقتباس آخر عن أخلاق عبد المطلب نقرأ:

"هذه المناقب والصفات تشير، بدون شك، إلى هداية عبد المطلب. فرفضه عبادة الأصنام، وإيمانه بالتوحيد، وتحنثه، وسخاؤه على المساكين، وتحريمه الخمرة، وعقيدته بالقيامة والحساب...لا تشير إلى وثنيته أو إلى جهله الإله الحقيقي، بل تميل إلى الإقرار بهدايته اما اليهودية واما النصرانية، الدينين المعروفين في مكة والحجاز آنذاك. (حريري، صفحة ١٠٠)"

من ناحية المبدأ نقول بأن صفات الكرم والإيمان والإنسانية والمعرفة بالتعاليم الصالحة التي طبقها عبد المطلب على نفسه وعلى أبنائه صفات خيرة لا تنحصر في اليهودية والنصرانية وإنما هي قيم يمكن توفرها حتى عند عبدة الأوثان. فحشر عبد المطلب في نطاق إيمان يهودي أو نصراني هو تجاوز لكل منطق سليم. ولذلك فادعاء الحريري تلفيق ووهم. لنبدأ بتفنيد نصرانية عبد المطلب، جد محمد (ص) استناداً إلى ما جاء في أمهات الكتب:

"كان عبد المطلب بن هاشم فيما يذكرون قد نذر حين لقي من قريش في حفر زمزم ما لقي لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة. فلما توافى له بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه جمعهم، ثم أخبرهم بنذره الذي نذر ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك فأطاعوه. وقالوا كيف نصنع؟ قال: يأخذ كل رجل منكم قدحاً ثم ليكتب فيه اسمه ثم أتوني به ففعلوا ثم أتوه. فدخل على هبل في جوف الكعبة، وكانت هبل أعظم أصنام قريش بمكة وكانت على بئر في جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة، وكان عند هبل سبعة أقداح ...وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً أو ينكحوا منكحاً أو يدفنوا ميتاً أو شكوا في نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هبل وبمائة درهم وجزور، فأعطوها صاحب القداح الذي يضربها. ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ثم قالوا: يا إلهنا [انتباه: يا إلهنا!!] **هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه.....فلما أخذ صاحبُ القِداحِ القداحَ** (باسم أولاد عبد المطلب)

ليضرب بها قام عبد المطلب عند هبل في جوف الكعبة [انتباه: في جوف الكعبة!]...**.فخرجت القدح على عبد الله. فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل إلى إساف ونائلة وهما وثنا قريش اللذان تنحر عندهما ذبائحهما ليذبحه.**" (طبري، ج ١ صفحة ٤٩٨)

نكتفي بهذا القدر من الاقتباس ولكن بعد أن نوجز بقية القصة. فقد اعترض رجالات قريش على التضحية بعبد الله وفرضوا على عبد المطلب قبول تحكيم "عرافة" تستعين بتابع لها. فقبل، وقررت العرافة عدم ذبح الابن على أن يفتديه والده بمائة من الإبل. وهكذا كان.

وسؤالنا هو: هل هذه هي أجواء إيمان أم وثنية؟ هُبل هو أعظم أصنام قريش في جوف الكعبة. والضرب بالأقداح من صميم عادات الجاهلية الوثنية. وذبح الضحايا على عتبة الصنمين إساف ونائلة في جوف الكعبة من أسس الوثنية.[٧١]

لنسمع نموذجاً عما جاء في الكتب حول أبي طالب، عم الرسول: "**كان بِبُوانةَ صنمٌ تحضره قريش تعظمه...وكان أبو طالب يحضره مع قومه وكان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد مع قومه فيأبى... ذلك حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب وجعلن يقلن: إنّا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا**"[٧٢] (طبقات ابن سعد، صفحة ١٥٨)

عم محمد (ص) وعماته يغضبن عليه لأنه لم يتعبد الصنم الذي كانوا يحتفلون بين يديه. ترى هل يشير ذلك إلى نصرانية عائلة محمد (ص)؟

واقتباس آخر من السيرة الحلبية يتحدث عن أن أبا طالب شاهد يوماً محمداً (ص) وعلياً (ر) يصليان فسأل محمداً (ص):

"**يا ابن أخي ما هذا الذي أراك تدين به؟ فقال: هذا دين الله ودين ملائكته ...بعثني الله به رسولاً إلى العباد، وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى...فقال أبو**

---

[٧١] - كان الصنمان في جوف الكعبة ثم جرى تغيير موضعهما إلى حيث الصفا والمروة قبل الإسلام.

[٧٢] – (طبقات ابن سعد صفحة ١٥٨)

طالب: إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه." ثم ينتقل الحديث في السيرة ذاتها إلى ما قاله علي بن أبي طالب (ر) حول مشاهدة والده له يصلي مع محمد (ص). يقول عليّ (ر): **"تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ورآني أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة، فقال: ما هذا الفعل الذي أرى؟ فلما أخبرناه قال: هذا حسن ولكن لا أفعله أبداً، إني لا أحب أن تعلوني استي."**[٧٣] (استي تعني: مؤخرتي)

أبو طالب لا يستطيع مفارقة دين آبائه الوثنيين[٧٤] ويرفض أن يتبع ديانة تكون مؤخرته أعلى من رأسه عند الصلاة!! فهل هذه صورة رجل "تآمر" مع ورقة بن نوفل لجعل محمد (ص) خليفة نصرانيا له؟[٧٥] فبماذا يهذي الحداد ومعه الحريري؟ وكيف يجرؤ الحريري على أن يكتب في الصفحة ١٠٠ من كتابه أن عبد المطلب لم يعبد الأصنام بعد أن قرأنا نماذج قاطعة عن مواقفه من الأصنام؟ [٧٦]

وكتب الحريري أن والدي محمد (ص) عبد الله وآمنة **"كانا على الهداية والإيمان، أو قل على النصرانية."** (حريري، صفحة ١٠١) ولكننا نقرأ في ذات المراجع التي اعتمدها الحريري في تركيب مواد كتابه كيف زار محمد (ص) قبر والدته وبكاها: **"أتى قبر أمه فجلس إليه، فجعل يخاطبه، ثم قام مستعبراً، فقال بعض الصحابة: يا رسول الله قد رأينا ما صنعت، قال: إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي."..."إن جبريل عليه الصلاة والسلام..قال: لا تستغفر لمن مات مشركاً."** (السيرة الحلبية ج ١ صفحة ١٧٣)

---

[٧٣] – ذات المرجع وذات الصفحة.

[٧٤] – – نذكر بما قاله ابن كثير في تفسيره: **"فكفله عمه أبو طالب، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على راس أربعين سنة من عمره، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان."** (ابن كثير، مجلد ثالث، صفحة ٦٥٠)

[٧٥] – كتب الحريري على الصفحة ٤٠ من طبعة عام ١٩٧٩: **"يلاحظ خامساً دخول أبي طالب هو الآخر في مخطط القس وتدابيره."** ،نجد هذا الاقتباس أيضاً في الصفحة ٤٠ من طبعة ١٩٨٥ على الشكل التالي: **"يلاحظ سادساً دخول أبي طالب هو الآخر في مخطط القس وتدابيره."**

[٧٦] - نقرأ في تفسير سيد قطب: "في ظلال القرآن" الجملة التالية: **"لقد وُلِدت يتيماً فآواك إليه، وعطف عليك القلوب حتى قلب عمك أبي طالب وهو على غير دينك."** (سيد قطب، جزء ٢٨، صفحة ٦٠٣)

ولا يفوتنا التذكير بأن محمداً (ص) حاول أن يستغفر لعمه أبي طالب أنْ ماتَ على الشرك فوجد أن احتمال قبول الشفاعة له أصعب من قبول شفاعة محمد (ص) لوالديه. لنقرأ ما جاء عن ذلك:

"ومما استدل به الحافظ السيوطي على أن أبويه صلى الله عليه وسلم ليسا في النار قال: لأنهما لو كانا في النار لكانا أهون عذاباً من أبي طالب، لأنهما أقرب منه وأبسط عذراً لأنهما لم يدركا البعثة، ولا عُرِضَ عليهما الإسلام فامتنعا بخلاف أبي طالب."[٧٧] (السيرة الحلبية، صفحة ١٧٧)

وروى مسلم عن أنس " **أن رجلاً قال: يا رسول الله! أين أبي؟ قال: (في النار). فلما قفى دعاه، فقال: (إن أبي وأباك في النار).** " (عون المعبود في شرح سنن أبي داود) محمد (ص) لم يتستر على وثنية والديه ولا على رفض عمه الإسلام تماماً كما لم يستح الحريري من جعل الثلاثة نصارى. ولم يستح محمد (ص) من الاعتراف بوفاة والدته على الشرك ولا من كون عمه أبي لهب غارقاً في الوثنية تماماً كما لم يخجل الحريري من قلب الحقيقة إلى عكسها مكذباً للمراجع التي استند إليها بنفسه.

مكة الوثنية أم المؤمنة الموحدة؟

لم يستح الحريري من قوله: **هذه الشهادات وغيرها في كتب السِيَر والأخبار تدل على وجود نصراني واسع في مكة...**"[٧٨] (حريري، صفحة ١٨) أو عندما كتب بدون توثيق: "**وتشهد كتب الأخبار على وجود مناخ نصراني عام طغى على بيت محمد.**" (حريري، صفحة ٩٩)

بالعكس! فبدلاً من أن يتقيد الحريري بما تمليه أخبار أمهات الكتب نجده يصر على إيمان مكة ووحدانيتها فيكتب:

---

[٧٧] – هناك مراجع إسلامية ترى أن أبا طالب مات على الإسلام

[٧٨] – "لو كان للنصارى ذلك الوجود الواسع في مكة والحجاز، لكانت لهم مقبرة خاصة بهم، ولما كانوا قبلوا دفن رئيسهم الروحي والاجتماعي في الحجون." (عمران، صفحة ١٠٧) فالحجون هي مقبرة الأكارم من وثنيي قريش.

فلا الشرك إذن، ولا جهل الله، ولا إنكار وجوده، ولا الوثنية بمعناها الحقيقي، كان موجوداً في مكة. ولئن طاب لكتاب السير والأخبار إثبات ذلك، فهو من قبيل إظهار النور على الظلمة، وإظهار العلم بعد جهل. فمكة لم تكن مشركة، ولا وثنية، ولا جاهلة الله، وبالتالي لم تكن في "عصر الجاهلية". مكة كانت مؤمنة بالله، الواحد، الخالق، ولكن كانت تتقرب إليه بواسطة الصور، وبشفاعة الملائكة والقديسين، وبالرموز والتماثيل والصور، وقل بواسطة الأيقونات. وبيئة محمد الخاصة، لم تكن غير ما كانت عليه مكة، أي على غير الإيمان والهدى. وربما منادمة محمد للرهبان ومعرفته بهم والتجاؤه إليهم في ملماته وصعوباته وأمراضه خير شاهد على إلمام محمد بالنصرانية، أو على تنصره أيضاً، كما عرفنا...وإجلال القرآن العربي لهم برهان على محبة محمد وتقديره أيضاً."

(حريري، صفحة ١٠٥)

كلام عجيب أُحسن تصفيفه. ولكن أين الحقيقة منه؟ كيف يعترف بوجود الوثنية والأصنام ثم يقول بأن عبادة هذه الأوثان ليست هي الوثنية؟ وكيف يجرؤ الحريري على القول: "**مكة كانت مؤمنة بالله، الواحد، الخالق**"؟ فلماذا ظهر ورقة إذن إن كانت مكة وحدانية؟ هذا إن كان ظهر أصلاً. (فظهوره كداعية مجرد اختلاق لا يؤيده أي مؤرخ منذ أيام الدعوة حتى ظهور أمثال الحداد والحريري) وهل حارب محمد (ص) من أجل إصلاحٍ دينيٍّ يطال ديناً معروفاً مُتَّبَعاً منذ ما قبل أن تلده أمه؟ لا شك في أن قوة الإيمان الدافعة في المجتمع تصادمت مع الوثنية وأدَّت إلى تفجر الدعوة على يد محمد (ص). وهل أراد محمد (ص)، من الناحية المبدئية، أكثر من ترسيخ شمولية فكرة الإله الواحد الخالق التي لا تحتاج إلى أي تأويلات عبثية؟ وهل سالت الدماء بين المسلمين والمشركين من أجل مجرد صور أو ايقونات؟ ألم يحتقر ورقة، الوثني، تلك التماثيل يوم شاهد وزميله زيد بن عمرو ويقرر معه البحث عن دين جديد، وذلك قبل وفاته بأكثر من أربعين سنة؟ نحن لا نريد الاسترسال في تدقيق كل جملة من النص لأن ذلك ينحرف بنا عن الهدف الأبعد من معالجتنا لكتاب الحريري. ولكننا، بالمقابل، لا نستطيع ترك النص قائماً كما هو قبل أن يجيبنا الحريري على أسئلة معاكسة. فما تلك الديانة الوحدانية التي تعتمد الأصنام

والتماثيل ليتعبدها بنو البشر؟[79] هل يجوز لمفكر موحد أن يتقبل عبادة أصنام مصنوعة من الخشب أو من الحجر أو من التمور في مكان الخالق؟

هل يهدف الحريري إلى تسهيل عودة المسيحيين إلى وثنية حديثة تقبل بالأصنام لتقربهم من الله "زلفى"؟

لو كان في مكة أو في الكعبة كنيسة يرعاها القس ورقة لتساءلنا: كيف يقبل بإنجاز قداسِه المزعوم في ظلال الأوثان التي أحاطت بالكعبة وآوت أهم أصنام العرب؟ ويعلمنا الحريري وكل علماء التاريخ أن آل قريش حاربوا كل من أراد استبعاد الأوثان من الكعبة. وبلغت محاربتهم لمحمد (ص) حدود محاولات لقتله. بل لقد فاوض زعماء قريش عمَّه أبا طالب أن يختار أفضل شبابهم لنفسه ليسمح لهم بقتل محمد (ص) والتخلص من دعوته فرفض أبو طالب وحذَّرهم من مغبة التعرض إليه.

كيف يمكن لوثنيي قريش أن يكونوا سمحوا لورقة أن ينشط خلال ٤٠ عاماً في كنيسة تحارب الوثنية إن كانت الوثنية وتوابعها تشكل مصدر الثراء الأهم لسادات قريش؟ إن تساؤلنا هذا له جواب واحد: لم يسع القس في قليل أو كثير للتحرش بالأوثان ولا بالوثنيين ولم يستثرهم في معتقداتهم. وإلا لكانوا حاربوه حرباً كما حاربوا محمداً (ص) أو أبعدوه إلى ضواحي مكة كما نفوا الحنفاء الآخرين من قبل. وإن كان استنتاجنا صحيحاً، ولا شك في صحته، لتساءلنا: هل هادن القس الوثنية فأحنى لدعاتها هامته أم أنه عاد إلى وثنية قريش بعد تنصره؟ هل انكفأ إلى نصرانيةٍ تُستخدمُ فيها الأصنام للتقرب من الله زلفى، على حد تعبير الحريري؟ قد يبدو في السؤال شيء من التحدي. ولكن طبيعة القس اللين العريكة تجعل السؤال منطقياً. وإلا فكيف كان يتقبل التجوال بحرية في الكعبة بين الأوثان دون أن يأخذ موقفَ الرفضِ منها؟ لقد كانت أهم أصنام قريش في جوف الكعبة فلماذا لم يحاربها؟ هل تخلى عن هذه المهمة الخطرة لمحمد (ص) لخوفه أم لضعف إرادته؟ أم هل قاطع الكعبة نهائياً منذ تنصره ولم يدخلها على مدى الأعوام الأربعين الأخيرة من عمره؟ فإن كان الأمر كذلك لتحققنا من أن مكة لم يكن فيها لأي قسٍ أي دور يستحق أن يُذكر.

---

[79] – انظر خليل عبد الكريم، صفحة ٥٠ حول مضمون سلطة الحجابة من مسؤولية إمساك مفاتيح الكعبة، وتنظيم الطواف حولها، والدعاء عندها، والذبح للأصنام والاستقسام بالأزلام بجوارها.."

ومن المفيد اختتام هذا الموضوع بسؤال طرحه خليل عبد الكريم في هذا الصدد وتولى الإجابة عليه ومفاده: لماذا "**تاصبت قريش محمداً صلى الله عليه وسلم العداء وحاربته؟ وفي بداية الإجابة نلاحظ أن الدقة قد أعوزت السؤال ذلك أن الذي عادى محمدا..وحاربه هم "صناديد قريش" : التجار الكبار والمرابون والنخاسون ومستغلوا عرق العبيد والإماء.**" (خليل عبد الكريم، قريش، صفحة ٣٧٧)

ويتابع الحداد محاولة إثبات نصرانية مكة وخلوها من الأوثان بقوله: "**وما كان قس مكة، ورقة بن نوفل، ليطوف مع مريدهِ محمد، حول الكعبة ...لو كانت الكعبة معبد أوثان**". (حداد، صفحة ٢٥٤) ولكن ما الذي حطمه محمد (ص) إذن في ساحة الكعبة يوم فتح مكة؟ وكيف يتجاهل قصة عبد المطلب مع الإله الوثن، الصنم "هبل" في جوف الكعبة وإساف ونائلة عندما أراد التضحية بابنه عبد الله؟ وهل علم ورقة والحريري أن قصيّ سمى ولديه الأولين بأسماء الصنمين الإلهين: عبد مناف وعبد العزى؟ هل من تفسير لوحدانية يعتمدها مؤسس سيادة قريش في مكة باعتماده لخمسة أصنام على أقل تقدير: عبد مناف، عبد العزى، هُبل، إساف ونائلة؟

ويقول الحداد: "**ورقة بن نوفل، قس مكة...والذين يلتفون حوله من عبد المطلب، جد محمد، إلى أبي طالب، عم محمد، إلى عبد الله، والد محمد، إلى السيدة خديجة، ابنة عمه، إلى محمد نفسه الذي يدور في فلكه قبل مبعثه، كانوا كلهم نصارى على مذهب النصرانية الإسرائيلية.**" (.**صفحة ٣٠٣**) كيف يسمح لنفسه بالقول: "**والذين يلتفون حوله**" إن كان ورقة وثنياً ومجرد نديم لعبد المطلب، جبار مكة الحقيقي وزعيمها بلا منازع وبدون اختلاف بين جميع المؤرخين؟ فمن كان يلتف حول من؟ أليس النديم هو الذي يلتف حول الزعيم؟

لقد وصل الانحراف بالحداد إلى تبنيه للفرضية التي تقول: "**فعبادة أهل مكة هي عبادة محمد، وتوحيدهم توحيد إسلامي أو توحيد قريب من الإسلامي.**" (حداد، صفحة ٢٠٣) فلو كان الأمر كذلك فلماذا حاربوه وحاولوا قتله؟ ألم تكن الفوارق الفاصلة أكثر جسامة من أن تُطوى بسهولة؟

ترى هل يعترف الحداد ومعه الحريري بفضل محمد (ص) على استمرار النصرانية التي كانت ستذوب في الدموية التلمودية التوراتية؟ ليقرأ كتابات جورجي كنعان المتعددة حول هذا الموضوع.

وجدير بالتذكير ما قاله القس عداس عندما سألته خديجة (ر) عن جبريل فسألها: "**ما شأن جبرئيل يذكر بهذه الأرض التي أهلها أهل الأوثان؟**" (الخصائص الكبرى، ج ١، صفحة ١٥٨)

أبعد هذا الاعتراف اعتراف؟

"تحريف" الوحي القرآني

كم يحلو للحداد إثبات تحريف القرآن، ولكن دون جدوى. ومن الأساليب الملتوية للتوصل إلى ذلك قَسَّمَ الوحي إلى ثلاثة أنواع فكتب: "**فكلام الله للبشر على ثلاثة أساليب: إما بالوحي المباشر كما كان مع المسيح، وإما بالكلام من وراء حجاب، كما جرى لموسى، وإما "يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء"، فيكون الوحي بالواسطة، كما جرى لمحمد.**" (!!) (حداد صفحة ٢٩٧)

كلام عجيب وايم الحق!

لقد صنَّفَ الحداد الوحي في ثلاث مستويات. فكان مباشراً بين الخالق وعيسى (ع.س.) فقط. ثم يتدنى المستوى دفعة واحدة ليصبح من وراء حجاب كما كان الأمر مع موسى. أما المستوى المتدني، فكان من نصيب محمد (ص) الذي تلقف الوحي من خلال وسيط من البشر. والوسيط هو بالطبع ورقة بن نوفل. ولقد أوضحنا بما فيه الكفاية حتى الآن أن وثنيته الثابتة، وانتاجه القليل يجعلانه أقل مقدرة من أن يتعامل مع أي وحي.

لا نريد استخدام جواب انفعالي لئلا ينحدر مستوى الحوار والنقاش ولأننا لا نهدف إلى تحطيم ما يصعب التئامه. ولكننا سنتساءل: أين الكلام الإلهي الذي أوحاه الله مباشرة إلى السيد المسيح إن كانت الأناجيل الأربعة المعترف على قدسيتها وعلى ألوهيةِ مصادرِها كتبت بعد وفاة السيد المسيح بعشرات السنين ومتباينة فيما بينها بحيث لا ينطبق مضمونها مع بعضها ؟ وكيف يصبح السؤال إن كانت الأناجيل، وكلٌّ منها يدعي القدسية

وألوهية المصدر، ليست أربعة وإنما عشرات وعشرات؟ أي إنجيل منها هو الذي أوحى به الخالق إلى عيسى (ع.س.) مباشرة؟ هل يريد الحداد أن أعدد له علماء مسيحيين مؤمنين وأساتذة جامعيين في اللاهوت المسيحي ينكرون أصلية الكتاب المقدس الذي يستند على ألوهية المضمون منذ مئات السنين؟

وبالمقابل يوجد مؤرخون لم يرق لهم مدى التدقيق الذي تعرض له تدوين القرآن فكتبوا عن اختلاف في التدوين. وهناك مؤرخون آخرون حاولوا اتخاذ مثل تلك الاختلافات ذريعة ليجعلوا من القرآن كتاباً محرفاً لا يختلف عن التحريف الثابت على كتب مقدسة أخرى. ولهؤلاء، وللحقيقة نأتي على ذكر جميع "التحريفات" المنسوبة إلى القرآن الذي اعتمده الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن استقيناها من كتاب الحداد الذي استخدمه للوصول إلى هدفه. يقول الحداد: (صفحة ٢٤٩ – ٢٥٠)

"وقد أجمعوا على أن الحجاج قد غيَّرَ في المصحف العثماني اثني عشر موضعاً:

كانت في سورة البقرة: لم يتسنَّ	فغيرها الحجاج إلى	لم يتسنَّه	آية ٢٥٩
وكانت في سورة المائدة: شريعةً ومنهاجاً	=	شرعةً ومنهاجاً	آية ٤٨
وكانت في سورة يونس : هو الذي ينشركم	=	يُسيِّركم	آية ٤٢
وكانت في سورة يوسف: أنا آتيكم بتأويله	=	أنا أنبئكم بتأويله	آية ٤٥
وكانت في سورة المؤمنين: سيقولون لله	=	سيقولون: الله	آية ٨٧
وكانت في السورة نفسها : سيقولون لله	=	سيقولون: الله	آية ٨٩
وكانت في سورة الشعراء: من المُخْرَجين	=	من المرجومين	آية ١١٦
وكانت في السورة نفسها : من المرجومين	=	من المخرجين	آية ١٦٧
كانت في سورة الزخرف: نحن قسمنا بينهم معايشهم	=	معيشتهم	آية ٣٢
وكانت في سورة الذين كفروا: من ماء غير ياسن	=	غير آسن	آية ١٥
وكانت في سورة الحديد: فالذين آمنوا منكم واتقوا	=	وانفقوا	آية ٧
وكانت في سورة التكوير: وما هو على الغيب بظنين	=	بضنين	آية ٢٤"[٨٠]

[٨٠] – أخطأ الحداد في اسم سورة "الذين كفروا" لعدم وجود سورة بهذا الإسم. ولكننا حافظنا على النص للحفاظ على نصه الأصلي.

نحن نتجنب مناقشة حصول هذه التغييرات" ولكنها موجودة ويقرأها من يريد استخدامها لغاياته. ولو سلمنا جدلاً بصحتها فنرجو ممن يقرأها التمعن في طبيعتها وأثرها على المعنى العام وفي الواقع. إنها في واقع الحال إما كلمات نقصت أو زادت أو استبدلت حرفاً أو نقطة أو أكثر ولا تمس العقائد بحال من الأحوال. فهل يُراد منا أن نبرز "التغييرات" في الكتب المقدسة الأخرى التي تقلب المعنى كلياً فتحذف سوراً أو فصولاً بكاملها تارة أو تضيف فصولاً أخرى بكاملها تارة أخرى؟[81]

خلوة وصوم وتعبد

نفى الحداد بإصرار عجيب قِدَمَ بعض العادات الداخلة في تعاليم الدين فكتب: "**إن التعبد والصوم والخلوة، وفي شهر رمضان، ليس من شرع إبراهيم، ولا من شرع موسى، إنما هو عادة نصرانية، وبممارسة الخلوة على انفراد عادة رهبانية.**" (حداد، صفحة ٢٩٠)

وفي معرض كلامه عن الخلوة أعلمنا الحريري بأن أول نشاط مارسه ورقة مع محمد (ص) بعد الزواج كان الخلوة:

"**فكان أول ما كان وأهم ما كان الخلوة. والخلوة في غار حراء حيث اعتكف جده وندماء جده و "الحُمس" من آل قريش. هناك، في مدة تزيد على الخمس عشرة سنة، راح القس والنبي يختليان ويصليان وينقطعان عن الناس ويفكران بالله، شهراً كاملاً من كل سنة. هناك تدرب النبي على يد القس الخبير بشؤون الله والناس.**" (حريري، صفحة ٤٢)

---

[81] - عندما قرأنا عند الحريري التحليل الذي يرجو من خلاله إثبات حصول بعض التغيير في نصوص القرآن في غير صالح النصارى شعرنا بالحاجة لأن ندعو من هم على علمٍ ودرايةٍ أكبر من درايتنا بعلوم الدين وبتاريخ الإسلام كي يناقشوا ادعاءه بموضوعية صادقة. وبذات الأمانة التي ندعو العلماء إلى مراعاتها عند بحث "شكوى أبي موسى الحريري" نؤكد قناعتنا بأن الاستنتاجات التي يبنيها هو بعد ذكره للتغيير ظالمة مغرضة لا موضوعية فيها.

كيف يدعي الحريري بأن ورقة كان خبيراً بشؤون الله، وهو الوثني الذي عبد الأصنام خلال سنوات وثنيته، وهادن الوثنية والأصنام بعد تنصره؟ أما خبرة ورقة في شؤون الناس فهو خبر مدسوس عليه لأنه لو كان كذلك لقام هو بنفسه بدعوة الناس إلى معتقده.

هذا وإن ادعاء الحداد بنصرانية الخلوة يتناقض مع نصوص كتابه بالذات حيث كتب:

"**ومنذ زمن المزمور الثالث في الزبور اعتاد أتقياء الله ممارسة الخلوة والنوم في بيت الله ينتظرون منه وحياً في رؤيا بمنام الليل.**"(حداد، صفحة ٣٢٢) والمزامير سبقت ظهور المسيحية بأكثر من ألف عام. فالخلوة لم تكن عادة نصرانية الأصل وإنما نوع من التراكمات اللاهوتية منذ آلاف السنين قبل النصرانية وقبل اليهودية. فهل سها الحداد عن وقوعه في هذا التناقض في موقعين متقاربين من كتابه؟

إننا عندما نتحدث عن التراكمات الأقدم من الديانتين علينا الإمعان بالاقتباس التالي:

ومثلما تعمَّدَ المسيح في نهر الأردن، كان كريشنا قد تعمَّدَ قبله في نهر الغانج، وعايشَ مثلما سوف يعايش المسيح جماعة الخطَّائين، ومثله قَبِلَ توبة الزناة، وعلى يده صار إحياء الموتى وإبراء المرضى واستخراج الشياطين من الأجساد المسكونة، وسار إلى الموت كما سار المسيح، وأوكَلَ مهمته الرسولية إلى تلامذته ومريديه فساروا بها – مثلما سوف يفعل الحواريون – ومات مصلوباً على شجرة. ودعا إلى تثليث الاعتقاد بالقوى الكونية الثلاثة الكبرى ورمز إليها بكلمة "تْرِي مُورتي" وأشار إليها بصورة الأصابع الثلاثة، الإبهام والسبابة والوسط.." ومن يود زيادة الاستعلام عن حكمة هذا الحكيم وأخباره فليراجع المصادر اللاهوتية في الهند وليراجع بعض المترجمات عنها...وإذ ذاك سوف يجد المتشابهات بالمئات، وقد بلغت حد التماثل والمحاكاة إلى درجة الحَذْوِ الدقيق بالأقوال والتصرفات."[٨٢] (عمران، صفحة ٣٥٠/٣٥١)

---

[٨٢] – قبل ثمانية وعشرين قرناً قبل الميلاد ترك الحكيم المصري "بتاح حوتب" وصايا لا تختلف كثيراً عن الديانات التوحيدية. و"أمنحوتب" ترك أمثالاً إذا قارنتها بأمثال سليمان فلن يسعك أن تقول سوى أن مصدر الوحي واحد. وأسفار الفيدا جاءت بمواعظ أقدم من الديانات. وهناك أسفار اليوبانشاد التي تحدث عنها الفيلسوف الألماني "شوبنهور": "**لقد كانت سلواي في حياتي وستكون سلواي بعد مماتي. فلو استثنيت النتف التي خلفها "بتاح حوتب" المصري في الأخلاق، كانت أسفار اليوبانشاد أقدم أثر فلسفي ونفسي موجود لدى البشر.**" (انظر عمران، صفحة ٣٥٢ – ٣٥٢)

وفضلاً عن ذلك نجد أن مضمون الاستشهاد السابق من الحريري لا يستقيم وإنما يثبت تناقضه مع نفسه. فهو يذكر في الفقرة التالية للفقرة المقتبسة مباشرة أن محمداً (ص) كان يذهب إلى الخلوة قبل الخمسة عشرة سنة نفسها، التي يُفترض أنه لازم ورقة خلالها، فقد كان يذهب منذ الصغر كما أقرّت حليمة السعدية مرضعة الرسول: "**فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده، وكان يخلو بغار حراء.**" (حريري، صفحة ٤٢)

لننتبه إلى أن الاستشهاد الذي أورده الحريري حيث يقرُّ بأن محمداً (ص) كان يحب الخلوة وحده، أي بدون أي مرافق. بل إن الحريري يورد بنفسه استشهاداً آخر مشابهاً يقول: "**وزاد ابن هشام بقوله: "فلم يكن شيء أحب إليه (أي النبي) من أن يخلو وحده.**" (حريري، صفحة ٤٣)[٨٣]

وبعد أسطر قليلة يكتب: "**ولكن، لم يك محمد يعرف وحْدَهُ أهمية الخلوة إعداداً للنفس وانقطاعاً إلى الله لو لم يتعرف على أناس مارسوها قبله، ولو لم يتبع في ذلك مسيرة جده وندماء جده أمثال أبي أمية بن المغيرة والقس ورقة بن نوفل وغيرهما. فعن هؤلاء أخذ محمد الطريقة. وعلى خطواتهم سار في إعداد حياته الروحية ورسالته العلنية بين الناس.**" (حريري، صفحة ٤٣)

نحن نرى في هذه الفقرة ما ينسف دعاوي أبي موسى الحريري من جذورها. فبالإضافة للتناقض الذي أوقع نفسه فيه نجد أن الفقرة واضحة وضوح الشمس إذ تذكر كثيرين بالاسم وبدون اسم ممن يمكن أن يكون قد أخذ عنهم محمد (ص) الطريقة وسار على خطواتهم في إعداد حياته الروحية. صحيح أن الاقتباس يذكر حضوراً لورقة بن نوفل ولكن ذكره جاء كواحد عادي من كثيرين لا يتميز عنهم بشيء. وأعلمنا الحريري أن محمداً (ص) رافق العديد من الحنفاء، وجهاء مكة، إلى غار حراء قبل أن يتزوج من خديجة (ر) بست عشرة سنة. فهل أهمل جميع هؤلاء تعريف محمد (ص) بمضمون الخلوة خلال ست عشرة سنة كاملة؟ أليس الاحتمال الأكثر منطقية هو أن محمداً (ص) اطلع خلال الأعوام الستة عشر على كل إيجابيات الخلوة في الغار دون الحاجة لأي تدخل

---

[٨٣] – أصل الجملة عند ابن هشام هو "وحبب الله تعالى إليه الخلوة، فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلوَ وحده."
(ابن هشام، ج ١ ص ٢١٦)

من القس ورقة؟ فلماذا لم يأخذ محمد (ص) تلك التعاليم عن جده في طفولته وعن عمه أبي طالب، سيد مكة بلا منازع، في شبابه؟ إن تلازم محمد (ص) بجده عبد المطلب ثم بعمّهِ الذي لم يكن ينام إلا بالقرب منه موثق في الكتب التي اعتمدها الحريري. أما تلازم محمد (ص) لورقة فلا يوجد له أي سند في أي مرجع "يتيمٍ" من المراجع المعتمدة. لا شك إذن في أن الربط بين ورقة ومحمد (ص) بهذا الشكل مختلق لتحميل الوقائع ما لا يمكن لها أن تحمله. إن "**بحثه المحموم عن دعم لآرائه المسبقة هو ما سبَّبَ تسرعه وبحثه عن الإثارة ومحاولة إجبار المراجع على البوح بمعلومات لا تحويها**" (منى، صفحة ٢٦)

ننتقل الآن إلى ما يحدثنا به الحريري عن مضمون الخلوة فيقول:

"**لا نعرف بالحصر مقومات خلوة محمد في غار حراء ولا كيفيتها.**" ولكنه بعد أسطر قليلة يناقض نفسه إذ يكتشف أنها معروفة ويحصرها حصراً في قالب محدد فيقول: "**وفي كتب السيرة وصف لها بما يتفق والتقاليد النصرانية في ذلك الحين.**" (حريري، صفحة ٤٣ – ٤٥) ثم يعددها في ست نقاط هي:

١ – الزهد والانقطاع عن الناس. ٢– التحنث والتحنف. ٣ – الصيام. ٤– أعمال البر والإحسان. ٥– شهر رمضان. ٦ – الطواف في البيت. ثم يعلق عليها بقوله:

"**هذه بعض مقومات خلوة النبي في غار حراء. كلها عادات نصرانية، لا يمارسها أي إنسان من ذات طبعه....كلها من شرع الله الذي أنزل على موسى وعيسى، أي التي كان يمارسها اليهود المتنصرون. ولم يكن بوسع محمد أن يكتشفها وحده لولا اقتداؤه بمن سبقه في ذلك، ولولا تدربه على يد مرشد خبير كالقس ورقة بن نوفل أقرب المقربين إليه.**" (صفحة ٤٦)

نبدأ في تعليقنا على ذلك بذكر أوجه التشابه بين منطق الحريري ومنطق إسرائيل. فإسرائيل لا تذكر من تاريخ فلسطين سوى الفترة التي تبدأ من دخول بني إسرائيل إليها وكأن فلسطين لم يكن لها قبل ذلك أي وجود. والحريري يلجأ إلى ذات المنطق إذ يذكر تلك العبادات ويقرنها بمعتقده وكأنها لم تكن معروفة قبل ذلك. والحقيقة هي أن الصفات الست جميعاً أقدم مما يذكره الحريري بعدة آلاف من السنين وموجودة في معظم حضارات الشرقين، الأدنى والأقصى القديمين.

ونحن إذا أخذنا النقطة الأولى والرابعة من النقاط الست (الزهد، وأعمال الإحسان) لما وجدنا فيها شيئاً مغايراً لأخلاقية الناس من كل دينٍ أو معتقد. فلا داعي لإدراجها في هذا الصدد على الإطلاق. والنقطة الثالثة عن الصيام مطابقة في المضمون للنقطة الخامسة عن صيام رمضان مع ضرورة التنويه بأن صيام المسلمين ارتبط برمضان بينما الصيام الآخر لا علاقة له بهذا الشهر في قليل أو كثير. ونضيف أن صيام المسلمين يختلف في نقاط أساسية عن الصيام الآخر. فالمسلم يمتنع عن الطعام والشراب والمتعة الزوجية منذ الفجر حتى المغيب. وهذا ما لا مثيل له في اليهودية أو النصرانية. وفضلاً عن كل ذلك فإن ممارسة الصيام كان موجوداً عند البابليين والآراميين والكنعانيين والمصريين وفي حضارات ما بين النهرين وفي الهند. فلماذا ينسى الحريري كل هؤلاء ليعيدها إلى من لا يجوز أن تعاد إليه؟ بل الأغرب أن الحريري يعترف بنفسه بأن **الصيام هو سنة عامة في كل الأديان والمذاهب**" (حريري، صفحة ١٤٢)

أما النقطة الثانية: التحنث والتحنف فلا معنى لها إطلاقاً في هذا الصدد لأنها أيضاً عادات قديمة. فالحريري يستشهد بنفسه باقتباس نقرأ فيه: "**كان رسول الله يجاور في حراء من كل سنة شهراً. وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية.**" (صفحة ٤٣). والحداد أيضاً كتب أن لا دور للقس في ابتداع التحنث ولا في ممارسة محمد (ص) له. والنقطة الثالثة حول الطواف أقدم من ذلك التاريخ بألوف السنين. فلماذا يستخدمها الحريري وسيلة لإثبات وجهة نظره المتحيزة؟

بذلك تفقد النقاط الست صفتها كلياً وتسقط كدليل على أنه درَّبَ النبي ويسقط معها كون التحنف أو التحنث عادة نصرانية الأصل.

متفرقات من كتابي الحريري والحداد

كتب الحريري مليئة بالأفكار التي نرى فيها دسّاً على الحقيقة. ونأتي في هذا الفصل على عدد منها مع التحفظ على مضمونها.

الحريري المتواضع البريء

في نصٍ حريريٍّ ، في ظاهره الحكمة والتواضع ولكن في باطنه الدس وتفريق ذات البين نقرأ:

"يعز عليَّ اتهام الآخرين بالخطأ والضلال، كما يعز عليّ ادعاء المعرفة. ولكن التهمة والادعاء يهونان أمام واقع تاريخي لازمهُ الخداعُ والمكرُ منذ نشأته إلى اليوم. وجميعنا كنا ضحية بلبلة في الإسلام لا حدود لها ولا نهاية. ليس من مسلم متدين استطاع الإفراج عن الحقيقة، وليس من باحث محققٍ تمكن من قول الحقيقة، وليس من جريء مغامر هانت عليه حياته ليعلن ما يضمر. وأخشى أن تكون قضايا الإسلام تسيست، وعروبة المسلمين استغلت، وثروة العرب استبيحت ليبقى الضلال ضلالاً والحقيقة تائهة ضائعة." (حريري، صفحة ٢١٩)

يعز على الحريري ادعاء المعرفة. ولكنه يدعيها. ونحن نبصم بالإبهام على معرفته الغزيرة. ولكننا ندين استخدامه لأنصاف الحقائق ولأجزاء الجمل مستخدما معرفته في تضليل القراء البسطاء.

ترى كيف يقول الحريري: **"وجميعنا كنا ضحية بلبلة في الإسلام لا حدود لها ولا نهاية"؟**

من أنتم؟ ومن قال إن البلبلة تكمن في الإسلام؟ هل نسي الحريري تاريخ المسيحية منذ ألفي عام؟ هل قرأ تاريخ الباباوات؟ هل نفتح تاريخ المآسي كلها؟ هل نتطرق إلى جولات الإبادة بين عوائل فرنجية والجميل وشمعون، وهي من قمة الهرم المسيحي في لبنان؟

إننا لو شئنا الإجابة على هذه الفقرة التي تبدو وديعةً ومسالمة لاحتجنا إلى التذكير بأمثلة من التاريخ يعرفها كل مطلع. لكننا لسنا في صدد تفتيق الجروح وإثارة الصفحات السوداء بدءاً من التساؤل عن مصير المسيحية الآريوسية التي أبادتها السيادة البيزنطية، وإبادة مسيحيي أوربا لمدينة بيزنطة المسيحية؟ ثم معارك حروب الفرنجة الدموية (الصليبية)، ثم مذابح البروتستانت على يد الكاثوليك وسياسة الإبادة في محاكم التفتيش، إلى معاملة دول الاستعمار لسكان أفريقيا، والهند وشرقي آسيا، إلى طريقة تعامل الشعب الأميركي البطل مع الهنود الحمر. وهل ننسى وحشية الأميركيين مع زنوج أفريقيا الذين أحضروهم عبيداً؟ وهل اطلع أحد على الوسائل البشعة التي استُخدمت في إبادة سكان

استراليا؟ وما رأي الحريري في قذف الولايات المتحدة للقنابل الذرية على المدن غير العسكرية هيروشيما وناغازاكي؟ ترى من بلبل من؟ وهل الإسلام هو الذي يدفع العالم المتقدم لاستخدام إنجازاته العلمية في ابتزاز رحيق الحياة من دول العالم الثالث؟

وهل ننسى الحرب اللبنانية حيث كانت الأحكام المؤسفة تُنَفَّذ حسب الهوية المذهبية للمرء، أو تصدر استناداً إلى كيفية لفظ المرء لكلمة "بندورة" ناهيك عن أحداث صبرا وشاتيلا. ولا ننسى بالطبع ما حدث في مدينة سيربرينيتسا في بلاد الصرب ونحن على عتبة القرن الواحد والعشرين، وإنما نطرح على الحريري سؤالاً محدداً دون أن نطلب منه الإجابة عليه وإنما نناشده البحث عن الجواب ثم نرجوه أن يفتح فؤاده ليتفاعل معه بحرية دون أن يفصح لنا عن النتيجة: ترى ما الذي كان سيحدث لو لم يظهر الإسلام في مكة؟ وماذا كانت أمور النصارى ستؤول إليه في المنطقة؟ إننا لو استمعنا إلى الكاتب جورجي كنعان لسمعنا إجابته بأن محمداً (ص) دفع عن الجزيرة العربية خطر اكتساح اليهودية العنصرية الحاقدة لكل المنطقة. ونتائج ذلك هو الشارونية البادية اليوم نصب أعين المسلمين والمسيحيين. وإن ظن البعض بأن تعايشهم مع إسرائيل العنصرية سيكون أفضل من تعايشهم مع المسلمين على مدى التاريخ معهم فهم ليسوا على ضلال فقط وإنما هم جزء من الضلال والإضلال والبعد عن دين المحبة. إنهم بين المسلمين ومعهم يشكلون فقرة أساسية من صلب العمود الفقري للأمة وليسوا مجرد أقلية تعتنق ديناً آخر.

ومن درر الحريري التي تبدو في ظاهرها متواضعةً قوله:

"**وأعظم الأمور أن يخاف المؤمن على الله، فيثبته وراء الكون، ويخاف على الوحي فينيطه بالأزل، وأن يخاف على كتابه فيربطه "بالأفق الأعلى" ، وأن يخاف على النبوة فيثبتها بشهادة من الملائكة والكتب السابقة والأنبياء الأقدمين والملوك والأحبار والجن، وأن يخاف على الشريعة فيردها إلى نوح وإبراهيم وموسى وعيسى، وأن يخاف على مصيره فيدعمه بقضاء الله وقدره، وأن يخاف على أن لا يكون خائفاً على شيء وهذا منتهى الطمأنينة.**" (حريري، صفحة ٢٢١)

بهذا الكلام يوجه اللوم والنقد إلى محمد (ص) وإلى المفكرين المسلمين. ولكن لماذا لا ينسب كل ذلك إلى ورقة؟ فإذا ما اعتبر أن ورقة كان "الكل بالكل" فلا يصيب النقد

إلاه. وهذا ما لا يتفق مع رغبته لأن ورقة يجب أن يبقى في برج مرتفع بحيث لا يرقى إليه لوم. ولذلك ترَكَ الأمر مفتوحاً ليفهم منه القراء أن اللوم يطال محمداً (ص) والإسلام. وبصرف النظر عما قلناه نجد كلام الحريري في هذه الفقرة مجرد أحجية اسفنكسية مجهولة المعنى والمضمون.

وينسب الحريري إلى الإسلام جموده لجمود المفكرين المسلمين. فهو يقول:

"فأكمل نظامٍ للمجتمع [الإسلامي] هو النظام الذي فرضه الكتاب، وكل بحث عن نظام جديد إمعان في الغيب. كل نهضة علمية لا تنطلق من الكتاب المنزل تحمل عجز نهوضها في نفسها لأنها سائرة لا محالة إلى الزوال." (حريري، صفحة ٢٢١ – ٢٢٢)

كلام قد لا أختلف معه فيه على الإطلاق. وقد أطلب من علماء المسلمين ما يتفق مع ملاحظاته كأن ينفرج باب الاجتهاد أكثر ليتجاوز المسلمون عقبات كأداء ناتجة عن تصلب المواقف التي تحتاج إلى المرونة ومراعاة تطور الأزمان وإلى التصرف أكثر من حاجتها إلى التقوقع على الذات. ولكن ما علاقة كل ذلك بمضمون كتاب أبي موسى الحريري وبالهدف الذي ابتغاه منه؟

نحن نطالب رعاة الإسلام بالمرونة التي لا مفر منها إن شاء المسلمون مجاراة تيار العلوم الدافق بل المتفجر الذي سيقذف بجميع المتصلبين إلى مؤخرة ركب الحضارة. رائدنا في ذلك مثال كنا نسمعه من آبائنا يقول: " **لا تكن صلباً فتُكسر ولا تكن ليناً فتعصر**." ولكننا في ذات الوقت لا نستطيع قبول مقولة الحريري بالشكل الذي قرأناه عنده، وإنما نُعَدّله لنقول إن مسلمي اليوم يقبلون عموماً بكل نهضة *لا تتعارض مع نصوص* الكتاب. ولكن هذا الموقف الإسلامي لا يكفي في رأينا وإنما يجب توسيع قاعدة الإصلاح بالاحتكام للعقل والسماح له بمناقشة كل موضوع مهما بلغ بُعْدُهُ عن المألوف شريطة ألا يكون الهدف منه التخريب وألا يكون دعوة مغلفة لترك العمل بالنصوص. والإسلام ليس بعاجز عن مقارعة الحجة بالحجة. وحين كان المسلمون يناقشون كل الأمور بكل حرية بما في ذلك مواقف الإلحاد كانت أوربا غارقةً في سبات عميق. وكونها آنذاك غارقةً في سبات لا يضيرها طالما أنها نهضت وأثبتت وجودها الإيجابي على مسرح الإنسانية. ولم تنقلب الموازين والمواقف إلا عندما تقوقع المسلمون على أنفسهم واستبدلوا العمل المنتج

بالكلام نتيجة للخشية التي تملكتهم من مواجهة التحدي الذي جاء به الغرب إليهم في عقر دارهم بعد أن كان قد أخذ الأصول عن آبائهم. والخشية تطورت لتصبح عقدة نقصٍ فعجز المسلمون عن اتخاذ المواقف السليمة لأن الفارق الفكري والعلمي والحضاري العظيم الذي أنجزه الغرب في هذه الأثناء شلّ مراكز أخذ القرار وأصابهم بالإحباط.

ولا تعني الليونة تبني كل ما يأتي من الغرب. فالغرب نفسه يرزح ويئن تحت ربقة التجاوزات والانحرافات التي تظهر عنده مثل التفريط الأخلاقي بلا حدود والسماح بتزاوج الشاذين وبانتشار الجرائم البشعة والتفسخ الاجتماعي. ولكن إن لم يفتح المسلمون المجال لإعمال العقل ويشرعوا بالإصلاح قبل أن تغزوهم حضارة الجنس والديسكو والمخدرات فعليهم أن يتوقعوا سيطرتها عليهم بدخولها منتصرة مع زحف جحافل الاستعمار الحديث. سيخسر المسلمون بقايا وجودهم المتحضر إن لم تتفتح عقولهم ونفوسهم للحوار الحر الذي ينبع من الولاء للمشاعر الإنسانية وليس من مواقف النقمة والانتقام. إن الحوار مع كل من يجتهد من أجل الوصول إلى التعايش عمل طيب بناء. أما الباحث المغرض الذي يتعمد التحريف والاختلاق والذي يستغل علمه لتهديم المتوفر من القيم الإنسانية المشتركة فيجب ردعه بالحسنى وبالقول السليم حسب ما جاء في الآية ١٣٥ من سورة النحل:

ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ



يقول الحريري في الصفحة السادسة من كتابه:

"ولكل من القس والنبي، في الدين الجديد، دور: الأول أوحى وعلّم ودرب وأرسى الدعائم، والثاني سمع وتعلم ودرس وشيد البنيان، وفضل الأول على الثاني كفضل المربي على ربيبه. القس أستاذ علم فتىً ذكي الفؤاد وعرف اختياره ونجح، والنبي تلميذ نجيب حفظ ما تعلم وأبدع. الأول نقل كلمة الله الأعجمية إلى "لسان عربي مبين" والثاني "بلّغ" كلمة الله العربية، وتلاها على المؤمنين. كلاهما عمل من أجل الله، ولأجل

أن يكون للأميين رسول وكتاب. فكان للعرب إله يعبدون، ورسول يتبعون، وكتاب فيه يقرأون."

بيد أن النبي استطاع أن يتفوق على القس ويستقل عنه. شأنه شأن أي تلميذ بارع يتخطى بذكائه قدرات معلمه. وشأن القس شأن أي مرب حكيم يترك لربيبه حرية التصرف! لقد كان النبي، لفرط ذكائه، ينشد الحرية ويلتمس الاستقلال، وكان القس لوفرة حكمته يختفي أمام عنفوان تلميذه بلباقة ويتوارى عن المسرح حتى أن التاريخ طمس لنا الكثير عنه. لقد أدى القس خدمته وذهب، وبقي النبي يجاهد ويناضل حتى حفظ له التاريخ أجمل ما حفظ. إلا أن النبي، كما عرف أن يتدرب على القس بأمانة، عرف أيضاً كيف يتصرف بما تعلم بحكمة. فجاءت رسالته مناسبة لظروف البيئة والمجتمع."

بعد أن يعلمنا الحريري بأن ورقة هو بطل الإسلام وصاحب الوحي يحدثنا مشفقاً على المتدينين من المسلمين الذين يشق عليهم الاعتراف بوجود كائن حي وقف واسطة بين محمد (ص) وبين الله، ثم يحدد:

"وغالباً ما يخفي التاريخ من على صفحاته دور البطل الأساسي، وذلك لكي يبقى له هالة السحر ورهبة السر. وبطل الإسلام هو القس، واسمه في التاريخ ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي. عُرِف باعتزاله الناس وانقطاعه إلى ربه، فحفظ له التاريخ عزلته وانقطاعه! وأخشى في ما أخشى أن أقطع عليه عزلته هذه فأظهر ما ودَّ التاريخ إخفاءه. لا بأس، فإن من يتحمل ظلمة غار حراء يتحمل ثقل الكلام عليه...جل ما أبغي ألا أترك النبي معلقاً بين الأرض والسماء، لا أصل له ولا أساس، ولو اضطربت بذلك طمأنينة المتدينين. " (حريري، صفحة ٧ – ٨)

ترى هل خطر في بال الحريري تفحص الأخطاء الجسيمة في هذا النص المقتضب؟ فالقول أن التاريخ "**غالباً**" ما يخفي دور البطل الأساسي هو كلام خاطئ. إن التاريخ لا يخفي شيئاً وإنما المؤرخون يخفون لمآربهم أو إرضاء ملوكهم. ولكننا نجد في مقابل المؤرخين الذين يعملون على إخفاء دور رجل تاريخي أعداداً لا حصر لها من مؤرخين آخرين غير ملتزمين بغاياتٍ مغرضة. بل إن شعورهم بمحاولات التزييف يدفعهم دفعاً

للكشف عن "التزوير". والأمثلة على ذلك تملأ كتب التاريخ في كل زمان ومكان. هذا وقد ينجح مؤرخ مغرض في إخفاء شخصية تاريخية إن كانت ذات أهمية ثانوية أما أن يحجب إشعاع نبيّ حقيقيّ وأستاذ "فذ" و"داهية" و"زعيم" و"جبار" تمكن من أن يكتشف التلميذ النجيب فأوحى إليه بالوحي وأرسى الدعائم، فهذا أمر مستحيل لأنه لو سكت عنه المؤرخون المحليون في زمن ما تحاملاً لما أهمله المؤرخون المعاصرون له في الدول المجاورة مثل بيزنطة وروما والحبشة ونجران وبلاد الشام حيث كانت المسيحية منتشرة.
والقس ليس ببطل الإسلام، لأنه لم يدعُ إليه في أية لحظة من لحظات التاريخ قبل محمد (ص) ولم يعتنق الإسلام حين ظهرت الدعوة وتنبأ بنفسه بأن محمداً (ص) سيكون نبي هذه الأمة. ولا يوجد أية قرينة تشير إلى أنه وضع في التفكير الإسلامي أو في أي معتقد آخر لبنة واحدة. بل إننا عندما اصطدمنا بالعنوان المثير: "**اسلوب الدعوة عند النصارى**" في كتاب الحداد توقعنا أن نجد حديثاً وافياً مفصلاً عن نشاط ورقة أو النصارى للدعوة لمعتقدهم في مجتمع مكة. وقرأنا كل الفصل باهتمام وبدقة فلم نجد حرفاً واحداً يشير إلى أي نشاط لنشر دعوتهم وإنما عموميات مكررة حتى الملل تريد إقناعنا بالقوة بأن الإسلام هو النصرانية. (حداد، صفحة ١٣٦ إلى ١٤٧)

قدرة الخالق وقدرة الإنسان

كتب الحريري مميزاً بين قدرة الخالق وبين قدرة الإنسان:

فلا الله يتدخل بأمور الناس متخطياً كل معطيات الإنسان فيعلمه بعد جهل...ولا الملاك جبريل تَتَفَتَّحُ له أبواب السماء ليلازم صديقه على الأرض على مدى ستين سنة ونيف" (حريري، صفحة ٩١)

عجيب أمر الحريري أن يكتشف فجأة حدود قدرات الإنسان ويعلمنا من علمه الواسع بأن الله لا يتخطى تلك الحدود. الحريري يعرف قرارات الخالق! فهو لا يتدخل بأمور الناس ولا يُعَلِّمُ الإنسانَ بعد جهل. وغاب عن الحريري الطيب كلياً أن ورقة بن نوفل كان وثنياً كافراً ثم انقلب إلى إيمان اليهودية ثم النصرانية. فكيف أهمل "إله الحريري" ورقة بن

نوفل ستين عاماً غارقاً في أوحال الوثنية وكيف جعله نصرانياً بعد أن استُهلِكَ ثلثا عمره؟ إن تنكر محمد (ص) الفطري لكل ما يمت للأوثان بصلة موثق منذ طفولته وشبابه حين رفض القسم بالأزلام ورفض التعبد للأصنام. فَمَنِ الأجدر بأن يكون قد اختاره الله: الوثني العريق ورقة أم محمد (ص) الذي رفض وهو في عمر مبكر القسم بالأصنام وأغضب عمه وعماته لسبب مماثل؟

إعادة الإسلام إلى إبراهيم الخليل

يناور الحريري في حديثه عن جذور الإسلام فيكتب: **"لقد حلا لمحمد أن يرد الإسلام إلى إبراهيم الخليل ويربطه بإيمانه الحنيف، لكأن الإسلام دين سابق على اليهودية والنصرانية معاً، في حين أننا رأينا تعاليم القرآن العربي تذكر بتعاليم التوراة والإنجيل وتفصلها وتستمد منها قصص أنبيائها وأخبارهم...إلا أن ارتباط الإسلام بإبراهيم، في نظر محمد، لم يكن سوى تخطٍ للخلافات العقائدية التي وقعت بين "شيع" بني إسرائيل و "أحزابهم" المتعددة التي فرقت بين الرسل والناس، والتي أغرقت القبائل المكية في بحر من الصراعات. من أجل ذلك، طاب لمحمد أن يثبت ديناً هو أسبق في الزمان من تلك الخلافات الدينية الطاحنة، فألْحَقَ الإسلام بإبراهيم، وجعل إبراهيم مسلماً: "ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً."** (٦٧/٣) (حريري، صفحة ١٠٧)

"بهذه الطريقة الطريفة ردَّ محمد الإسلام إلى العقيدة الأساسية في كل دين، تسبق كل خلاف وكل تفرقة، وتحول دون أي صراع بين الشيع والأحزاب، ألا وهي الإيمان بإله واحد، والقول بالوحدانية المطلقة."

وبعد صفحة واحدة كتب الحريري تكملة لما سبق اقتباسه فقال:

"بهذا تخطى محمد كل الخلافات التي قامت في النصرانية حول المسيح، وفي الثالوث، فامتنع عن البحث في بنوة المسيح لله، وعن الخوض في سرِّ موته، وصلبه، وقيامته، وسري الفداء والخلاص...لئلا يقف ذلك حائلاً دون التوحيد المطلق الذي يتفق الجميع على الإقرار به، ولئلا يعود الناس إلى التفرقة والصراعات التي كانوا عليها بسبب تباين مواقفهم من المسيح." (حريري، صفحة ١٠٨)

لا يسعنا إلا أن نقول للحريري مرحى، مرحى على تلك الاستنتاجات التي أصابت في معظمها لب الواقع. فلقد احترم الإسلام اليهودية والنصرانية وافتقد فيها عنصر الوحدانية المطلقة التي اختلفت بسببها الشيع فاستند إلى معتقد نسبه إلى المرجع الإبراهيمي الأقدم ليحقق تماماً ما قاله الحريري حيث قال:

"من أجل ذلك، طاب لمحمد أن يثبت ديناً هو أسبق في الزمان من تلك الخلافات الدينية الطاحنة، فألْحَقَ الإسلام بإبراهيم، وجعل إبراهيم مسلماً."

ونحن نسأل: أليس هذا التصرف هو الأسلم من تفاقم الصراعات الدينية الطاحنة؟ أليس الإنجاز الإسلامي أروع دليل على حكمة الهدف وحسن اختيار الوسيلة؟ لقد عالج الإسلام الصراع الذي يتفاعل بين مختلف الشيع في مكة واستنبط أبسط أسلوب وأقواه محتوياً بوساطته هذا التطاحن الفكري الذي يتهدد سلام المجتمعات واستقطب إليه في النهاية مختلف الشيع. وعندما نتحدث في هذا الموقع عن الشيع لا نقتصر على نصارى ويهود قليلي العدد وإنما نشير إلى اتجاهات وثنية متضاربة لها أصنام متنافسة. إن هذا الإنجاز هو تاج حضاري ليس له سابقة في تاريخ البشرية، إنه احترم ومجَّدَ كل أنبياء الأديان ولم يبخس أحداً حقه[٨٤]. بل إنه سما بالعديد من أنبياء اليهودية الذين جاء عنهم في التوراة كلام شنيع وكأنما هم من أصحاب السوابق فبرأهم من الدنس وجعل لكل منهم حرمة سامية. ولم يلجأ الإسلام إلى العنف سوى تجاه الوثنية وتجاه من تصلَّبَ من اليهود على مواقفه العنصرية بينما، ناشد أصحاب الغلو أن يراجعوا أنفسهم. وهذا الإنجاز الإسلامي لم ينسبه الحداد ولا الحريري إلى ورقة. وفي ذلك تكمن عبقرية الرسالة وتفوق محمد (ص) كمصلح من الصعب أن يرقى إليه نبي آخر.

الجميع على ضلال!!

---

[٨٤] – إثبات على تسوية محمد بين أتباع الديانتين وجميع الشيع:

"وأوضح القرآن مراراً بأن التفرقة بين الناس ليست من سنن الدين الجديد: "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء" (الأنعام ١٥٩) (حريري، صفحة ٢٠٧)

من ألطف فقرات كتاب الحريري وأطرفها فقرة كلما حاولنا الإمعان في إدراكها اكتشفنا عبثية المحاولة. وهي:

"**النصرانية والإسلام إذن دين على دين: من يجمع بينهما فهو على ضلال، ومن يعتبرهما اثنين فهو أيضاً على ضلال. من يحاول الوفاق بينهما فهو على ضلال، ومن يباعد بينهما فهو أيضاً على ضلال. من يعتبر القرآن كتاب المسلمين وحدهم فهو على ضلال، ومن يقول أيضاً إن القرآن وحده هو كتاب المسلمين فهو على ضلال: التوراة والإنجيل والقرآن ثلاثتهم من حق المسلمين: "لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل والقرآن وما أنزل إليكم من ربكم."** (٦٨/٥). [سورة المائدة، الآية ٦٨] **فالنصرانية والاسلام إسمان لمسمى واحد: الأول نشأ في اليهودية، والثاني في مكة والحجاز. وكلاهما واحد."** (حريري، صفحة ١٢١)

هل هذه معلومة مسلم بها أم أرادها أحجية تحتاج إلى حلّ يتسلى بها المرء في أوقات فراغه ؟ أليس هذا الكلام دليلاً على التضارب المؤسف الذي حاول صياغته في قالب متفلسف ليجعله مقنعاً ففشل لأن ليس فيه ما يفيد؟

ونجد نصاً آخر نستطيع إدراجه مع النص السابق:

"**بقي أن نعترف بحق الإنجيل على القرآن، وبحق من كان ينقل الإنجيل ويفصله على من كان يحضر هذا النقل وهذا التفصيل على مدى أربع وأربعين سنة من عمره."** (حريري، صفحة ١٩٦)

ألا يستدعي رقم ٤٤ عاماً الابتسام بعد أن وضحنا بما يقطع كل شك بأن القس لم يلازم محمداً (ص)، ولم يوح له بشيء وبأنه أقل خبرة وقدرة من أن ينتج أي شيء، وبأن القرآن ليس هو الإنجيل بحال من الأحوال؟

وفي ذات المعنى يصب استشهاد آخر من الحريري يقول فيه بلهجة تبدو في ظاهرها صادقة المبعث: "**فرأيت القس وراء النبي، والإنجيل العبراني وراء القرآن العربي، والنصرانية وراء الإسلام، والكتابيين وراء الأميين، "والذين يقرؤون الكتاب من قبل" وراء الذين "لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ".**(حريري، صفحة ١٩٩)

كلام أحسن الحريري تنميقه. ولكننا في خاتمة المطاف نجده مجرد تصفيف جميل لكلام بلا مضمون. فما معنى قوله: "**القس وراء النبي**" بعد أن أثبتنا أن القس نفسه لم يمتلك أي فكرٍ جديد يتميز عما هو متوفر للعديدين من أكارم الناس الذين كانوا أكثر التصاقاً بمحمد (ص) منه بكثير. ولا يوجد أي قيم دينية أو دنيوية أو تشريعية أو تنظيمية ابتدعها القس وإنما من المؤكد أنه لم يكن لديه سوى ما أخذه وتعلمه عن أناس سبقوه أو رافقوه. فكيف يكون وراء النبي؟ ألم يكن هو الذي ذُهِلَ وتعلم من النبي خلال السنوات الثلاثة أو الأربعة الأخيرة قبل وفاته لو تطابق ما همسه ورقة في أذن محمد (ص) من الوحي مع ما جاهر به محمد (ص) منذ انطلاق الدعوة لكانت وحدة المواقف وإسلام القس أمراً مفروغاً منه. ولكن ورقة لم يعتنق الإسلام. ولذلك فإن ما جاء به محمد (ص) هو شيء آخر لا يتطابق مع إنجيل ورقة العبراني.

الأرذلون

يشير الحريري إلى تعيير سادة قريش لمحمد (ص) أن "الأرذلين" هم الذين اتبعوه فيقول:

"**أضف إلى ذلك ما تحقق فعلاً في حياة محمد: وهو أن جميع الذين اتبعوه واستجابوا لرسالته هم من فقراء مكة ومن طبقة "الأرذلين" "المستضعفين" ومن "الأذلة" والصعاليك، في حين أن طبقة الأثرياء "المترفين" المسمين بـ "الملأ" الأعلى وبـالأعزة" اضطهدوه وشنوا عليه حرباً...بل اتهموه وسخروا منه واحتقروا كلامه وأعرضوا عن تعاليمه بحجة أن الذين دخلوا في دعوته هم "أذلة" معدومون وفقراء ضعفاء.**

قالوا له: أنؤمن لك واتبعك الأرذلون." (شعراء: ١١١) "**وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا...**" (هود ٢٧)

يلاحظ من يقرأ أبا موسى الحريري بإمعان ميله للحط من قيمة من اهتدى برسالة محمد (ص). ونكاد نلمس لمس اليد كيف استمتع الحريري لدى استخدامه لكلمات مثل: "الأذلة" و"الأرذلون" و"احتقار" و "صعاليك" في هذا الصدد. ونرى في قوله تجنياً على

الحقيقة وعلى الأسلوب العلمي. فأول من آمن بمحمد (ص) هو زوجته خديجة (ر)، وهي قرشية عريقة الأصل وابنة عم "المدرب والأستاذ" ورقة بن نوفل. بل إن ورقة بن نوفل نفسه كان من صانعي محمد (ص) حسب ادعائه المريض. وأبو بكر الصديق كان من أوائل من آمن بمحمد (ص) وتبعه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وهما من كبار أثرياء مكة. وكثيرون من الحنفاء الذين ذكرهم لنا القس اتبعوا محمداً (ص) قبل أن يدخل فيها العامة. بل إن الحريري ينسب أكثرهم زوراً وبهتاناً إلى النصرانية! فهل هؤلاء أرذال؟ وكلمة "أرذال" لا تعني ما يفهم منها العامة في عصرنا الحاضر أي: من عمل قبيحاً فاستحق الاحتقار، وإنما الضعفاء والفقراء. فهل نسي الحريري كلام الإنجيل: "طوبى للفقراء؟"

وإذا كان آخر من اتبع محمدا أثرياء مكة فالسبب واضح: فهم كانوا مستفيدين من خلال المواقع التي كانوا يتبوؤونها لدى تقديم خدماتهم للحجاج ولعبدة الأوثان. ونتيجة لذلك نجد أن هجوم محمد (ص) على بعض الأثرياء لم يكن بالضرورة بسبب ثرائهم وإنما لموقفهم المتحيز للوثنية ضد المعتقد الوحداني الجديد الذي هدد مصالحهم في الصميم. وإنّا لنجد في استشهاد الحريري إثباتاً لما حاول إنكاره من قبل. فالملأ الأعلى والأعزّة اضطهدوا محمداً (ص) وحاربوه ووقفوا منه موقف الساخر. وهؤلاء هم عبدة الأصنام الذين نسي الحريري أن يشملهم لدى إحصائه لسكان مكة...مكة الوثنية في غالبيتها العظمى.

الاعتراف بنجاح محمد (ص)

"لقد نجح القس في ذلك، وتوقف نجاحه على نجاح تلميذه. ونجح التلميذ. ومآثر نجاحه يدل عليها أثره الكبير في تاريخ العالم." (حريري، صفحة ٢٠٠)

نكتشف في هذا الإقرار حقيقة أساسية. فالقس، بالرغم من أن الحريري جعله النبي الأصلي، بل وأعطاه مكانة الخالق كما أثبتنا من قبل، فشل في نشر الإنجيل العبراني لأن نجاحه، إن كان له أي نجاح، توقف على تلميذه. ومحمد (ص) هو الذي نجح وليس

ورقة. وهذا لأمر طبيعي يثبت هامشيته وضعفه أمام الصعاب من جهة وأمام الوثنيين المسيطرين على مكة.

لقد أراد الحداد والحريري الصعود بمكانة ورقة إلى مكانة أكثر سمواً من مكانة محمد (ص) فحلّقا به إلى حدود شاهقة لم يتحملها مضمون شخصيته فهوى صريعَ تطاولِ وتضخيم لا مبرر له من أمثال الحريري والحداد دون ذنب ارتكبه هو.

القس الرئيس والقس المعاون

ويذكر لنا الحداد أن القس عداساً كان في مكة يعمل معاوناً للقس ورقة.(الحداد، صفحة ٢٥٧) فبصرف النظر عن سذاجة وجود رئيس نصارى يعمل معاوناً لرئيس نصارى آخر في مدينة ليس فيها من النصارى عدد يستحق الذكر نسأل: لماذا لم يأت أي ذكر مشترك للقسّين معاً في أي مصدر؟ ولماذا ذهبت خديجة (ر) إلى القس عداس أولاً ثم انطلقت إلى القس ورقة؟ ألا نتحقق من أن استخدام كلمة قس لا يشير إلى مرتبة في النصرانية وإنما إلى كون صاحب اللقب له مثل توجهات أخلاقية واجتماعية سامية دون أن يكون داعية إلى أي دين؟ وعلينا هنا التذكير بادعاء الحداد بوجود رجلين يحملان اسم عداس النينوي. الواحد في مكة، والثاني غلام في الطائف.

وحدة القرآن والإنجيل، وحدة الإسلام والنصرانية.

يمهد الحريري لإثباته وحدة الإسلام والنصرانية بالإدعاء بأن محمداً (ص) لم يكن لديه اطلاع إلا على إنجيل واحد محدد. وهذا الإنجيل هو الإنجيل العبراني. فهو يقول:

"ويبدو أن الإنجيل العبراني هذا كان وحده دون سواه من الأناجيل بين يدي القس ورقة"..."فذكر القرآن العربي لإنجيل واحد دون غيره يثبت أن الإنجيل العبراني هو وحده كان معروفاً" (حريري، صفحة ٢٨-٢٩)

ويتابع الحريري خطوات "إثباته" فيقول:

"فذكرُ القرآن العربي لإنجيل واحد دون غيره يثبت أن الإنجيل العبراني هو وحده كان معروفاً، لا سيّما نحن نجد فيه وفي القرآن وفاقاً تاماً في العقيدة والفروض والعبادات وأحوال المعاد الأخير." (حريري، صفحة ٢٩)

وأخيراً يقول:

"ومما يدل على أنه [الإنجيل العبراني] هو نفسه كان بين يدي القس تلك الصلة القريبة جداً بين تعاليمه وتعاليم القرآن العربي الذي ظهر في فترة زمنية واحدة." (حريري، صفحة ٢٨)

حين يستنتج القس أن النصارى كانوا مسلمين قبل ظهور الإسلام، وحين يكتب: مشيراً إلى أن القرآن هو إنجيل متى أو الإنجيل العبراني، نجده يجنح بعيداً عن الصواب. فمسلمو ما بعد دعوة محمد (ص) لا يؤمنون بأي كتاب كان متوفراً قبل الدعوة وإنما كانوا يعتبرونها محرفة. ولذلك لا يمكن للإنجيل العبراني بداهةً أن يكون القرآن.

لكن الحريري يتشبث برأيه مستنداً إلى ذريعتين:

- تشابه مضمون الكتابين
- كون محمد (ص) لم يكن يعرف سوى الإنجيل العبراني.

نحن نطعن في أن كلمة إنجيل تستخدم على الأغلب كلمة جمع. فالمسيحي الذي يقسم فيقول: "**وحياة الإنجيل**" لا يعني إنجيلاً محددا من الأربعة المتعارف عليهم وإنما الجميع. ولذلك لن نضيع الوقت في تفنيد جديد لادعائه بأن إنجيلاً واحداً كان معروفاً لمحمد (ص) وإنما سوف نستند إلى اقتباس خطّهُ بيده على ذات الصفحة من كتابه يتحدث فيه عن **"وجود تعاليم نصرانية أخرى تطوف في أجواء القس والنبي، ومردها إلى أناجيل أخرى وكتب نصرانية أخرى وجدت بين شيع نصرانية عرفنا وجودها في مكة."**

إن هذا الاقتباس للحريري ينسخ الاقتباسات الثلاثة التي قبله!

ويضع الحريري خلاصةً لبحثه في النصرانية والإسلام فيكتب:

"**إن الإسلام لا يختلف عن النصرانية بشيء بل هو النصرانية عينها.**"[٨٥] (حريري، صفحة ١٠٩) ويتابع اجتهاده فيكتب: "**...الحنيفية لفظة سمحة تطلق على النصرانية كما على الإسلام وتعني النصرانية كما تعني الإسلام**"..."**والنصرانية والحنيفية والإسلام ثلاثة أسماء لمسمى واحد.**"(حريري، صفحة ١١٣)

إنه يخلط الثلاثة هكذا...بدون أي تمييز. إنه يتجاهل الفوارق التي شدد على وجودها الحداد في كتابه "**القرآن والكتاب**" كلياً. فلو كان الأمر كما يدعي فلماذا ثارت إذن هذه الزوابع والصراعات العاصفة التي وثق لنا الحريري والحداد انتشارها في مجتمعات مكة آنذاك، وفي العالم القديم أجمع فيما بعد؟

إن غاية الحريري من هذه الجملة بالأصل معروفة بدقة ألا وهي إخراج محمد (ص) من قضية الإسلام والقرآن بعد أن جعله مجرد تلميذ نَفَّذَ إرادة ورقة. ويبدو أن كون الإسلام لا يختلف عن النصرانية بشيء لا يضير الحريري بل يقره ويعترف به. ولكنه لا يستطيع ابتلاع البرشامة المرة بالاعتراف بأن محمداً (ص) هو الذي جاء بالإسلام ولا يدفعه إلى أن يسائل نفسه لماذا لم يعتنق الإسلام. ولو كان الإسلام هو النصرانية بعينها فماذا يمنع التقارب والتوحيد؟

الجشع نحو المغانم

يدعي الحريري أن محمداً (ص) قلب دعوة القرآن من الحث على الحسنات والكرم "**الذين عملوا الصالحات طوبى لهم**" إلى دعوة للسعي نحو الثروة: "**عند الله مغانم كثيرة.**" (السورة الرابعة، النساء/٩٤) (حريري، صفحة ١٥٥) ولكن هذه الكلمات ليست دعوة للبحث عن المغانم. وإن استخدامها على أنها دعوةٌ لكسب المغانم يشكل إساءة بل إهانة عدوانية لا تغتفر ليس فيها من الحياد الفكري أو العلمي شيء. ونظرة مدققة على نص

[٨٥] – ويؤكد الحريري وحدة النصرانية والإسلام بادعائه: "**وكان القرآن العربي انجيل القس بالعربية. وبقي على محمد أن يعلم بدوره ما تعلم، ويبلغ ما تبلغ**" (حريري، صفحة ٩١)

الآية التي اجتث الحريري من نصها اجتثاثاً ما يتفق مع تلفيقه، تُبَيِّنُ أنه كذب على النص وحوره إلى العكس التام من المقصود. فالآية ٩٤ من سورة النساء تقول:

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنًا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

إننا لم نشعر بسوء النية والغرضية عند أبي موسى الحريري كما شعرنا عندما دققنا فيما كتبه ثم قارنّاه بالنص القرآني الأصلي الذي لم نكن على اطلاع واعٍ عليه قبل قراءتنا لكتابه. فالآية واضحة في التنديد بالمحاربين المسلمين إذا ما رفضوا استسلام المغلوبين في المعركة طمعاً في الاستيلاء على الغنائم . وهي واضحة جداً في دعوتها للمحاربين أن ينبذوا "مغانم" الحرب ليتنعموا بمغانم أخرى لا يجدونها على الأرض وإنما في ملكوت السماء. وإنه عار على الحريري أن يستخدم الآية التي تنهى عن السعي نحو المغانم نهياً قاطعاً وتهدد فاعليها بأن الله يعرف كل تجاوزاتهم ويلوح لهم بالعقاب إن فعلوا، ليستخدمها في عكس مضمونها كلياً. إن الآية توضح مدى حرص محمد (ص) الشديد على منع المسلمين من استغلال الأقوام المهزومة. وعندما نجد أن نصوص "النهي" مذكورة في صلب القرآن نتحقق من عنف النهي عن المغانم ومن مدى استنكار القرآن لافتعال الكسب. فهل يجوز للحريري أن يقلب المفاهيم رأساً على عقب؟

وثمة مثال آخر يدل على أن اقتباسات الحريري غير أمينة وإنما يأتي بها محرفة لكي يثبت بها عكس مضمونها. لقد أراد إدراج اعتراف من صلب القرآن بأن نصوصه وصلت إلى محمد (ص) عن طريق إنسان من البشر فاستخدم الجزء الذي يناسب أهدافه من الآية (١٠) من سورة النحل:

"**ولقد نعلم إنما يعلمه بشر**". فالنص بهذا الشكل يدعم وجهة نظر الحريري. ولكن الآية تقول:

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾

فالحريري حذف كلمتي: " أنهم يقولون " وشطب باقي الآية بالكامل. فكلمة يقولون التي حذفها الحريري تعني وجود ادعاء أو اتهام من غير المسلمين بأن القرآن من صنع إنسانٍ أعجميٌ بينما الآية تنفي نفياً قاطعاً كونه كذلك. إنه تحريف غير خليق بأن يرتكبه إنسان يدعي المعرفة.

محمد يقرأ ويكتب

من أكثر النقاط التي جذبتني في كتاب الحريري هي طريقة إثباته أن محمداً (ص) كان يقرأ ويكتب. إني أعترف بأني تأثرت بالحجج التي جاء بها. وقد أحتاج إلى المزيد من الاطلاع والتمحيص والاستماع إلى من هم أعلم مني قبل أن أحدد قناعتي بشكل نهائي. ولكنني في ذات الوقت أتساءل: هل يُضعف الإسلام أو ينال من القرآن لو كان محمد (ص) يقرأ؟ لقد مرَّ على ظهر البسيطة خلال أربعة عشر قرناً مليارات من العرب ومن المسلمين. فهل جاء أحد منهم بأي نص يمس إعجاز القرآن أو يتطاول عليه ؟ إن إعجازه يكمن في لغته التي تسمو على كل النصوص، وفي مضمونه الإنساني المتسامح. فهل يضيره إن كان محمد (ص) ملماً بالكتابة والقراءة؟ ولكننا نسأل في ذات الوقت: لماذا ينكر محمد (ص) إلمامه بالقراءة والكتابة لو كان يجيدها، ولماذا يكلف الكتبة بكتابة القرآن؟ ولماذا كان يكلفهم بقراءة الرسائل الواردة إليه وبتدبيج الرسائل الصادرة عنه؟ ولماذا لم يرتبط أي عمل من أعمال السنة بورقة أو قلم؟[٨٦]

---

[٨٦] - حول أمية محمد نقرأ لدى خليل عبد الكريم: "نحن نؤمن أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب لم يطالع صحيفة أياً كانت المادة المصنوعة منها ولم يمسك قلماً ولم يخط بيمينه كلمةً ولا حرفاً – ومع تقديرنا للبحاث الذين أجهدوا أنفسهم لإثبات أنه لم يكن أمياً بل كان يعرف القراءة والكتابة فإننا نرى أن ما طرحوه لا يعدو أن يكون قرائن لا ترقى إلى رتبة الأدلة." (خليل، فترة التكوين، صفحة ١٥) وفي فصل "قيدام" من كتابه يفند خليل آراء المستشرقين الفرنجة والصقالبة في "أمية" محمد.

وتساؤل آخر يُمَكِّنُنا من نقض كتابَيْ الحريري والحداد جملة وتفصيلا: فلو انطلقنا من أن محمداً (ص) كان يجيد القراءة والكتابة لأصبح محمد (ص) قادراً على دراسة الكتب وإدراك مضمونها مما ينفي أية ضرورة لأن يتدخل القس، الوثني الأصل. فطريق محمد (ص) لا يتفق مع طريق ورقة. والفوارق بين الإسلام وبين النصرانية أكبر من أن يتجاهلها المرء. فلماذا يختلقان دوراً لمن ليس له أي دور؟

تعميد محمد وشرح صدره

في سن ١٢ "**حج الفتى محمد مع عمه أبي طالب إلى الإمام الأكبر بحيرى في بصرى، وهو "وصي عيسى على دينه". ونرى في ذلك امتثالاً لمثل السيد المسيح بحجه في الثانية عشرة إلى بيت الله في اورشليم (لوقا ٢ :٤٢)**" (حداد، صفحة ٢٧٩)

كيف يحج الفتى محمد (ص) إلى بصرى إن كان الامتثال بالسيد المسيح يقتضي الوصول إلى "**البيت الذي حج إليه المسيح في أورشليم**" وليس إلى بصرى، وخاصة أن اورشليم تقع على الطريق المباشر الذي يصل مكة ببصرى؟ كيف يمكن أن يستغني الحاج عن قبلة النصارى والمسيحيين، الموقع الأصيل، فيكتفي بالبديل؟ رُبَّ من يقول بأن نصرانية الحاجّ تجعله لا يذهب إلى أورشليم المسيحية. وهذا كلام مرفوض لأن عيسى بن مريم (ع.س.) هو الأصل الذي تتجه كل الأنظار إليه وهو بيت القصيد وليس بحيرى ولا نسطور في بصرى. وإن كان الذهاب إلى راهب يقوم مقام الحج فلماذا لم يذهب إلى عداس أو إلى ورقة أو إلى نجران أو إلى الحبشة؟ ألم يحدثنا الحداد في إحدى شطحاته بأن ورقة عمَّد محمد (ص) وهو في السادسة؟ ألم يوجه الحريري لوماً حاداً إلى المؤرخين المسلمين لأنهم "تعمدوا" الإقلال من شأن ورقة، وهو الشخصية الأهم، ظلماً، ورفعوا من شأن بحيرى، صاحب المكانة الأدنى؟

وحول شرح الصدر يعلق الحداد على سورة "الشرح" القرآنية فيقول: "**بعودة الوحي إليه [إلى محمد (ص)] شرح الله صدر محمد ووضع عنه وزره الذي فيه هم بالانتحار لوفاة ورقة وفتور الوحي.** (حداد، صفحة ٣٣٠)

نجد في كلامه ربطاً مباشراً بين عودة الوحي وشرح صدر محمد (ص) وتخفيف الوزر عنه. فشرح الصدر حصل بعد عودة الوحي الذي فتر بموت ورقة، حسب ادعاء الحداد. ولكن ترتيب نزول سورة الشرح جاء بعد سورة والضحى مباشرة، أي أنها نزلت في حياة ورقة ايضاً مما يؤكد مرةً أخرى أن فتور الوحي كان في حياة ورقة. وإضافة إلى هذا الاستنتاج، وإذا تفحصنا ما كتبه الحداد في الاقتباس السابق وقارناه بتفسير الحداد نفسه لشق الصدر لاكتشفنا تناقضاً مؤسفاً لا يجوز له أن يقع فيه. فهو يعطينا ثلاث تفسيرات لشق صدر محمد (ص):

١ - حصل ذلك ومحمد (ص) في الخامسة. أتاه جبريل وشق صدره وأخرج منه علقة ثم لأمَهُ.

٢ - حصلت بعيد وفاة أمه آمنة. (ولكن الحداد لا يأتي في هذه الرواية بأي شرحٍ لشق الصدر.)

٣ - حصلت بعد وفاة أمه عندما عادت به حليمة السعدية فضاع منها محمد (ص) فأعلمت جده بذلك فوجده ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش بأعلى مكة. (حداد، صفحة ٢٧٧)

ولكن الحداد يفاجئنا بإيراد رواية رابعة مفادها: "**فجاءت الحاضنة المسيحية بمحمد الصبي إلى ورقة بن نوفل، قس مكة، وهو بمعبده ومنسكه في حراء فعمَّده بماء زمزم. وهذا معنى اسطورة "شق الصدر"**. (حداد، صفحة ٢٧٨)

إنه لأمر عجيب حقاً! فعندما كان محمد (ص) في الخامسة كان ورقة قد عاد تواً من رحلته مع زيد بن عمرو بن نفيل للبحث عن الإيمان الإبراهيمي. فهل عاد وأصبح قساً لمكة على الفور ليعتزل في حراء وليعمد الأولاد في المغارة؟ هل قام بانقلاب على من كان قبله قساً على مكة، وماذا كان اسم القس الأسبق الذي خلفه أو انقلب عليه؟

لقد غادر مكة بحثاً عن الإيمان وأهل مكة يعرفون وثنيته التي استمر عليها ستين عاماً. وعندما عاد فاجأ الناس بنصرانيته. ولكن هل يمكن لنصارى مكة المزعومين أن ينصبوه فوراً على أكبر منصب عندهم؟

وكيف نفهم أن بركة، أم أيمن، جاءت باليتيم محمد (ص) إلى "معبد" ورقة في حراء ليعمده؟ فهل كان غار حراء كنيسة ؟ وهل نجد مياه زمزم في غار حراء؟ وأين نجد أية صلة لغوية أو مادية أو فلسفية بين التعميد وشق الصدر؟

وأمر آخر يخص التعميد: إن كان الإسلام هو النصرانية فلماذا لا نجد فيه أثراً للتعميد؟

الاستعلاء النصراني على العرب

لا يكتفي الحداد بجعل مكة نصرانية وموحدة ولا بوجود النصارى الطاغي فيها وإنما يجعل النصارى أعلى مكانة من المواطنين العرب كما سنلمس من الاقتباسين التاليين:

"حديث القرآن المتواصل مع أهل الكتاب شهادة قاطعة بوجودهم في مكة وعلى استعلائهم على العرب بالتوحيد الكتابي." (حداد، صفحة ٢٠٨)

عجيب أمر الحداد!! ما هذا المنطق؟ إن حديث القرآن المتواصل عن موسى وعن عيسى (ع.س.) وعن داوود لا يدل على تواجدهم في مكة! فالحديث عن إنسان شيء واستنتاج تواجد هذا الإنسان في مكة لهذا السبب هو شيء آخر كلياً.

وفي الاقتباس التالي نلمس نغماً لا يخلو من استخفافٍ بالعرب:

"وكثرة المسيحيين من أجانب وعرب في مكة والحجاز نجد برهانها القاطع في واقع الكعبة، حيث أصنام العرب القديمة خارجها بينما كانت جدرانها ملآى بصور الملائكة والأنبياء والمسيح وأمه، وهذا عمل لا يقوم به المشركون ولا اليهود ولا النصارى إنما يقوم به المسيحيون وحدهم لأنه لا يعقل أن يفرض أجانب على معبد قومي حرية التصرف فيه فيملؤونه بالصور المسيحية. وهذا الواقع الأثري والتاريخي برهان قائم على كثرة المسيحيين من عرب وأجانب، كثرة تمكنهم من إبقاء الأصنام العربية خارج الكعبة والصور المسيحية على جدرانها الداخلية عند تجديد بناء الكعبة، خمس سنوات قبل البعثة." (حداد، صفحة٢٦٦ - ٢٦٧)

هذا عبث!

فالقول بأن كثرة النصارى مكنتهم من "التخلص" من الأصنام العربية في داخل الكعبة واستبعادها إلى خارجها هو قول يستحق الشفقة أكثر مما يستحق الاهتمام. لأن وجود صور مسيحية في الكعبة، إن كان الأمر صحيحاً، لا يعني أكثر من أن بعض الحجاج الذين كانوا يحجون إلى مكة كانوا يحضرون بعض الأشياء التي ترمز إلى ديانتهم ويضعوها في الكعبة أو حولها، مَثَلُهُم كَمَثَلِ كل قبيلة وثنية قدمت من مختلف أرجاء الجزيرة العربية لتضع صوراً أو بعض أصنامها فتتعبد لها هناك. هذه الحرية في المعتقد أمنتها قريش للجميع، وهذا هو المعنى الأصلي للحج والحجيج قبل الإسلام. وحج المسيحيين بالذات من نجران ومن أماكن أخرى إلى مكة ثابت تاريخياً.[٨٧] وقد دفع مسيحيي نجران لبناء كعبةٍ هناك تجتذب قبائل الجزيرة العربية بدلاً من أن تستقطبهم مكة. ولم يفعلوا ذلك لاستقطاب القبائل الأخرى بالدرجة الأولى وإنما من أجل إيقاف سيل حجاجهم أنفسهم من نجران إلى مكة حيث كانوا ينعمون بالأمن وبالحرية التي أمنها سادة قريش للجميع بدون استثناء، وبقضاء مختلف الحاجات التجارية والاجتماعية والخطابية كما كان يحدث في سوق عكاظ، أعظم تظاهرة حضارية في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام.

كانت قريش إذن تؤوي كل أنواع الأصنام/الآلهة وتضمن حرية الجميع في عبادة الصنم الذي يؤمنون به. ومن الأصنام/الآلهة المعروفة تذكر لنا كتب السيرة: **"ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر"**.... **"فكان ود لكلب وسواع لهمدان وقيل لهذيل ويغوث لمذحج..."** (السيرة الحلبية ج: ١ ص: ١٨)

ونشير إلى الموضعين اللذين بحثناهما حول "الوثنية في صلب عائلة محمد (ص)" و "مكة الوثنية أم المؤمنة" حيث أثبتنا أن الأصنام العربية وأعظمها "هبل" و"نائلة" و"إساف" كانت في جوف الكعبة ومن ركائز التدين الوثني فيها. فعندما يقول الحداد: **"وعلى**

---

[٨٧] – حول ذلك نقرأ في كتاب قريش لخليل عبد الكريم: "...فهذان العملان يتصلان مباشرة بشعيرة الحج التي تقدسها العرب، وتؤديها قبائل شبه الجزيرة العربية كافة، بمقولة إنها من إرث إبراهيم وولده اسماعيل...حتى القبائل التي فشت فيها اليهودية والنصرانية يحدثنا الإخباريون، أنها كانت تحج." (خليل عبد الكريم، قريش، صفحة ٤٩)

استعلائهم على العرب" أشعر بتعالٍ متعمد على العرب، وكأنما يسحب النصارى من الجنس العربي سحباً "يبرئهم" منهم؟ فمن هم أولئك الذين استعلوا على العرب؟ ألم يكن العرب الوثنيون هم الذين استعلوا على أهل الكتاب ونفوهم إلى أطراف مكة البعيدة عن المركز فأذعنوا بلا اعتراض؟

أليست تلك الشخصيات التي وردت في كتابه وفي كتاب الحريري على أنها نصرانية من أقحاح العرب؟ أين يضع ورقة بن نوفل، وخديجة (ر)، وزيد بن عمرو، وقس بن ساعدة، وأمية بن أبي الصلت، وذلك الرهط الذي جعل منهم نصارى؟ هل نسي فجأة أنه جعل من محمد (ص) ومن أبيه ومن جده نصارى؟ ألم يرغب في إعلامنا بأن الشاعر امرأ القيس وشعراء آخرين كانوا نصارى؟ هل تعالى هؤلاء العرب على العرب؟

إن استخدام الحداد للتعبير: "**استعلائهم على العرب.**" هو تطاول مريض يشير إلى رغبة في التشفي أكثر مما يشير إلى رغبة في إعلامنا بواقع الأمور.

لقد كتب الحداد والحريري كتبهما بلغة عربية رائعة مميزة. ولكتّابِ لبنان وسورية في القرن التاسع عشر فضل معروف على إنقاذ اللغة العربية في الأقليمين من التتريك. ونشاط عائلات الأدب والفكر مثل الشرتوني والمعلوف والخوري واليازجي والبستاني أكبر من أن يتجاهله التاريخ. فهل كُتِبَ لبعض المنحرفين في العصر الحديث أن يُسهموا في تقويض دعائم اللغة وأسس التسامح؟

نهضة العرب نصرانية

يدّعي الحداد والحريري بأن هجرة النصارى إلى الحجاز أدت إلى النهضة هناك. وهذا كلام مختلق! فهم دخلوا الحجاز بعد تشتتهم من فلسطين الذي تم قبل عصر بني هاشم المتحضر بخمسة قرون. فهل بلغ بطء نشرهم لأسس الحضارة أن مضت قرون خمسة قبل ظهور آثار التحضر؟ أليس الأرجح أن تَحَضُّرَهُم لم يكن له ذلك الوزن الذي يجعلهم قادرين على تحضير أحد؟ ألم يكن اليهود بدواً رحلاً يسطون على البلاد حيث

اللبن والعسل ويبيدون السكان على بكرة أبيهم ويقلعون الزرع ويطمرون الآبار كما هو موثق في صلب توراتهم؟

إن الأمر الثابت هو أن قصياً أسس البناء الإداري والأمني في مكة وتابع ابنه التنظيم ثم تبعه حفيده ثم ابن الحفيد. هؤلاء هم الذين اتصلوا بالقوى العالمية في بلاد الروم والفرس والحبشة واليمن وعقدوا معها أحلاف الأمن، (الإيلافات)[٨٨]. هم الذين نظموا حلف الفضول الذي أَمِنَ به كل مواطن من الظلم والأذى سواءِ أكان مقيماً أم حاجّاً أم مارّاً مرور الكرام[٨٩]. وهم الذين أطعموا الجائع والفقراء من الحجيج، وفي عهودهم نهضت حضارة اللغة العربية إلى أعلى المستويات وتنظمت الرحلات التجارية الآمنة والأسواق الفكرية مثل عكاظ وغيرها.[٩٠] وهذه هي الحضارة وليس ما ينسبه الأستاذ الحداد إلى أناس غرباء دخلاء لم يتحدث التاريخ عن أي أثر حضاري من إنتاجهم لا قبل الإسلام ولا بعده!

---

[٨٨] – نقتبس مما جاء في كتاب خليل عبد الكريم حول نشاط هاشم وإخوته من أجل الإيلافات: **"ثم يسوق الصالحي قصة ركوب هاشم إلى الشام ودخوله على قيصر فـ (كلمه فأعجبه كلامه، وأعجب به وجعل يرسل إليه ويدخل عليه) وأخذ منه كتاب أمان لمن أتى منهم إلى بلاده، وأخذ الإيلاف من أشراف القبائل ما بين مكة والشام، فكان ذلك أعظم بركة....ولم يكتف هاشم بذلك بل دفع بإخوته الثلاثة إلى أن يأخذوا أماناً ويعقدوا عقوداً مع سائر الملوك الذين كانوا على حوافي جزيرة العرب."** ذهب المطلب بن عبد مناف إلى بلاد اليمن، وعبد شمس بن عبد مناف إلى ملك الحبشة، ونوفل بن عبد مناف (وهو غير والد ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى) أخذ عهداً من كسرى. (خليل، قريش، صفحة ٥٣)

[٨٩] – اجتمع مختلف الأطراف و **"تعاقدوا وتعاهدوا ليكونن مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه ما بلّ بحر صوفة وفي التآسي في المعاش، فسمَّت ذلك الحلف حلف الفضول."** (خليل عبد الكريم، قريش، صفحة ٩٨) ويورد خليل نموذجاً عن فاعلية حلف الفضول وأثره على سمعة سادات قريش أن رجلاً من خثعم، لا أهمية لمكانته الاجتماعية قدم إلى مكة مع ابنته التي كانت من **"أوضأ نساء العالمين"** فاختتطفها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه. فاستنجد بمن يعيد ابنته إليه فقيل له: عليك بحلف الفضول. فاستنجد بهم في حياض الكعبة فاستجابوا يقولون: جاءك الغوث. فأحاطوا بدار نبيه بن الحجاج وطلبوا ابنة الخثعمي منه. فأجابهم: **"أفعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا والله ولا شخبة لقحة (أي برهة وجيزة) فأخرجها إليهم."** خليل، صفحة ٩٦)

[٩٠] – يعدد خليل عبد الكريم في كتابه "قريش" الأسواق التي أسستها قريش للرفع من شأن الرعاية القرشية لأمور العرب. فلم يقتصر الأمر على سوق عكاظ الشهير وإنما أيضاً :"سوق ذي مجنة" قرب مكة، و"ذو المجاز" وخيبر. ويعقب خليل على الأسواق بـ **"أن قريشاً ربطت هذه الأسواق بموسم الحج الأكبر ولأن مواسم بعض الأسواق ... تقع أيام حجهم...وتلك ميزة لا تتمتع بها غير مكة ولا قوم إلا قريش."** (خليل، صفحة ٣٣٤ – ٣٣٥)

أما الادعاء بأن زعامة الدين والتجارة في مكة كانت لآل نوفل النصارى فهو تزييف للواقع إذ لم تكن لهم زعامة دينية ولا تجارية. فمثال خديجة (ر) ثرية قريش لا ينسحب على آل نوفل ولا يمنحهم تلك الصفة ولا يوجد ما يشير إلى وجود أصحاب تجارة آخرين منهم. فضلاً عن أن ثراء خديجة (ر) كان نتيجة لوفاة زوجها الأول عتيق بن عائذ بن عبد الله المخزومي الذي توفي في وقت مبكر تاركاً لها ثروته الكبيرة. فأصل الثروة ليس من آل نوفل. ومحاولة نوفل، والد ورقة، الاستيلاء على حقوق ابن أخيه عبد المطلب معروفة وموثقة في التاريخ.[٩١] وقد كتب عنها خليل عبد الكريم: **وعندما ثار نزاع بين عبد المطلب وعمه نوفل بشأن أملاك اغتصبها الأخير منه، استعان بأخواله من بني النجار فأعانوه بـ (ثمانين محارباً يثربياً يحملون السيوف إلى مكة مما دفع نوفلاً إلى التراجع على الفور."** (خليل عبد الكريم، قريش، صفحة ٨٢)

أما أن النصارى نهضوا بالشعر والأدب فهذا باطل آخر. فهم عند مجيئهم من جنوب بلاد الشام ما كانوا على معرفة باللغة العربية وإنما استمروا على مدى أجيال يتعلمونها ويأخذون أسسها من عرب الحجاز قبل أن يتمكنوا منها ومن نظم الشعر بها. وبما أن اللغة تشكل أهم أسس الحضارة فالأمر لا يستقيم إلا حين نعترف بفضل أهل الحجاز على الوافدين النصارى بتعليمهم هذه اللغة المعطاء، وليس العكس.

هل أدرك الحداد والحريري المعاني التي وردت في القرآن الذي درسوه أشدَّ وأعنف دراسة بهدف الإساءة إليه؟ لنتذكر معهما أول كلمات القرآن في غار حراء: إقرأ!

هذه الكلمة الفريدة ملحمة حضارية تطالب المسلم بأن يقرأ ويكتب ويسجل لأن القراءة مهد العلم والمعرفة والتطور. من يقرأ يتحضر وينتج. وكانت القراءة أول فرض طلبه الإسلام.

كلمة إقرأ حثٌّ على طلب العلم. فإذا كان مسلمو اليوم لا يقرأون فهم المسؤولون وليس الإسلام أو القرآن.

---

[٩١] – عن هذه الواقعة نجد تفاصيل في الكامل من التاريخ لابن الأثير صفحة ١١. انظر أيضاً سيد محمود القمني، الحزب الهاشمي، صفحة ٤٤)

قرآنان

يتحدث الحداد في الواقع عن قرآنين: الأول هو قرآن الإنجيل المقدس:

"**فالقرآن" على الإطلاق، في اصطلاحه، إنما هو قرآن الكتاب والإنجيل.**" أما "القرآن" الآخر فيكتب عنه الحداد: "**وتعبير "القرآن" أُطلِقَ على ما يتلو محمدٌ تجاوزاً لأنه "تفصيل الكتاب.**" وفي الصفحة ٣٣١ يكتب الحداد: "**إن قرآن الكتاب قد يَسَّرَهُ الله لتذكير العرب به: ألا يشير هذا إلى ترجمة ورقة للإنجيل عن العبرانية؟ فالقرآن العربي قصص لهذا القرآن وخبر عنه وليس هو القرآن الذي يخبر عنه: "فقد يسرنا القرآن للذكر.**" (حداد، الصفحات ٣٢٦ و ٣٣١)

لننتبه لما يقول درة! القرآن الأصلي الحقيقي المسند إلى خالق الكون هو قرآن الكتاب والإنجيل. أما القرآن الذي يعتبره المسلمون كتابهم فهو في الحقيقة ليس القرآن الحقيقي وإنما سُمِّيَ تجاوزاً (!!!) قرآنا بينما هو لا يعدو كونه تفصيلاً لكتاب أصليّ اسمه الإنجيل العبراني.

لماذا اللف والدوران إن كان يوجد تفسير واضح يبدد كل تعقيد عن مصدر القرآن دون أن يترك مجالاً للسرية والإبهام، ألا وهو أن محمداً (ص) جاء بالقرآن من ألفه إلى يائه ولا دخل لورقة به على الإطلاق. إن هذا التفسير هو الوحيد الذي يفسر وحدة الصياغة القرآنية المعجزة.

وثمة تساؤل آخر: هل تُرجم إنجيل العبرانيين إلى العربية مرتين بالتتالي: الاولى ترجمها ورقة والثانية ترجمها أو صاغها محمد (ص)؟ وهل لم يكن ورقة متمكناً من العربية بحيث ترك هذه المهمة لمن ألمَّ بأصالة هذه اللغة الرائعة أكثر منه؟ إن الفوضى الفكرية في تحميل الوقائع ما لا تحتمل يدفع المغرضين إلى التستر وراء الأسرار وإلى الاستنجاد بالغموض والغيبيات بينما الحقيقة بسيطة ساطعة أمام كل عين.

وحول وجود قرآنين كتب الحداد أيضاً:

"إن قرآن الكتاب [المقصود هو الإنجيل العبراني] قد يسره الله لتذكير العرب به: ألا يشير هذا إلى ترجمة ورقة للانجيل عن "العبرانية"؟ فالقرآن العربي قصص لهذا القرآن، وخبر عنه، وليس هو "القرآن" الذي يخبر عنه." (حداد، صفحة ٣٣١)

وبعد صفحتين كتب الحداد: **"إن "القرآن" الذي يطلب القرآن العربي الاستماع إليه بخشوع هو كتاب هذه الأمة الوسط،"[٩٢] في "المثل" الذي "فُصّلت آياته قرآناً عربياً". فهو إذا انتسب إلى الكتاب وأهله، فهو إنما ينتسب إلى "النصارى" من بني إسرائيل، وإلى "القرآن"، قرآن الكتاب، الذي "درسه" معهم، وما زال يتلوه معهم في قيام الليل." (حداد، صفحة ٣٣٣)**

ولكن من هؤلاء الذين يقصدهم بقوله "درسه ويتلوه معهم؟" هل كان يتلو القرآن مع مجموعة من الناس على مدى خمسة عشر سنة قبل وفاة ورقة؟ وهل أمكن إخفاء ما هو منتشر بين صفوف مجموعة من الناس طوال هذه المدة؟ ألم نفند وندحض بوضوح تام أن نصوص القرآن لا يمكن لها أن تكون جاهزة قبل الدعوة؟ نحن نرى أن الحداد إما خانته القدرة على التوضيح أم أنه اعتبر ورقة ساحراً استنكف عن "استخراج الأرنب، أرنب الإصلاح، من كمه" عندما كانت الظروف الاجتماعية في أشد الحاجة إليه. إنه يتركنا في الطلاسم وفي غياهب الأسرار التي يمكن تأويلها إلى أكثر من وجه. إننا لو اعتبرنا الوجهين محتملين لقلنا بخطأ الوجهين معاً لخلوّ أي مرجع تاريخي عربي أو أجنبي عاصر الحدث من أي إشارة تنوه ولو من بعيد جداً بوجود قرآنين. والحريري والحداد لن يطربا لفكرة تقول بأن ترجمة ورقة احتاجت "لإعادة صياغة" على يد محمد (ص) لأن ذلك يفضح ضعفه ويلغي قدرته على الترجمة. أما أن يكون محمد (ص) استخدم النسخة العربية التي ترجمها القس فهذا اعتراف بوجود قرآن واحد. فلماذا إذن هذا الاستطراد الشاذ؟

يورد الحداد قصة طريفة تمس الموضوع ولو من بعيد حول جدال جرى بين محمد (ص) وبين النعمان الراهب عندما نسب كل منهما إلى نفسه اتباع الحنيفية. يقول: **"قال**

---

[٩٢] – من طرائف اجتهادات الحداد ادعاؤه بأن الإسلام هو الأمة الوسط ثم يدلل على ذلك بأن الإسلام دين يقع في معتقداته بين اليهودية وبين المسيحية. وغاب عن علمه أن كلمة الوسط تعني القلب وليس الجوانب.

النعمان للنبي: ما هذا الذي جئت به؟ فقال: الحنيفية دين إبراهيم. قال فأنا عليها. فقال: لست عليها ولكنك أدخلت فيها ما ليس منها. فقال: أمات الله الكاذب منا طريداً وحيداً. فمات النعمان في الشام طريداً وحيداً." (حداد، القرآن والكتاب، صفحة ١٤٥)
من أسباب إيرادنا لهذه القصة أن النعمان "اتهم" محمداً (ص) بأنه أدخل في الإسلام ما ليس في الحنيفية. فلماذا يدعي بأن الإسلام هو الحنيفية؟

قس بن ساعدة نصراني (؟)

ينسب الحداد إلى قس بن ساعدة الإيادي النصرانية فيكتب: **كان القس ابن ساعدة يغشى سوق عكاظ، في موسم الحج، على جمله ويقف بين الحجيج يخطب العرب في أشهر سوق لهم، وفي أكبر موسم لهم، ويدعو إلى التوحيد النصراني.**" ويكتب أيضاً "**فهم يصفونه يخطب وعلى صدره صليب، وهو يتوكأ على عصا.**" (حداد، صفحة ٢٢٩)
من ناحية المبدأ نشير إلى أن قوله "**كان القس ابن ساعدة**" يُعتبر تحريفاً غير سليم لأن الكتابة بهذا الشكل تجعل القس مهنته وتجعل اسمه: " إبن ساعدة ". وهذا تزييف!. فكل المراجع في أمهات الكتب تتحدث عن "قس بن ساعدة" وليس عن "القس". ووضع الألف قبل "بن" خطأ أيضاً! وعدم ورودها في المراجع يدل على أن "بن" تقع بين اسمين، وليس بين اسم مهنة واسم شخصي. والطريف في الأمر أن الحداد كتب لنا: "**وتظهر امارات التاثير الإيجابي...في الروح التوحيدية العامة التي تشع عند الحكماء العرب الموحدين قبل الإسلام. ويرجع انتساب هؤلاء الحكماء إلى لقمان ومجلته اللذين يذكرهما القرآن، وينتهون بحكيم العرب وخطيبهم، وداعيتهم الموحّد بقصائده الدينية، قس بن ساعدة الايادي.**" (حداد، القرآن والكتاب، صفحة ٢٧٢) ولقد ورد في ذات الكتاب اسم قس بن ساعدة بدون الألف وبدون الـ التعريف مراراً. وفي كل كتابات خليل عبد الكريم ورد الحديث عن " قس بن ساعدة "[٩٣] مما يشير إلى أن كلمة قس لم تعنِ رتبةً وظيفية وإنما

---

[٩٣] – انظر : "قريش، صفحة ١٦٠ ثم ١٧٤. وعلى الصفحة ١٧٥ يفند خليل، استناداً إلى المستشرق "لامانس" أن يكون قس بن ساعدة كان أسقف نجران المتنصر.

اسماً. وكذلك الحريري لم يكتب " القس " مُعَرَّفَةً وإنما أيضاً بدون ألـ التعريف. (أمثلة على صفحة ١١٣ من كتاب الحريري)

لقد كان محمد (ص) يطلب سماع حِكَم قس بن ساعدة ويرتاح إليها ويقول: "**هذا رجل من إياد تحنف في الجاهلية.**" (حداد، صفحة ٢٨٢) ترى لماذا لم يقل: "تنصر" إن كانت الحنيفية هي النصرانية؟ لماذا لم يستخدم تعبير النصرانية؟ وماذا يضيره إن ذكرها بالذات لو كان قس بن ساعدة نصرانياً؟ وكيف يستقيم حمل قس بن ساعدة للصليب إن كان النصارى يرفضون التثليث؟ إننا لم نجد في أي من المصادر ذِكْراً لحملِهِ الصليب. فهل ذكر الحداد لنا مثالاً واحداً يشير إلى ذلك؟ ونُذَكِّرُ مجدداً بأن كلمة قس لا تعني بشكل ملزم الانتساب إلى ديانة وإنما كانت مجرد اسم أو لقب لإنسان صالح.

بين اليهودية والنصرانية

قال السيد المسيح: "**لا تظنوا أني أتيت لأنسخ التوراة (الشريعة) والنبيين إني ما أتيت لأنسخ بل لأكمل.**" (متى ٥ : ١٧) ويتابع الحداد فيعلق: "**ففهم المسيحيون هذا التكميل بأنه تطوير وتعديل، وفهم النصارى من بني إسرائيل بأنه تصديق وتفصيل. لذلك قال المسيحيون بإقامة الإنجيل من دون التوراة، وقال النصارى بإقامة الإنجيل والتوراة. لذلك أيضاً يعتبر المسيحيون الإنجيل الكتاب الأسمى، بينما النصارى من بني إسرائيل كانوا يعتبرون التوراة الكتاب، والإنجيل بالنسبة له "الحكمة". ونرى القرآن يقف موقف "النصارى" ويدعو بعقيدتهم، ما بين اليهودية والمسيحية.**" (حداد، صفحة ٣٣٩ - ٣٤٠)

يؤسفنا أن نرى في هذه الفقرة دليلاً على أن الحداد بالرغم من غزير علمه واتساع معرفته أفقياً لم يدرك في العمق مغزى دعوة الإسلام بالرغم من بساطة المضمون وبعده عن طلاسم الغيبيات والأسرار والإتيان بالعجائب. فالإسلام ليس عقيدةً تقع بين اليهودية والمسيحية. إنها تخالف اليهودية لأنها شجبت التطرف العنصري اليهودي الذي يتمثل في عشرات الصفحات من التوراة بل في مئاتها مما سنتطرق إليه. وإنها لا تقبل بمضمون إنجيل متّى العبراني أو غير العبراني كما هو متوفر بين أيدينا. لقد وقف الإسلام موقف

الرفض القاطع لمضامين أساسية في التوراة بينما وقف من أصحاب الإنجيل موقف الناقد، ولكن بعين التسامح والتآخي.

نقرأ في سورة آل عمران، الآية ٦٤:

قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

وفي سورة النحل، الآية ١٢٥

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ

إن رفض الإسلام لنصوص شاذة في عنصريتها لا يعرف حلاً وسط بينما يرى اللقاء مع الاتجاهات الإنجيلية ذات التسامح ممكناً مطلوباً ويستحق أن يبذل المرء جهداً للوصول إليه.

الجزء الثاني

في القسم السابق من كتابنا فندنا ادعاءات الحداد والحريري المختلفة وبيَّنا أن الإنجيل العبراني لا يمكن له أن يكون القرآن. فلا المفردات هي ذاتها ولا التعاليم ولا اللغة ولا عدد الصفحات أو الجمل أو الكلمات واحدة أو متقاربة وإنما هناك فوارق جذرية تفصلها عن بعضها. وأثبتنا أيضاً بدقة علوم الجبر أن الحريري والحداد يزيفان الوقائع والوثائق.

إن تشابه البعض القليل من أفكار تأتي في كتابين يهدفان إلى الخير لأمر طبيعي جداً لأن فكرة الخير لا يختلف عليها عاقلان. والأفكار القليلة التي أوردها الحريري من الكتابين لإثبات وحدتهما يشير في حدّ ذاته إلى أن الباقي شيء آخر أكثر مما يشير إلى كونها متطابقة. ولو كانت متطابقة أصلاً لما احتاج الكاتبان لإيراد أمثلة مبهمة مقتطفة من هنا وهناك. ولكننا لن نقتصر على الحجج الدامغة التي جئنا بها لإثبات خطأ الادعاء والاختلاق، وإنما سنلجأ إلى أسلوب إضافي مغاير تماماً لنحيط بالمشكلة إحاطة السوار بالمعصم. فعدم كون الكتابين كتاباً واحداً لا يكمن فقط في إظهار عدم تطابق المضمون في النصوص والمعاني وإنما له تكملة قوامها أعمال الحذف الكثيرة المصيرية التي استنكرها القرآن استنكاراً تاماً من العهد القديم، كتاب اليهود الخاص.

وبكلمات أخرى: إن الحديث عن كتابين متماثلين يتطلب إجراء عملية مقابلة بينهما للتحقق من صحة الادعاء. فالقرآن كتاب ثابت يستطيع كل انسان متابعة ثبات نصوصه منذ أربعة عشر قرناً حتى الآن. وأصليّتُهُ ودقته ثابتة، حتى لو أخذنا في عين الاعتبار ما كتبه الحداد حول التعديلات الاثنى عشر التي عالجناها سابقاً. أما الإنجيل العبراني فكتاب مفقود باعتراف الحريري والحداد. وهو مفقود ***قبل أن يولد ورقة بن نوفل*** بحوالي ٣٠٠ سنة ، كما يدل الاستشهاد الذي وثقه لنا الحريري على الصفحة ٢١ من كتابه. وحول دقة الإنجيل العبراني المفقود، أو بالأحرى عدم دقته، نعرف ما وثقه لنا الكاتبان من أنه ناقص محرف مزيف. فكيف يستطيع عاقل أن يستنتج تطابق كتاب كاملٍ موجودٍ مع كتاب مفقود، مع كتاب اعترف اللاهوتيون المسيحيون القدماء بأنه ناقص محرف مزيف؟ هل

أزال ورقة بن نوفل الذي قضى ستين عاماً من حياته في الوثنية التحريف وصحح التزييف وأكمل النقص لكتاب مفقود ثم ترجمه ليدعى أنه القرآن؟ أين هي الخلفية التاريخية أو الثقافية أو اللاهوتية التي يمكن لها أن تكون قاعدة لقيام ورقة، العريق في الوثنية، بعمل كهذا؟

نبدأ الآن بتوثيق كلام الكاتبين، الحريري والحداد ، بأن الإسلام هو النصرانية وأنه يستند على الإنجيل وعلى التوراة معاً. يهمنا ذلك لأن إثبات غياب أفكار ونصوص بأكملها في القرآن، وموجودة في التوراة والإنجيل، يؤكد عدم وحدة الطرفين. ووجود أفكار في القرآن غير موجودة في الكتابين يثبت أنهما مختلفان:

١ – يورد الحريري الآية: "**ما فرطنا في الكتاب من شيء.**" ثم يبني عليها استنتاجه: **لقد وعى محمد مهمته هذه إذ لم يترك من الكتاب السابق شيئاً إلا أخذ به.**" (حريري، صفحة ٨٨)

يهمنا استنتاج أبي موسى الحريري هذا. فهو أولاً قانع بأن محمداً (ص) لم يترك من الكتاب العبراني شيئاً، ويريد ثانياً الإيحاء بأن القرآن يتضمن كل التعاليم والأفكار التي وردت في الإنجيل العبراني ليستنتج قوله: "**وكان القرآن العربي إنجيل القس بالعربية.**" (حريري، صفحة ٩١)

٢ – ثم يدعم قوله السابق بقوله: "**فالقرآن العربي إذن يبين في صفحاته كل ما في آيات الكتاب السابق**". (حريري، صفحة ٨٧)

٣ – **إن النصرانية والإسلام دين واحد باختلاف الاسم. أو قل: إن الإسلام هو الاسم العربي للنصرانية.**" (حريري، صفحة ١٠٩)

٤ – ولبساطة القرآن "**وسهولة تعاليمه وقَصصه حفظه النبي دون تعب وعناء: "ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى.**" ويتابع الحريري بكلماته : "**ينتج عن هذا المعنى أن القرآن العربي هو ملخص سهل أو خلاصة كافية للتذكير بالتوراة والإنجيل.**" (حريري، صفحة ٨١ – ٨٢)

وهكذا انقلب القرآن من كتاب متطابق مع الإنجيل والتوراة إلى خلاصة للتذكير بهما.

٥ – **كان ورقة يأخذ من التوراة ومن الإنجيل.**

٦ – "كلا التنزيل العبراني والعربي اذن ضروري. على العرب وعلى بني إسرائيل أن يأخذوا بالتوراة والإنجيل والقرآن سواء بسواء." (حريري، صفحة ٩٠)

٧ – من مآخذ محمد عليهم [على اليهود] أنهم لم يأخذوا بالكتاب كله، أي بالتوراة والإنجيل. (حريري، صفحة ١١٥)

٨ – الإسلام النصراني القرآني هو الإيمان بموسى وعيسى معاً، بإقامة التوراة والإنجيل معاً: "قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل." (المائدة ٧١) وهذا ما لا ترضاه اليهودية التي تكفر بالمسيح والإنجيل، وما لا ترضاه المسيحية التي تقيم الإنجيل وتنسخ شريعة موسى. (الحداد، صفحة ١٩)

لننتبه بشدة إلى قوله بأن المسيحية تنسخ شريعة موسى. فالربط الجاري في أنحاء من العالم، وخاصة في الولايات المتحدة بين كتابين أحدهما إنساني والآخر عدواني أمر لم تقره المسيحية وإنما حاربته حرباً شنعاء طوال ألفي عام. أما الآن فهناك عملية تضليل جبارة تريد توحيد الدعوة العنصرية الدموية (اليهودية التلمودية) مع الدعوة المسيحية الصافية التي شجبت العنصرية شجباً ودعت إلى السلام.

إننا نرى جماعات مسيحية متهودة في الولايات المتحدة وفي بلاد أخرى سخرت قدراتها ووضعت نصب أعينها توحيد النظرة اللاهوتية المسيحية السمحة مع اليهودية الضالة لخدمة الأهداف الصهيونية الحاقدة على كل من هو غير يهودي. كلاهما يريد إيهام العالم بأن إسرائيل والمسيحية تقفان في " خندق الحضارة " ضد أصولية الإسلام. إنهما يستخدمان جميع التقنيات الحديثة ووسائل الإبادة الجماعية، كما رأينا في هيروشيما وناغازاكي وفي فيتنام وكوريا وكما نرى اليوم في أفغانستان وفلسطين، لأن سلاح الإقناع لن يقف في وجه الإسلام. إنهم يجعلونه محارباً ليسوّغوا تسليط كل وسائطهم العسكرية للتخلص منه. ولن يستطيعوا !

٩ – "الدعوة القرآنية درس للتوراة والإنجيل للدعوة لهما." (حداد، صفحة٣٣٢)

١٠ – "من الشواهد التي نقلها علماء المسيحية نرى أن الفوارق طفيفة بين إنجيل النصارى والإنجيل بحسب متى عند المسيحيين." (حداد، صفحة ١٠٥)

يهمنا هذا التوضيح لأنه يضع بين أيدينا اعترافاً من الحداد، الرجل الحجة، بأننا إذا أثبتنا الفوارق الشاسعة بين إنجيل متى الحالي وبين القرآن نفند كل المزاعم التي تجعل ذلك الإنجيل أو أي إنجيل هو القرآن.

لم يدعُ القرآن إلى التوراة ولا الإنجيل وإنما دعا اليهود إلى نسخ أجزاءٍ كاملة من التوراة بينما طالب النصارى بعدم الغلو في الدين. ولذلك نتحدث فيما يلي عن نوعين من الفوارق.

الفوارق التي تفصل القرآن عن الأناجيل

إن احترامي للمسيحية الأصيلة الصافية يمنعني من المساس بتعاليمها لأن مبادئها خالية من العدوانية بريئة من النصوص الدموية العنصرية المنتشرة في التوراة. إن المسيحية الأصيلة تبقى حلقة مضيئة في حضارة الأديان. ولكن ذلك لا يعني غياب فروق أساسية بين العقيدتين.

لقد اقترح عليَّ بعض الأصدقاء ألا أجيب أصلاً على كتب الحداد والحريري. ووصلتني من الأستاذ أحمد عمران الزاوي رسالة علق فيها على مخطوط هذا الكتاب أرى أن أطلع القراء عليها لأنها تشتمل على أرق مطالبة بعدم التعرض لهذه الفوارق. ودافعه لطلبه هو جمع القوى وليس تفتيتها. فقد كتب:

أخي الدكتور سامي – دامت لك الصحة والسلامة، وبعد،

لقد قرأت الكتاب كلمة كلمة.

سدد الله خطاك. ووفقك في نهجك القويم.

ليس عندي عليه أية ملاحظة. فهو شديد التوثيق. غير أن النصوص المجلوبة استغرقت كثيراً من حجم الكتاب. ثم:

ذلك التركيز على، معتقدات المسيحيين.

نحن – كمسلمين – لا نختلف معهم في جميع القيم الأخلاقية التي ينبغي أن يبنى عليها المجتمع المتوازن. وما الاختلاف إلا حول أمور السماء التي يحكم بها خالق السماء. أما جميع ما يهمنا نحن أبناء الأرض على هذه الأرض، فهو متفق عليه.

ولو كانت أممية الدعوة، موجودة لدى اليهود، أي لو لم تكن اليهودية مبنية على العنصرية والتفاخر وزعم احتكار مغفرة الله ورضوانه، لكانت اختلافاتنا معها قليلة.

إن ما ذكرته من نصوص، وما تلوتها من تعليقات ومقارنات مع المسيحية ماثل في وعي المثقفين، وثقافتهم. ولكن وحدة الصف التي نحن في أمس الحاجة إليها، والتي ذكرتها مخلصاً في خواتيم كتابك، تمنع الكثيرين من التفصيل فيها، ورفعها فوق الرؤوس.

إننا نعيش منذ قرون وقرون في مجتمع متعدد، وصفه عمر بن عبد العزيز بقوله: إن الله لم يرسل محمداً جابياً بل هادياً. وكان رضي الله عنه، يزور الكنيسة والكنيس وبيت النار ويقول: "إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون." – السجدة – ٣٢/ ٢٥

حياك الله.

وحيا قلمك الجريء المعطاء.

٢٠٠٢/٨/١٣

المخلص أحمد عمران الزاوي

لم أستجب لطلبه لأكثر من سبب. فلماذا تبقى كتبهما بلا جواب؟ إن عدم الإجابة عليها وردع التهجم بالحجة سوف يجعلها الكلمة المقروءة الأخيرة في آفاق المعرفة، وسيسهل على حاقدين آخرين ركوب موجتهم من أجل المزيد من التهجم على الإسلام كما فعل رجل سمه الياس المرّ في كتابه: القرآن بدعة نصرانية.

ويخطر في البال سؤال: هل تصدى إخوان مسيحيون للكاتبين ولكتبهما لإيقاف الظالمين عند حدهم؟

هل ناشد الإخوة المسيحيون الكاتبين ألا ينشروا كتبهم متتابعةً بطبعات متتالية بالرغم من المواقف الحرجة التي تحيط بالوطن، وطن الجميع؟

ألم يقف كثير منهم موقف المتفرج منتظراً صدى الشارع المسلم على هذه الافتراءات؟

إني أناشد كل أخ مسيحي من جموع من أعرفهم ومن كل الآخرين أن يدقق في كتابي لأسأل: ألن يجد أن منطلقي هو الرغبة الصادقة في دعم الإخاء؟ ألن يجد أن ذكري للفوارق مبعثه البحث عن استئصال العدوانية من فكر أي إنسان كان يريد العبث بقيم الخير الجامعة؟ إن غلبة العناصر الطيبة في الصف المسيحي أوضح من أن تحتاج إلى إثبات. ولكن لا يصح أن يُطلَبَ مني ومن أمثالي الإحجام عن الرد إكراماً لهم. فإجابتي لا تمس أياً ممن يفكر بعقله وإنما تستهدف أولئك الذين يستخدمون كلام المحبة في عكس الهدف الإنساني المرجو منه.

يقول البعض بأن صدور الكتاب في هذا التوقيت الحساس غير مناسب. ولكن متى كان التوقيت في الوطن العربي غير حساس، بدءاً من الغزو الأوربي للشرق الأوسط؟ وهل منعت حساسية الموقف الحداد والحريري والمرّ وميخائيل من كتابة التخاريص؟ أليس الأجدى التعرض للموضوع الحساس بأسلوب نابع عن الوفاق والمحبة؟

إني لو لم أقرأ ما كتبه الحداد والحريري عن أن القرآن هو التوراة والإنجيل لما فكرت لحظة واحدة في التعرض إلى الفوارق بين المسيحية والقرآن. لكن اندفاع الكاتبين المنحرف تطلَّبَ الإجابة والإيضاح.

وأحباء آخرون اقترحوا ألا أتطرق إلى الفوارق بين المسيحية والإسلام خشية أن يساء فهم القصد. ولكني رأيت ضرورة لذلك، ولكن ليس من منطلق النقد وإنما من منطلقين آخرين:

الأول، هو وجود الفوارق شئنا أم أبينا. فهل ذكرها يؤذي إن كان الهدف هو محاولة إيجاد تفاسير لا يجوز أن تجرح شعور أي طرف؟

والثاني، هو أن تشبث كل من المسيحي والمسلم بوجهة نظره لا يدعو ولا يجوز له أن يدعو إلى فقدان الودّ. فلماذا لا يجري نقاش وحوار عقلاني علمي حول نقاط الخلاف الحقيقية من منطلق احترام كل طرف لحرية الطرف الآخر في الاعتقاد؟ إني أرى في المبدأ القائل: "**إما أنا وإما أنت**" مبدأ عدوانياً. والمسلمون والمسيحيون منه براء. فهل الأفضل طمر الرؤوس في الرمال تحاشياً لرؤية الواقع؟

إن الخلاف يكمن في أمور عقائدية فلسفية يجدر بعلماء الدين من الديانتين جعلها موضوع الحوار المسيحي الإسلامي الجادّ، لأنها في متناول الحل إن تُرك للعقل حرية التفكير وأخذ القرار. وحتى لو تعسَّرَ حلها فلن تعوق التعايش بين أتباع الديانتين. فإن اقتنع طرف استجاب وإن لم يقتنع فالأرض قادرة على استيعاب أصحاب الآراء المختلفة شريطة ألا يسعى طرف لفرض رأيه لاستيعاب الطرف الآخر بطرق غير حيادية، كما كان يحدث في التاريخ.

إني سأتعرض لعدد من الفوارق الأساسية بين الفكر المسيحي والإسلامي من الجانب اللاهوتي ومن ناحية المعاملة على أرض الواقع. فمن الناحية اللاهوتية نجد اختلافاً أساسياً حول:

- أنساب السيد المسيح
- فكرة التثليث وكون عيسى (ع.س.) هو الله أو ابن الله أو كليهما معاً بعد إضافة الروح القدس.
- فكرة الفداء والخلاص

وأما من الناحية الواقعية فأبدأ مناشداً من يسعى إلى المعرفة المقارنة بين صلاة المسلمين في المساجد وصلاة المسيحيين في الكنائس ليتحقق من الفوارق، وأناشدهم أيضاً التمعن في غياب التشريع في المسيحية بينما هو من الأسس الإسلامية التي نظمت أمور أمة مترامية الأطراف، مختلفة المشارب، على مدى ١٤ عشر قرناً ، ثم أختار نقطتين:
موقف العقيدتين من الثراء المادي الاقتصادي،
ثم موقفهما من النساء والزواج.

حول أنساب السيد المسيح نلمس تناقضاً من الصعبِ "رتقُه" عندما يحدد لنا إنجيل متى من العهد الجديد سلسلة أجداد السيد المسيح كما نقرأ في الإصحاح الأول: **"كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود ابن إبراهيم. إبراهيم وَلدَ اسحق وإسحق ولد يعقوب. ويعقوب ولد يهوذا وإخوته. ويهوذا وَلَدَ فارص وزارح من ثامار"** ثم يتسلسل خط الولادات إلى أن نقرأ: **"ومتان ولد يعقوب. ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التي وُلِدَ منها يسوع الذي**

يدعى المسيح. فجميع الأجيال من إبراهيم إلى داود اربعة عشر جيلاً. ومن داود إلى سبي بابل اربعة عشر جيلاً. ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً."

ترى هل من تحليل منطقي يوضح وجود آباء السيد المسيح وأجداده بالاسم تحديداً مع القناعة بأنه الله، ومن روح الله؟ لا شك في أننا نسمع أجوبة جدلية تود إقناعنا بإمكان ذلك. والأجوبة كثيرة وتتكاثر. وكلما حاول المناقشون الإمعان في الإثبات وجدناهم يمعنون في تشبيك خيوط المنطق وجعل المربع دائرة. ولكننا لا نريد الدخول في متاهة مثل هذا النقاش وإنما نترك الأمر لقناعات من يؤمن بذلك.

ومن الناحية اللاهوتية أيضاً يعارض الإسلام فكرة التثليث ويصر على وحدانية قاطعة جازمة في وضوحها ولا يدخل فيها تفاسير تحوم حوماً غير مقنعٍ حول تعابير يصعب على العقل تقبلها. ولو اقتنعت بها بالعقل شعوب مسيحية أو نصرانية بكاملها منذ أول تاريخ السيد المسيح لما تعرضت للإبادة الجسدية من قبل بيزنطة وغيرها. لقد قضيتُ في أوربا خمساً وأربعين عاما ودخلت في نقاش مع مسيحيين من مختلف طبقات المجتمع وخاصة مع الأكاديميين خلال الندوات الجامعية ووجدت كثيرين من الفئة الأخيرة تصرح بأنها بالرغم من إيمانها بعيسى (ع.س.) لم تدرك حتى هذه الساعة معنى وحدة الله مع الابن ومع الروح القدس.

وأقول في هذا الصدد: لو اعتبرت نفسي ملحداً شيوعياً ماديا وجاءني إنسان يقول لي بأن الله واحد، وأن وحدته تتبدى في الآب والابن والروح القدس لهززت رأسي متعطشاً لتفسير يمكن له أن يُدَوِّر هذا المربع.

لنقرأ بعض الجمل حول موضوع التثليث وبنوة السيد المسيح لله التي وردت في كتاب الدكتور القس لبيب ميخائيل للتبشير بالمسيحية وللتنديد بالإسلام[٩٤] ثم لنحاول نقاشها انطلاقاً من روح المحبة والبحث عن الوئام وليس من روح العداء أو الخصام:

---

[٩٤] – من المفيد ومن المؤسف أن نطلع على خلفية كتاب المبشر الدكتور القس لبيب ميخائيل: قبل عدة شهور مرَّ طبيب دمشقي ابن طبيب دمشقي في أهم منطقة من مناطق المشاة في مدينة ميونيخ فشاهد رجلاً تركياً فرشَ أمامه كتباً دينية مسيحية بعدة لغات منها العربية ومدَّ بمحاذاة رجليه سجادة طبعت عليها آية الكرسي القرآنية التي تحتل مكانة رائعة في قلوب وفكر المسلمين، وأخذ يحاول جذب المارة إلى تبشيره المسيحي مستنداً إلى حجج ركيكة =

- "الله العلي المرتفع، الأزلي الأبدي، الذي وسع كرسيه السموات والأرض[٩٥]...هو سر الأسرار. وجوده الأزلي سر. ذاته العلية سر. صفاته الإلهية سر. قدرته اللانهائية سر. حكمته العالية سر. محبته الفائقة سر. وحين يريد الإنسان البشري أن يعرف بمجرد عقله وجود الله وذاته وقدرته وحكمته ومحبته يُصاب بدوار. فالعقل الإنساني يعجز تماماً عن فهم واحتواء ذات الله." (لبيب ميخائيل، صفحة ٩)

ونحن نتساءل مستفسرين: هل كتب القس لبيب ميخائيل هذا الكلام بصفته مسيحياً أم أنه أسلم؟ فالمسيحية جسَّدَت الله في إنسان وجعلته يقدم رمزياً جسده ليأكل البشر منه وليشرب من دمه، ثم حددت شكله فأصبح مرئياً يموت على الصليب الذي أصبح لاحقاً شعار المسيحية، ويعاتب الله أن تركه في ساعة الشدة، وضيَّعت المسيحية بذلك مختلف الصفات العظيمة للخالق الجبار. لقد أفشت سَرَّه وجعلته مكشوفاً في حين أن عدم إحاطة العقل بالله هي الحلقة المفقودة التي يمكن لها أن تشير إلى جلاله. أما الإسلام فهو الذي جعله فوق كل نقاش وأسمى من كل وصف. إنه الإسلام الذي قال: "قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد." لقد أدرك الإسلام سمو الله عن كل إدراك عقلاني فجعله فوق كل رمز وكل تفكير. ولذلك اعتبرَ نظريةَ التثليثِ تجاوزاً على الذات الإلهية وغلواً في الدين وأعلن عن ذلك في آيات القرآن بكل وضوح تسامحي.

= تستهدف الإسلام. وكانت الآية عرضة لأن يدوس عليها المارة. خاطبه الطبيب الدمشقي طالباً منه احترام آية الكرسي ورفعها عن الأرض. فرفض بقوة وإصرار. ولما خاطبه الطبيب الدمشقي سائلاً إياه: وماذا تفعل إذا أنا وضعت على الأرض كتاباً تقدسه أنت؟ عندئذ رفع الرجل التركي السجادة من تحت رجليه.

لا نريد تحميل هذه القصة ما يثير الأفئدة لأن استثارة الأفئدة هي هدف الرجل التركي الذي اعتنق المسيحية فكان أول ما اقترفه من أعمال "الإصلاح" هو دوسه المتكرر على آية قرآنية. هذا التركي النصراني الذي اعترف بالخيرات التي نالها بعد تنصره لم يُفدِ المسيحية ولن يضير الإسلام وإنما أدى بتصرفه إلى عكس ما جُنِّدَ من أجله. لقد دفع بتصرفه الطبيب الشاب إلى التمسك بإسلامه. والمهم بالأمر أن الطبيب الدمشقي لم ينفعل وإنما اشترى كتاباً لصحة التركي بقراءته، وقرأه فازداد تعلقه بإسلامه. وعندما قرأت الكتاب ولخصته صفحة بصفحة وجدت أن من يقرأه سيبتعد عن المسيحية وسيندفع أكثر إلى الاطلاع على القرآن. نعم إني لم أجد فكرة دعا إليها كاتب الكتاب إلا ووجدته يناقض بها نفسه ويسفه المنطق السليم. وخلاصة القول أنه ليس بمثل هذا ينجح أي تبشير.

[٩٥] – تلاحظ كيف يستخدم المبشر كلمات قرآنية وإسلامية ليُطَعِّم بها أسلوبه في حرف المسلم عن معتقده. فالكلمات هذه من آية الكرسي المذكورة واسم كتابه هو: "لا إله إلا الله."

نتابع من كتاب التبشير:

"**بعد أن أبرأ المسيح الرجل الذي كان به مرض..بكلمة منه إذ قال له: "قم احمل سريرك وامش" (يوحنا ٨:٥) وقام الرجل في الحال وحمل سريره ومشى..كان ذلك في يوم سبت.. واعتبر اليهود أن شفاء الرجل يوم السبت هو انتهاك لقدسية هذا اليوم المقدس..وطاردوا المسيح طالبين أن يقتلوه. فأجابهم يسوع: "أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل." (يوحنا ٥: ١٧) لم تكن هذه آخر مرة أكد فيها المسيح معادلته لله.. ففي يوحنا ١٠: ٣٠ قال: "أنا والآب واحد."** (لبيب ميخائيل، صفحة ٧٩)

– "**تجسد الله في المسيح لفداء البشرية.**" (لبيب ميخائيل، صفحة ٢٩)

– "**لقد أظهر الله قدرته في الخلق. لكنه بيَّنَ محبته في موت المسيح على الصليب.**" (لبيب ميخائيل، صفحة ١٣٥ – ١٣٦). والغريب في أمر لبيب ميخائيل أنه يتابع كلامه منددا بالإسلام فيقول: "**والإسلام يخلو تماماً من الإعلان المتجسد لمحبة الله.**" إنه يندد بالإسلام الذي إن اعتز بشيء فبفكرة الوحدانية وعدم تجسيد الله.

واقتباس آخر من لبيب: "**لكن المسيح هو ابن الله..هو الله ظاهراً في الجسد.**" (لبيب ميخائيل، صفحة ٤٣)

مهما كانت عقيدتنا فإننا إذا ألقينا إلى الاقتباسات السابقة نظرة متفحصة لما وجدنا كلمتين متجاورتين إلا وتحتاج إلى مفسر عبقري يخترق غموضها. فما معنى قول الله: "**أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل.**" ؟ هل يدل هذا الكلام على وحدة الكيانين أم يثبت ثنائيتهما؟ وما معنى القول: "**أنا والآب واحد.**" ؟ إن أي معالجة لغوية أو فلسفية لهذا القول تدل على ثنائية الكيانين. فلماذا يسعى البعض إلى تفسير تعجيزي يحار في إدراكه أي عاقل؟ وما معنى الادعاء: "**تجسد الله في المسيح لفداء البشرية.**"؟

فبصرف النظر عن رأينا في معتقد التثليث نتساءل: ما علاقة تجسُّدِ الله في السيد المسيح بفداء البشرية؟ إن فكرة تجسيد الله في السيد المسيح أمر يبتعد بحدّ ذاته عن الوحدانية. أما أن يكون في هذا التجسيد فداء للبشرية فهذا يوضح المشكلة المستعصية على الحل في اللاهوت المسيحي. ومن قال إن البشرية تم فداؤها بهذا التجسد؟ أين هي مظاهر الفداء لهذه البشرية الممعنة في التخبط في تناقضاتها حتى هذه الساعة؟ ومن قال

أن الإيمان بعملية الصلب تمنح الفداء؟ هل الإيمانُ بفكرةٍ هو الذي يخلص الإنسان من خطيئته أم التوبة الشخصية وعمل الخير؟ هل يأمن المجرم على خلاصه لمجرد أن يؤمن بصلب السيد المسيح؟ ومن الذي صُلب ومات على الصليب؟ هل سمح "الله" بصلب "الله" لتحصل البشرية الخاطئة على صك براءة تبرزه أمام "الله" ؟ إن المسيحية تقر بأن الله مات على الصليب ثم عاد حياً. فمن أحيا الله الذي مات إن كان قد مات؟ ألا يعني الموت فقدان المتوفى لمزايا الحياة؟ وهل للموت أنواع؟ لا شك في إن الوصول إلى حالة الموت له أكثر من سبيل. فقد يصاب الإنسان بذبحة قاتلة أو يموت في حادث أو يعاقب بالموت بأحد طرق الإعدام المتعددة. ولكن وقوع الموت على تلك القدرة التي يمكنها أن تهب الحياة بحد ذاتها هو فقدان كل قدرة على الإتيان بأي بادرة. إن كلام الأديان عن حياة بعد الموت وعن يوم الحساب يتعطل إن حاول الإنسان الانحدار بها إلى كونها صُلِبت فماتت على الصليب. إن الأساليب الملتوية الجدلية لإقناع الناس بما لا يتقبله العقل لا يؤدي إلا إلى المزيد من الضياع وغموض الرؤية.

إن المسيحية تتحدث عن صلب عيسى (ع.س.). وعيسى (ع.س.) هو الله وابن الله والروح القدس معاً. فمن هو "الله" المصلوب الذي ناجى "الله" في السماوات معاتباً إياه كما نقرأ في إنجيل متى: "**ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً ايلي ايلي لماذا شبقتني أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟**" (متى ٢٧: ٤٦). وماذا كان دور الروح القدس أثناء عملية الصلب واستنجاد الله المصلوب بالله غير المصلوب والجالس على العرش في السماء؟ (نشير هنا إلى كلمات: "**أي إلهي إلهي لماذا تركتني**" التي تَشرح: **ايلي ايلي لماذا شبقتني**. فكلام الإنجيل هذا يثبت أن أناساً متأخرين كتبوا تلك النصوص ولا علاقة لهم بكلام الله.)

إن الأساليب الجدلية لإقناع الناس "بثلاثية الله" في واحد تملأ كتب اللاهوت منذ أقل من ألفي سنة بقليل. وأبادت بيزنطة المسيحية أقاليم وأجيالاً نصرانية كاملة بالدم والنار والحديد، وخاصة في بلاد الشام والعراق ومصر، من أجل نشر عقيدة التثليث بعد أن فشل المنطق في إقناع الرافضين لها. إن استخدام الدكتور القس لكلمات "**لا إله إلا الله**" عنوانا لكتابه التبشيري الذي يتهجم فيه على الإسلام يبدو وكأنه من أجل تسهيل عملية

تشكيك المسلم بعقيدته. ولكنه فشل لأن المسلم الذي يقرأ هذا العنوان يتساءل: لماذا لم يكمل الدكتور لبيب العنوان ليصبح "لا إله إلا الله محمد رسول الله؟" فكون محمد (ص) رسولاً ليس فيه تقديس لإنسانٍ يعتبرُ نفسه كباقي البشر، وليس فيه تحد للعقل البشري ولا فيه ادّعاء بألوهية أو بربانية، ولا يتعارض مع قيم المحبة والخير التي تجمع الإسلام والمسيحية.

من وسائل الإثبات التي يستخدمها ممثلو التثليث تشبيه بقرص الشمس. فيتساءل أحد المبشرين الذي نشط في كلية الهندسة بجامعة القاهرة: **ماذا تعرف عن الشمس، الشمس الواحدة؟ اعرف أنها قرص، وحرارة، وأشعة. وأي شيء من هذه الثلاثة هو الشمس؟ هل القرص، أم الحرارة، أو الأشعة ثلاثتهم يكونون الشمس! إذن الشمس واحدة، وهكذا الله سبحانه واحد، مع فارق التشبيه العظيم من حيث المكانة.**" ويعلق الغزالي الذي أورد الاقتباس التبشيري فيكتب: "**ونقف قليلاً لنذكر رأينا في هذا الكلام، إن الكائن الواحد قد تكون له عدة صفات...فهل قلة الصفات أو كثرة الصفات تعدد في الذات؟...وهل يُتَصَوَّر أن تنفصل إحدى الصفات المذكورة لِيُطْلَق عليها الرصاص، أو تتدلى من حبل المشنقة أو تُسَمَّر على خشبة الصليب؟**

إن الشمس واحدة، ولكن استدارتها وحرارتها وإضاءتها وكثافتها..الخ صفات لها، أعراض لذاتها، والصفة لا تسمى ابناً ..." (الغزالي، صفحة ٣٦ – ٣٧)

ولي تكملة على تعليق الغزالي: فعندما قال المبشر بأن الشمس هي قرص وهي حرارة وهي أشعة غاب عن ذهنه كلياً أن القرص يمكن أن يكون سبيكة. وأن الحرارة يمكن أن تكون بركاناً والأشعة يمكن أن تكون من أي نجم فلكي آخر. إنها صفات ثلاثة للشمس ولكن أيا منها لا يعني الشمس! حتى لو جمعناها معاً مع صفات أخرى لا حصر لها للشمس، مثل الانفجارات الذرية والبقع الشمسية السوداء والرياح الشمسية والمعادن والغازات لما استطعنا القول بأن كل ذلك ينتج عنه الشمس.

ونذكر في هذا المجال ما جاء في كتاب مراد هوفمان، السفير الألماني الذي أعلن إسلامه وكتب عدة كتب فكرية رائعة حول ذلك. ففي كتابه "الطريق إلى مكة" تناول فكرة التثليث فكتب: "**وتلوح في الأفق إمكانات تقارب، حتى على المستوى الفقهي. ويعود**

ذلك إلى أن علماء الدين المسيحيين في الكنيستين يعيدون النظر والتفكير في مفهوم طبيعة وماهية المسيح كما رآها المسيحيون الأوائل، أي اليهود المسيحيون، وبعدهم المسيحيون الأريسيون [المقصود: الآريوسيون، أتباع آريوس الذي أعدمته سلطة الكنيسة البيزنطية لرفضه فكرة بنوة عيسى (ع.س.) إلى الله] **وكان Adolf von Harnach** (المتوفى عام ١٩٣٠) **قد لفت الأنظار إلى أن حواريي المسيح لم يؤلهوه، أي أن شهادة الإيمان بالمسيح إلهاً، والمنسوبة إلى الحواريين، لم تصدر عنهم، ولا تعكس حقيقة إيمانهم وجوهر عقيدتهم.**

ولقد استمر هذا الاتجاه الناقد الفاحص للمصادر، والذي يتخذ من نصوص العهد الجديد موضوع بحث ودراسة، منذ القرن التاسع عشر. بل إن هذا الاتجاه زعزع اليقين في أكثر معتقدات المسيحيين رسوخاً، حيث أثبت أن الموضع الوحيد الذي يشير إلى فكرة الثالوث الواردة في خطاب يوحنا الأول – الإصحاح الخامس، الآية السابعة – تزوير يعود تاريخه إلى عام ٣٨٠ تقريباً بعد المسيح." (مراد هوفمان، الطريق إلى مكة، صفحة ١٤٥)

إن عدم تقبلي للنظريات التي تقول بالتثليث لا يكتمل إلا إذا تطرقت إلى تكفير المسلمين للمسيحيين. فهذا، برأيي المتواضع، قول لا يستقيم لا إسلامياً ولا اجتماعيا، ولا وطنياً وخاصة أنه ناتج عن عدم منح الموقف اللاهوتي حقه التام من الاعتبار. فكل دعاة التثليث في المسيحية ينطلقون من تفسيرات وتبريرات تصب في وحدانية الخالق. صحيح أننا لا نتفق مع التفاسير التي تزيد الأمر تعقيداً، ونؤكد على وجود التناقض، ولكننا لا نستطيع سوى الاعتراف بأن كل تأويل وتدليل في مرافعات دفاعهم ينطلق من منطلق توحيدي ثابت وراسخ. إنهم يسعون إلى سكب فكرة التثليث التي لا نستطيع إدراك الحكمة في مضمونها في قالب توحيدي. فالوحدانية هي ما ينادون به وهي الهدف المعلن الأخير. فهل هناك للكفر مكان؟

لا شك بأن القرآن يقول: "**لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم.**" و "**لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة**". فإن فسرها من يعتقد بها على أنها كيانات إلهية ثلاثة

يكون قد ناقض التفسيرات التي تصب في الوحدانية. أما إن أكد على اعتبارها وحدانية فالأفضل أن توضع النوايا مقياساً لتقدير الأمور.

ومن منطلق الوطن الواحد لا نستطيع الامتثال لأي إنسان يجعل من سكان الوطن الواحد مؤمنين وكفاراً. إن المسيحيين هم جزء عضوي من الأمة. إنهم يؤمنون بمعتقدات لاهوتية قد لا تتفق مع وجهات نظر الإسلام. ولكن هذا هو شأنهم الخاص الذي حافظوا عليه دون أن يعيقهم الإسلام في الحفاظ عليه، تماماً كما هو شأن المسلمين أن يعترضوا على فكرة الثالوث. ولذلك لا يجوز التعرض لمعتقدهم ما دامت الدعوة الإنسانية الشمولية تشكل حجر الزاوية في كلتا العقيدتين. ألا يوجد مذاهب أخرى في الإسلام نفسه؟ ألا يجيز الإسلام الزواج من مسيحية؟ وهل ننسى الآية ٨٣ من سورة المائدة التي تقول:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢﴾

إن تفتيت وحدة الأمة لا يخدم إلا أعداءها.

وبالمقابل نناشد المسيحيين عدم تحميل الأمر ما لا يحتمل. فكلمة كافر تعني إيمان ذلك الإنسان بعدم وجود الله أو بوجود أكثر من إله واحد. ومكانة الكتابيين واضحة في القرآن بينما لا ننسى أن المسيحية لا تعترف بمحمد (ص) ولا بالإسلام أصلاً. إن التعايش ما زال ممكناً في حياض الوطن الواحد على ألا يتدخل أحد في معتقدات الآخرين. وليعتقد كل مواطن بما يريد ما عدا أن تكون عقيدته لا تفسح مجالاً للآخرين.

هاجم الدكتور القس لبيب ميخائيل الإسلام لأن روح المحبة والعفو مفقودتان لديه. وندَّدَ بالقرآن الذي يعاقب المذنب بينما قدَّمَ السيد المسيح جسده طعاماً ودمه شراباً ليخلص البشرية من الخطيئة.(انظر انجيل متى ٢٦: ٢٦/٢٨ "**خذوا كلوا هذا هو جسدي...وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي.**"

فهل هذه صورة محببة إلى النفس أن يأكل الإنسان جسد السيد المسيح ويشرب من دمه لمغفرة الخطايا؟ حتى ولو كان أكل الجسد وشرب الدم مجازياً يبقى الانطباع غريباً وغير مألوف. وما دمنا في صدد الحديث عن الغفران نسأل الدكتور القس إن كان قرأ الأناجيل وتوابعها فتمعن بالاستشهادين اللذين جاء بهما بنفسه: **"لأن أجرة الخطية هي موت؟** (رومية ٦: ٢٣) و **"النفس التي تخطئ هي تموت."** (حزقيال ١٨: ٤) وهل نسأل الدكتور القس عن ماهية الخطيئة التي عقوبتها الموت؟ في الإسلام نقرأ ما قرأه هو بنفسه وثبته في كتاب تبشيره من أن من يفعل مثقال ذرة خيراً يره ومن يفعل مثقال ذرة شراً يره. فهل هذا حكم خاطئ؟ وهل يجوز تطبيق حكم الإنجيل بالموت على كل من يرتكب خطية دون تحديد أبعاد تلك الخطية؟ أليس من المفروض تناسب العقاب مع الذنب؟ وهل يجوز أن يُعفى كل الخطائين؟ وإلى ماذا تؤول إليه البشرية إن سلم كل مجرم من أي عقاب؟ الإسلام يقول: إن العفو عند المقدرة إحسان. ولكنه لا يعفو عن كل شيء لأن فكرة الخلاص الشاملة التي تحرر كل مذنب من كل القيم والروادع أحرى بها أن تدفع النفس الأمارة بالسوء إلى ارتكاب كل الموبقات ما دام العفو مضموناً. ولنقرأ على كل حال في الإنجيل هذه الجمل:

"ولا تظنوا أني جئت أنشر السلام على الأرض، إني لم آت أحمل السلام وإنما السيف." (متى ١٠: ٣٤) **"اذ إني جئت لأفرق بين الولد وأبيه، والبنت وأمها، وبين زوجة الابن وأمه."**[٩٦] (متى ١٠: ٣٥) **"إنني جئت لألقي النار على الأرض، وماذا أريد من ذلك إلا اشتعالها؟"** (لوقا ١٢: ٤٩) **"إن كان أحد يأتي ولا يبغض أباه وأمه، وامرأته وأولاده، واخوته وأخواته، حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً."** (لوقا ١٤: ٤٩)

---

[٩٦] - لا يكاد يوجد إنجيلان لهما نص معرب واحد. فتعريب إنجيل متى مختلف بين مختلف الطبعات. فحول النقطة التي نعالجها نجد في كتاب مقدس آخر: **...ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً. فإني جئت لأُفرّقَ الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها."** (دار الكتاب المقدس للشرق الأوسط طبعة ١٩٨٧) والاختلاف لا ينحصر في استخدام كلمات تحمل ذات المعاني وإنما يحصل التحوير في المعاني أيضاً في اتجاه تخفيف التعابير الظالمة التي وردت في العهد القديم.)

ونقرأ في إنجيل مرقس سؤال أحد الأثرياء ليسوع: "**أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحيوة الأبدية**" ؟ فأجابه يسوع: **اذهب بع كل مالك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني حاملاً الصليب.**" وتابع يسوع كلامه إلى تلاميذه قائلاً: "**...يا بني ما أعسر دخول المتكلين على الأموال إلى ملكوت الله. مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غنيّ ملكوت الله.**" (مرقس ١٠: ١٧/٢١/٢٤/٢٥)

ونقرأ في إنجيل متى: " **يعسر أن يدخل غنيٌ إلى ملكوت السماوات. وأقول لكم أيضاً ان مرور جمل من ثقب أبرة أيسر من أن يدخل غنيٌ إلى ملكوت الله.**" (متى ١٩: ٢٣/ ٢٤)

أما الإسلام فأخذ موقفاً واقعياً من الثروة والأثرياء حثّ فيه على العمل والتجارة والربح وأنذر الناس بأنهم سيتحملون شظف العيش إن لم يسعوا نحو كسب معيشتهم. نقرأ الآية ٣٩ من سورة النجم:

وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَـٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾

وحبب الإسلامُ في الآية ٤٦ من سورة الكهف بالمال وبالبنين:

ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

وحثّ من يملك المال على أن يتنعم بما يجنيه من مكاسب وبإظهار نعمة الله عليه فخاطبه القرآن في آخر آيات سورة والضحى بقوله: "**وأما بنعمة ربك فحدث**" وطالبه بتأدية ضريبة الزكاة التي، إذا دققنا في مردودها الحسابي، تكون أكثر فعلاً وعدلاً مما نجده من تشريع الدول في عصرنا الحاضر.

وموقف الإسلام من الحياة العاطفية ومن النساء ، في قناعتنا، أكثر واقعية من موقف المسيحية منهن. فالتبتل، وهو الانقطاع عن الحياة الدنيوية والانصراف إلى الله، والتوجيه نحو شجب الزواج، من مطالب المسيحية. فظاهرة التبتل "**تقوم ... على الاعتقاد بأن**

المعاشرة الجنسية عمل دنس، وأن الطهارة تكون في الابتعاد عن النساء." (ترمانيني، الزواج عند العرب، صفحة ٦٤)

ففي رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس نقرأ : **حسن للرجل ألا يمس امرأة، ولكن لسبب الزنا، ليكن لكل واحد امرأته ولكل واحدة رجلها."** (رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس، الإصحاح السابع: ١ – ٢ ، ٨ – ١٠ ، ٣١ – ٣٢)

أما الإسلام فلا يكتفي بالحث على الزواج وإنما يطالب الرجل ألا يكتفي بأن يتمتع وحده وإنما يهتم بإرضاء الرغبة عند الزوجة لتصل معه إلى اللحظة الحساسة.

لا شك بأن الحوار هو طريق التفاهم. ولكن محاولة استخدام أي فريق لفكرة الحوار من أجل الاستحواذ على الفريق الآخر هو انحراف خطير يسيء ولا يفيد. وإن حفاظ المسيحيين والمسلمين على معتقداتهم كما هي لا يهدد التعايش بين الطرفين. ولا أجد حلاً أفضل من الآية ١٣٥ من سورة النحل التي تقول:

ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ

والآيات القرآنية التالية تنحو ذات النحو الإنساني الداعي إلى التعايش أيضاً:

كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٧

فالآية هذه، وهي السابعة من سورة التوبة دعوة قرآنية واضحة للمسلمين للتعامل باستقامة مادام الطرف الآخر مستقيماً.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

وهذه الآية، وهي الثانية من سورة المائدة، شديدة الوضوح تطالب المسلمين بألا يفكروا في ظلم الطرف الآخر لأن العدل هو الأقرب للإيمان.

لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾

وهذه الآية، وهي الثامنة من سورة الممتحنة، تدعو إلى البرّ بالطرفِ الآخرِ إن لم يحاربَ المسلمَ في معتقده أو يُهَجِّرَهُ من دياره.

أما الآية ٢٥ مو سورة سبأ التي تقول:

قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾

فواضحة في دلالتها إذ تقول للكتابيين بأن كل فريق مسؤول عن عمله. فلا يُسأل المسلم عن أفعال الكتابيين ولا يُسأل الكتابي عن أعمال المسلمين.

الفوارق التي تفصل القرآن عن التوراة

لقد أوضحنا في البحث السابق عدم كون القرآن نصوصاً مأخوذة من الإنجيل وننتقل الآن إلى أمثلة عجيبة من توراة اليهود لا نجد مثيلاً لها في القرآن بادئين بالتذكير بأن

اليهود وعدد كبير من المسيحيين يرون أن التوراة هي وحيّ من عند الله.[٩٧] أما الأستاذ كمال الصليبي فيكتب حول الموضوع:

"المهم في الأمر أن الأسفار الخمسة الأولى من التوراة، وهي الأسفار التي يطلق عليها أساساً اسم التوراة لم تُكتب أصلاً بقلم واحد. بل هناك من بينها أسفار ثلاثة – التكوين والخروج والعدد– لم يكتب أي منها أصلاً بقلم واحد. وما هذه الأسفار إلا مجموعات من الأقاصيص الصادرة أصلاً عن تقاليد مختلفة ربما كان بعضها مكتوباً وقد تم جمعها وتنسيقها في وقت متأخر نسبياً، وأُضيف إليها ما أُضيف، فصارت تشكل جزءاً لا يتجزأ من تصور بني إسرائيل بداياتهم التاريخية. وربما كان من بينها في الأصل ما لا علاقة له ببني إسرائيل. والواقع هذا ليس من اكتشافي، فهو ما يقره في الوقت الحاضر معظم المختصين في النقد النصي للتوراة مع بعض التحفظات بشأن التفاصيل..." (صليبي " خفايا التوراة" صفحة ١٣)...... **"وما سفر التكوين، وهو السفر الأول من التوراة، إلا مجموعة من الأساطير التي يتعدى قدمها قدم اليهودية ونصوصها المكتوبة بأجيال وأجيال."** (صليبي " خفايا" صفحة ٢٢)

لننتبه إلى كلام البروفسور صليبي، المسيحي الشهير في كل مواطن علوم اللاهوت في الشرق والغرب عندما يقول بأن " **الأسفار الخمسة الأولى من التوراة، وهي الأسفار التي يطلق عليها أساساً اسم التوراة لم يُكتب أصلاً بقلم واحد.**"

أقوال مفكرين مسيحيين

قبل الخوض في الفوارق التي تفصل القرآن عن التوراة نأتي بكلام كتاب مسيحيين عريقين في مسيحيتهم وفي وطنيتهم وفي علمهم يثبت استحالة الإنسجام بين "مختارية" بني إسرائيل وبين مشيئة رب العالمين العادلة فنبدأ بهذا التحليل الرائع في كتابات الدكتور يوسف كفروني حول الأسباب التي جعلت كنيسة القيصر قسطنطين تربط الإنجيل بالتوراة ويثبت أن هذا الربط انتصار للتوجه الديكتاتوري الكنسي حفاظاً على سلطتها المهددة من

---

[٩٧] – إن معظم ما جاء في هذا الفصل ورد في كتابي الذي يحمل العنوان: "هل اليهودية التلمودية دين؟" وهو يعالج ويثبت عدم وجود أي حق إلهي أو وضعي يُسوّغ وجود دولة إسرائيل. صدر عنه طبعتان وتمت ترجمته إلى اللغة الانكليزية. ولكني اوجزت هنا ولم آت بكل القصص والمعلومات التي تبين بعد الشقة بين اليهودية والأديان الإنسانية الأخرى. ومن يرغب الاطلاع على المزيد من التعليقات يستطيع الرجوع إلى الكتاب.

الكنيسة السورية. يقول د. كفروني: "إن تبني كنيسة السلطة الربط بين يسوع والتوراة لم يعن في ذلك الحين موقفاً متعاطفاً مع اليهود. لأن اليهود كانوا خلال سيطرة الكنيسة من الجماعات المرفوضة والمعزولة والمضطهدة. كما أن التوراة لم تكن متداولة، وكانت شبه محرمة على الشعب. لكن من الواضح أن التوراة قد زودت السلطة الكنسية والسلطة الامبراطورية أو الملكية المتعاونة معها بإيديولوجية الاختيار [الاصطفاء] والإبادة المفقودة في تعاليم يسوع.....هكذا نفهم سلسلة الحروب وحملات الإبادة التي اشتركت فيها السلطة الكنسية ورعتها وباركتها"......"لم تبن الكنيسة الرسمية أي موقف متعاطف مع اليهود.......وإنما كان ينظر إليهم على أنهم كفار وقتلة الإله."(كفروني صفحة ٤٥٠ – ٤٥١"

"بعدما ضيق العلم الخناق على التوراة مظهراً أساطيرها وانعدام العلمية فيها وانحراف تاريخيتها يعتمد بعض رجال الدين على الرمز والتأويل لإنقاذ التوراة من باطلها معتبرينها كنزاً للروحانية والتعاليم الأخلاقية، مرددين الرأي التقليدي الذي ساد في الكنيسة الرسمية، في أن التوراة مهدت للإنجيل وأنبأت بالمسيح." (كفروني صفحة ٤٥٣). ويتابع د. كفروني قوله: "إن استخدام الرمز هو هروب من مواجهة الحقائق العلمية والتاريخية. وإذا كان في هذا الهروب نوع من الذكاء عندما استعمل منذ ما يزيد عن الألفي عام، فإن في استخدامه اليوم انعداماً للذكاء واستغباء للناس." (كفروني صفحة ٤٥٤)

وهنا نجد أنفسنا مضطرين للتوضيح بأن اعتبار التوراة أدت إلى ظهور الإنجيل يشبه أن نقول بأن السيول الجارفة المدمرة أدت إلى العمران من جديد. فالتوراة أضحت بعد التزييف الذي طرأ عليها، تحوي من الباطل ما يكفي لتدنيس عالم بحاله. ولم يكن السيد المسيح ليظهر برسالة المحبة لولا الضرورة الناشئة عن فسق بني إسرائيل التلمودي التوراتي. أما أن التوراة أنبأت بالسيد المسيح فهذا خطأ فاضح وتجني على الواقع لأن مسيح التوراة يقترن مع الإبادة والدمار بينما مسيح المسيحية نادى وينادي بالمحبة والسلام.

"لقد عملت الكنيسة الرسمية عن طريق ربط تعاليم يسوع بالعهد القديم على حمل اليهودية وتعميمها على العالم فأصبح العهد الجديد هو الذي مهد للعهد القديم وأصبحت

المسيحية هي الممهدة لليهودية وليس العكس." (صفحة ٤٥٤) فهل نكون على خطأ حين نقول بأن جهود بعض الكنائس لإعادة الاعتبار إلى اليهودية المدمرة هو تفكيك للأسس التي جاء بها السيد المسيح؟

ومن كتاب "التوراة" للكاتب المفكر مفيد عرنوق نقتبس الفكرة التالية حيث يناشد الإخوة المسيحيين ثلاثاً:

١ - **"فهل لرجال الدين التابعين للكنيسة الشرقية أن يعيدوا النظر في هذه المفاهيم بعد أن أصبح الجيل الجديد يقرأ التوراة بعقله لا بإيمانه فقط ويرى فيها الضلال الذي كشف عنه بجرأة رجل الدين الغربي؟ إن الجمود الفكري حول مفاهيم خاطئة يقود إلى التمرد. والتمرد من طبيعته الرفض حتى للقيم الواجب تكريسها والدفاع عنها إذا لم يُعالج هذا الرفض بسرعة. إنها دعوة إيمان لا كفر، دعوة جمع الكلمة لا تفرقة أو شتات."** (مفيد عرنوق صفحة ١٠٤)

٢ - **"أيها المؤمن الكريم، لا أعلم إذا كنتُ أتيتكَ بجديد في هذه الدراسة. إنها كلها مثبتة في التوراة التي قرأتها مرات عديدة واقتنيتها في بيتك وآمنت بكل ما جاء فيها. أما إذا رأيت فيما قدمته لك وكأنه جديد عليك فيجب أن تعلم أنك كنت تقرأ هذا الكتاب وفق ما علموك واعتقدت بصحته. لم يفت الأوان بعد لا عليك ولا على أولادك وخاصة على الذين لم يولدوا بعد. أعد قراءة التوراة من جديد وبعقل منفتح وكأنك لأول مرة تقرأها وبعد ذلك احكم على ما قدمت لك في هذه الدراسة."** (عرنوق صفحة ٢٥١) ومن الصفحة الأخيرة لهذا الكتاب نقتبس من الخاتمة الأسطر التالية:

٣ - **"تعتقد أن القارئ اكتفى بما قدمناه حتى الآن من اثبات حول ما اختلسه كتبة التوراة عن الأدب الكنعاني...القديم. إن التقليد والنقل أحياناً من فكر إلى فكر ليس محرماً في تصادم الحضارات ولكن المحرم قطعاً هو الإنتحال وطمس معالم الأصل. إذ إن العملية تصبح عندئذٍ عملية سطو واعتداء على مُلْكِ الغير".... "والآن وقد أتينا على كامل دراستنا حول التوراة والتراث السوري يحدونا الأمل بأن معشر القراء والمفكرين الذين سيتممون هذه الدراسة بما لديهم من معلومات إضافية وأن يصححوا بروح طيبة إيجابية حيث أخطأنا. ولا بد لي من أن أتوجه إلى رجال الدين المحترمين راجياً أن يتسع صدرهم ويساعدونا على حماية أوطاننا مادياً وروحياً لأن المعترك الذي نخوضه اليوم**

أشرس من كل ما واجهناه في تاريخنا حتى الآن. القلم والبندقية توأمان وفي خندق واحد."

وأما الكاتب الآخر فهو حجة في المواضيع التي يطرقها وفي صفاء فكره. إنه المفكر المسيحي الرزين ندرة اليازجي الذي نقتبس من أقواله الجمل التالية:

- **"..إن المسيحية تغاير اليهودية المعروفة بأنها صهيونية إسرائيل، وتدعو الإسرائيلية للعودة إلى نطاق الحقيقة والوعي. وفي هذا السبيل طرحت مبادئ المسيحية لأظهر كيف أنها واليهودية نقيضان."** (صفحة ١٧)

- **"إن المسيحي الذي يقيم دينه على التوراة ويعتبرها الأساس أو القاعدة التي يرتكز عليها يصبح أرضاً خصبة لتقبل كل دعاية يهودية أو تفسير يهودي للإنجيل"** (صفحة ٢٠)

- **"...إنني أترك التوراة جانباً لليهود أنفسهم لأنها لم تكن طريقي إلى الإيمان والاعتقاد."**. ويرى اليازجي أن ثمرة قناعته هذه تتطلب **"لفظ اليهودية والإبقاء على المسيحية. إنه تبشير لليهود بخطئهم ونهاية دورهم..** [وعملية دفاع] **لا يتحقق إلا بفصل المسيحية عن اليهودية."** (صفحة ٢٤/٢٥).

- **"..وقد ألمحت إلى أن المسيحية التقليدية، من خلال ارتباطها بالتوراة، تنساق وراء مكايد اليهود وأضاليلهم التي تعمل الآن في قلب المسيحية. فما الحركات الغريبة التي نسمع بها والتي تنادي بالعودة إلى السبت أو بمجيء مسيح أو بنهاية الدهور، أو بتفسير الإنجيل من خلال التوراة والتشديد عليها إلا حركات يهودية تهدف إلى تقويض المسيحية من الداخل: إنها يهودية بباطنها ومسيحية بظاهرها."** (صفحة ٢٧/٢٨)

كل من هؤلاء الكتاب اندفع بعقله ضد التسييس الزاحف الموجه من الغرب. كل منهم بلغ إيمانه بفكره أن قرر السباحة بعكس التيار السائد المدعوم من جهات غريبة. وكل منهم، وخاصة الأستاذ ندرة اليازجي كان يستطيع الوصول إلى قمم السلطان الفكري والتمتع بالانتعاش الاقتصادي وكل مظاهر الرفاهية لو اندفع مع التيار. لكنه أبى قماش الحرير، ولبس خشن الثياب، ووقف مع الرأي الحر. إن الحر هو الذي يدفع الثمن بينما الخانع يتمتع! إنه يتمتع لأن له ثمناً. الحر يجاهد من أجل ضميره بينما باع الآخر ضميره.

والآن نورد نصوصاً توراتية ونعلق عليها بإيجاز تاركين للقارئ اليهودي والمسيحي والمسلم أو أي إنسان آخر تقدير مضامينها بالشكل الذي يقبله عقله.

نقرأ المزمور ١١٠: ١ و ٤ و٥ و ٦ الذي يقول:

"قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. أقسم الرب ولن يندم. أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق. الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكاً. يدين بين الأمم. ملأ جثثاً أرضاً واسعة سحق رؤوسها."

هذه هي "التوراة – كلام الله الكريم" كما يعلمنا المبشر المسيحي الدكتور لبيب ميخائيل. (صفحة ١٦٠)

نستنتج أن مسيح اليهود الذي ما زالوا ينتظرونه حين يأتي سيملأ الأرض جثثاً وسيبيد الشعوب التي لا تخضع ولا تستسلم فتصنع من نفسها مواطئ لأقدام اليهود، بينما نجد أن عيسى بن مريم (ع.س.) صفح عن الزانية بأن خاطب المجتمع بقوله: "من كان منكم بلا خطيةٍ فليرمها أولاً بحجر." (إنجيل يوحنا ٨ :٧).

نوح السكران وكنعان البريء:

ونقرأ من قصة نوح في سفر التكوين الإصحاح التاسع: ١٨ القصة التالية:

"وكان بنو نوح الذين خرجوا من الفُلْكِ [بعد الطوفان] ساماً وحاماً ويافث. وحام أبو كنعان. هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح. ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض.

وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً. وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً. فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء. فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته. وقال مبارك الربُّ إله سام. وليكن كنعان عبداً لهم. ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام. وليكن كنعان عبداً لهم."

يدفعنا النص السالف إلى نوعين من الإجابة فنورد أولاً تعليقنا على المضمون ثم نورد جزءاً من تعليق الكاتب شفيق مقار على هذه القصة.

أما نحن فنطرح تساؤلاتنا بالتدريج: إن الذي شرب الخمرة حتى الثمالة والسكر وفقدان الوعي هو نوح. إنه هو الذي ارتكب خطأ شرب المسكر! ومن الطبيعي جداً أن يراه وهو بهذه الحال أحد الناس، والأحرى أن يكون الرائي أحد أبنائه لأن من بَلَغَ من السكر حدَّ خلع الثياب والتعري الكامل وإبراز العورة لن يصحو خلال وقت قصير. فلماذا يلوم نوح ابنه حاماً أن رآه؟ وما ذنب حام إن كان هو صاحب الحظ التعيس الذي اكتشف زلة أبيه قبل أخويه الآخرين؟ بل ما الذنب أن رأى أباه في الوضع الذي وضع أبوه نفسه فيه؟ هل أمر نوح قبل سكره بألا يبحث أحد عنه لنقول إن حاماً خالف التعاليم؟ وما الخطأ أو الضرر إن تحدث حام لأخويه عن عري أبيه ليقوما بتغطيته؟ ألا يستحق حام مكافأة وبركةً استثنائية أن أعلم أخويه الكبيرين بوضع والدهم غير السليم ليتدبروا الأمر أم هل كان من الأفضل أن يكتم "السرّ" فيبقى نوح عارياً ليمرض؟

وما ذنب كنعان التعيس ليلعنه نوح بالرغم من أنه لم يكن له في كل الأحداث ناقة أو جمل؟

هذه هي "التوراة – التي يسميها المبشر المسيحي: " **كلام الله الكريم** ".

إبراهيم وسارة وفرعون:

نقرأ بعد ذلك في تكوين ١٢: ١٠-١٩:

"وحدث جوع في الأرض. فانحدر أبرام [إبراهيم] إلى مصر ليتغرَّبَ هناك. لأن الجوع كان في الأرض شديداً. وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته. فيقتلونني ويستبقونك. قولي إنك أختي. ليكون لي خيرٌ بسببك وتحيا نفسي من أجلك. فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً. ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأُخذَت المرأة إلى بيت فرعون. فصنع لأبرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال. فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام. فدعا فرعون أبرام وقال ما هذا الذي صنعت بي. لماذا لم تخبرني أنها امرأتك. لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لتكون زوجتي."

هذه هي "التوراة – كلام الله الكريم".

فهل يعقل أن الإله "العادل" "القادر" "القوي" "السمح" يتقبل من أبرام هذا التصرف الذي لا نريد تسميته بما يستحق؟ وإن شئنا الإصرار على عدم تسمية الأسماء بمسمياتها الصريحة حفاظاً على شعور من يؤمن بقدسيتها نكتفي بأن نقول أن أبرام تصرف بالشكل الذي حدثتنا عنه التوراة خوفاً من الموت من جهة، وسعياً للحصول على الخيرات التي ستؤول إليه بعد أن يأخذ فرعون زوجته ساراي فيتزوجها ويغدق عليه بسببها من جهة أخرى. وهذا تعبير عن الجبن ودليل على الجشع!

ولماذا تنصب لعنات رب اليهود على فرعون البريء والذي تصرف بشهامة ولم يوجه كلمة لوم لإبراهيم الذي قدَّمَ زوجته؟

ولنقرأ تعليق الكاتب القدير جورجي كنعان حول هذه القصة التوراتية:

"وهذه القصص التي تنطوي على إيحاء ضمني بإباحة استخدام الزوجة اتقاءً لضرّ متوهم أو ابتغاء لكسب مرجو قد افسحت أمام اليهود منذ أقدم العصور مجالاً فريداً لتطبيق القاعدة اللاأخلاقية: الغاية تبرر الواسطة. وكأن كتّاب العهد القديم ما خلعوا على أنبيائهم وملوكهم أبشع الصور وأقذرها إلا ليبيحوا لأنفسهم ولأتباعهم من بعدهم ارتكاب المعاصي والرذائل في سبيل الوصول إلى غاياتهم. وإذا كان القدوة قذراً سافلاً فلا لوم على المقتدي أن يكون كذلك." (كنعان صفحة ٤٧)

المصريون في التوراة:

كل مصري، حسب التوراة، ككل الأغيار"...**حيوان متنكر في هيئة انسان لأنه مولود من "نطفة حصان"** ، **(مني الخيل الذي قال عنه الرب للحبر حزقيال") مقار ٢٤.**

والنص التوراتي الحرفي من حزقيال ٢٣ : ١-٤ ثم ٢٠- ٢١ يقول:

"وكان إليَّ كلام الرب قائلاً. يا ابن آدم كان امرأتان ابنتا أم واحدة. وزنتا بمصر. في صباهما زنتا. هناك دُغدِغَت ثُدِيُّهُما وهناك تزغزغت ترائب عِذرَتِهما. واسمهما أهولة الكبيرة وأهوليبة أختها".... ... ... "وأكثرت [أهوليبة] زناها بذكرها أيام صباها التي فيها زنت بأرض مصر/ وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير ومنيهم كمني الخيل."

هذه هي "التوراة – كلام الله الكريم".

وليس هذا المثال الوحيد على هذه الشاكلة العجيبة! فلو عدنا إلى سفر التكوين ٢٠: ١-١٣ لوجدنا النص التوراتي التالي:

"وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار. وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي. فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة. فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة ببعل. ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب إليها. فقال يا سيدي أأمةً بارَّةً تقتلُ. ألم يقل هو لي إنها أختي وهي أيضاً نفسها قالت هو أخي. بسلامة قلبي ونقاوة يدي فعلت هذا. فقال له الله في الحلم أنا أيضاً علمت أنك بسلامة قلبك فعلتَ هذا. وأنا أيضاً أمسكتك عن أن تخطئ إليّ. لذلك لم أدعك تمسها. فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبي فيصلي لأجلك فتحيا. وإن كنت لست تردها فاعلم أنك موتاً تموت أنت وكل من لك. فبكَّر أبيمالك في الغد ودعا جميع عبيده وتكلم بكل هذا الكلام في مسامعهم. فخاف الرجال جداً. ثم دعا أبيمالك إبراهيم وقال له ماذا فعلت بنا وماذا أخطأتُ إليك حتى جلبت عليَّ وعلى مملكتي خطية عظيمة. أعمالاً لا تُعمل عملتَ بي. وقال ابيمالك لإبراهيم ماذا رأيتَ حتى عملتَ هذا الشيء. فقال إبراهيم إني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة. فيقتلونني لأجل امرأتي. وبالحقيقة أيضاً هي أختي ابنة أبي. غير أنها ليست ابنة أمي. فصارت لي زوجة. وحدث لما أتاهني الله من بيت أبي أني قلت لها هذا معروفك الذي تصنعين إلي. في كل مكان نأتي إليه قولي عني هو أخي."

هنا نكرر ذات الأسئلة التي أوردناها في قصة أبرام ونضيف تساؤلين جديدين: لماذا جاء رب التوراة إلى أبيمالك في الحلم وأمره بإعادة الأمانة دون مساسها؟ ولماذا لم يمسك قايين (المقصود قابيل) قبل أن يقتل أخاه هابيل؟ ولماذا هدد الرب أبيمالك بالموت وكلَّ أهله الذين لا ذنب لهم في تلك القضية الشائكة على الإطلاق ولم يحذر فرعون في المرة الأولى؟ وهل هذه هي أخلاق الرب الذي يتحدث عنه التوراة والتلمود؟

يهوذا يزني مع أرملة ابنه

نقرأ في التوراة: **"وحدث في ذلك الزمان أن يهوذا نزل من عند إخوته ومال إلى رجل عدلاميّ اسمه حيرة. ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني اسمه شوع. فأخذها**

ودخل عليها. فحبلت وولدت ابناً ودعا اسمه عيراً. ثم حبلت ايضاً وولدت ابناً ودعت اسمه اونان. ثم عادت فولدت أيضاً ابناً ودعت اسمه شيلة...
وأخذ يهوذا زوجة لعيرٍ بكره اسمها ثامار. وكان عير بكر يهوذا شريراً في عيني الرب. فأماته الرب. فقال يهوذا لأونان ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلاً لأخيك. فعلم أونان أن النسل لن يكون له. فكان إذ دخل على امرأة أخيه أنه أفسد على الأرض لكيلا يعطي نسلاً لأخيه. فقبح في عيني الرب ما فعله فأماته أيضاً. فقال يهوذا لثامار كنّته اقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني. لأنه قال لعلَّه يموت هو أيضاً كأخويه. فمضت ثامار وقعدت في بيت أبيها.
ولما طال الزمان ماتت امرأة يهوذا. ثم تعزّى يهوذا فصعد إلى جُزّازِ غنمه إلى تمنة...فأُخبرت ثامار وقيل لها هوذا حموك صاعد إلى عينايم التي على طريق تمنة ليجز غنمه. فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت وجلست في مدخل عينايم...لأنها رأت أن شيلة قد كبر وهي لم تُعط له زوجةً. فنظرها يهوذا وحسبها زانية. لأنها كانت قد غطت وجهها. فمال إليها على الطريق وقال هاتي أدخل عليك لأنه لم يعلم أنها كنتهُ. فقالت ماذا تعطيني لتدخل عليّ. فقال إني أرسل جدي معزى من الغنم. فقالت هل تعطيني رهناً حتى ترسله. فقال ما الرهن الذي أعطيك. فقالت خاتمك وعصابتك وعصاك التي في يدك. فأعطاها ودخل عليها. فحبلت منه. ثم قامت فمضت وخلعت عنها برقعها ولبست ثياب ترملها."..."ولما كان نحو ثلاثة أشهر أُخبر يهوذا وقيل قد زنت ثامار كنتك. وهاهي حبلى من الزنا. فقال يهوذا أخرجوها فتحرق. أما هي فلما أُخرجت أرسلت إلى حميها قائلة: مِنَ الرجلِ الذي هذه له أنا حبلى. وقالت حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه. فتحققها يهوذا وقال هي أبرّ مني لأني لم أُعطها لشيلة ابني."

هذا حوار إلهي جاء في التوراة. لقد واصل يهوذا زوجة ابنه دون أن يكتشف حقيقتها وكأنها عرَّت نصفها الأسفل لعملية المضاجعة دون أن يرى وجهَ شريكتهِ ودون أن يتأكد من أنها ربما تكون قبيحة أو مريضة أو شمطاء. وبقدرة قادرٍ "مشبوهٍ" انقلبت الزانية إلى كائن ملائكي لمجرد كون الذي زنى بها هو يهوذا، وهو من المثل العليا لدى اليهود. ولنتذكر أن الرب أمات عير لسبب لم تعلمنا التوراة عنه. وأمات أونان لأنه أفسد على

الأرض. أما يهوذا الزاني وثامار التي اقترفت عملاً أشد عيباً من الزنى فاحتفظ رب التوراة بهما. هل تركهما ليحذو بهما أجيال اليهود على مدى الزمان؟

ابنتا لوط تحملان منه:

بعد أن غادر لوط سودوم وعمورة التي أحرقهما الرب بالكبريت والنار نجد أنه اتجه نحو مدينة صوغر. إنه لم يدخلها وإنما التجأ إلى مغارة في الجبل. تقول التوراة في سفر التكوين ١٩: ٣٠-٣٦ اتماماً للقصة:

"وصعد لوط من [مدينة] صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه. لأنه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه. فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه. فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما...."

إن كنا ننطلق من أن التوراة من عند الله لا تحريف فيها وأن ما جاء فيها صحيح فلنا أن نطرح التساؤلات التالية:

كيف لنا أن نتعامل مع هذه القصة التي وردت في كتاب ينسبه البعض إلى الله ؟ كيف قالت لنا التوراة قبل صفحة واحدة من هذا النص العجيب أن الله أحرق سودوم وعمورة على بكرة أبيها بالنار والكبريت للآثام التي ارتُكِبت هناك وأخرج أباهما لوطاً وأمهما لإنقاذ حياتهما ثم يرتكبون أشنع الفواحش فلا يعاقبهن الرب؟ بل وقبل أسطر قليلة جداً من النص السابق حدثتنا التوراة "المقدسة" عن أن زوجة لوط نفسها التي أنقذها الله من الموت انقلبت إلى عمود من الملح لمجرد أنها التفتت لتشاهد مصير سودوم وعمورة الفاجرتين. فماذا يجب أن تكون عقوبة الابنتين إذا ما قيس إثمهما بهفوة أمهما التي لم تفعل سوى أن التفتت إلى الوراء لتلقي نظرة أخيرة على المكان الذي ولدت فيه وشبت وتزوجت في جنباته؟ فإن قيل لنا إنها خالفت أوامر الرب لتساءلنا فوراً ألا يشكل زنا الابنتين مع أبيهما أبشع خطيئة لتعاليم الرب يمكن للعقل أن يتصورها؟ ترى ما هذا العنف الجائر تجاه الذنب الخفيف مقابل التسامح الذي لا يمكن تفسيره تجاه فسق الابنتين وإسكارهما لأبيهما لتمارسا

معه الفحش ولتحملا منه؟ وما العقل الذي يصدق أن رجلاً يسكر إلى حدٍّ لا يستطيع فيه تحديد ما يحصل معه في فراش الغرام، يبقى لديه من القوة البدنية ما يكفي لمعاشرة فتاتين بكريتين في ليلتين متتابعتين؟ وهل حملت الابنتان الخمر معهما يا ترى من صوغر إلى المغارة في رأس الجبل؟ ألم يكن هناك أشياء أكثر أهمية من الخمر لإنقاذها من المدينة؟ أم هل جاءهما الوحي من ربٍّ عجيبٍ باصطحاب الخمرة لتستخدماها في إسكار أبيهما لتمارسا معه الجنس ولتنجبا منه سلالتين؟ وكيف يمكن لهذه الذرية من أولاد الحرام، وهم شعبا موآب والعمونيين، أن تستمر بإذنٍ ومباركةٍ من رب التوراة؟

ألم يجد إله بني إسرائيل سوى هذه الوسيلة المقززة للنفس يلجأ إليها لاستمرار نسل لوط؟ لماذا قاد رب التوراة لوطاً إلى الجبل ثم المغارة دون أن يسدد خطاه فيبقى مع ابنتيه في صوغر أو يرحل إلى أية مدينة أخرى لم تُبتلَ بغضب الرب؟ ألم يجد للابنتين حلاً آخر أقل فسقاً مما ارتكبت الابنتان؟

ونسدل الستار على هذه القصة العجيبة بإيراد ما كتبه المفكر الفرنسي فولتير عنها حيث قال:

"لا يفيدنا النص التوراتي بما فعله لوط عند ما رأى زوجته وقد تحولت إلى عمود من الملح. ولم يذكر لنا أيضاً اسمي ابنتيه. أما فكرة إسكار الوالد بهدف "الاضطجاع معه" فهي فكرة توراتية فريدة. ولا تقول التوراة لنا من أين جاءت الفتاتان بالخمرة. ولكنها تقول لنا إن لوطاً اخترق [فضّ] عذرية ابنتيه دون أن يلحظ دخولهما عليه أو خروجهما من عنده. بيد أنه يصعب كثيراً على الرجل أن يفض بكارة فتاة دون أن يعرف شيئاً عما فعل. إنه حدث لا نستطيع أن نجد له تفسيراً. وليس مفهوما أيضاً قلق ابنتي لوط على مصير الإنسانية. فإبراهيم كان قد أنجب إسماعيل من هاجر. والشعوب كانت منتشرة في كل مكان. وصوغر التي خرجت منها الفتاتان كانت قريبة." (مقتبسة عن ليو كاستيل صفحة ١٠٣ - ١٠٤)

شعب إسرائيل يزني

وفي سفر العدد ٢٥: ١ - ٥ نقرأ:

"وأقام إسرائيل في شطيم وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب. فدعون [بناتُ موآب] الشعبَ [بني إسرائيل] **إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن** [أي سجد بنو

إسرائيل لآلهة بنات موآب مرتكبين بذلك الشرك بربهم وهو أعلى درجات الخطيئة عند اليهود] وتعلق إسرائيل ببعل فغور. فحمي غضب الرب على إسرائيل. فقال الرب لموسى خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل. فقال موسى لقضاة إسرائيل اقتلوا كلٌّ واحدٍ قومَهُ المتعلقين ببعل فغور."

دموية موسى التلمودي[٩٨]

في سفر العدد ٣١: ١ - ١٩ نقرأ:

"وكلم الرب موسى قائلاً انتقمْ نقمةً لبني إسرائيل من المديانيين ثم تُضَمُّ إلى قومِكَ. فكلم موسى الشعب قائلاً. جردوا منكم رجالاً للجند فيكونوا على مِديان.....فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكرٍ. وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم.....وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار. وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم وأتوا إلى موسى وألعازار الكاهن وإلى جماعة بني إسرائيل بالسبي والنهب والغنيمة إلى المحلة إلى عربات موآب التي على أردن أريحا.

فخرج موسى وألعازار الكاهن وكل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة. فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب. وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حيةً. إن هؤلاء كنَّ لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانةٍ للرب في أمر فغور فكان الوباء في جماعة الربِّ. فالآن اقتلوا كل ذكرٍ من الأطفال. وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكرٍ اقتلوها. لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهنَّ لكم حيات." [!!!!]

قد نبتلع "برشامة" الدموية الوحشية التي مارسها المحاربون في جيش موسى مع عدوهم وقتلهم للذكور والملوك وسبي النساء والأطفال لأنهم مجرد بشر غير معصومين عن الخطأ. وكنا نتوقع أن يشجب موسى ومعه الكاهن أليعازر أعمالهم الوحشية ونعيدها إلى وجودهم في ساحة المعركة حيث يفقد الجندي وعيه. أما أن يغضب النبي موسى

---

[٩٨] – نتحدث عن موسى التلمودي الدموي تمييزاً عن تعامل القرآن مع موسى، النبي، الإنسان الذي لا يمكن له أن يقترف أياً من تلك الموبقات.

لأن محاربيه لم ينفذوا المذبحة بحذافيرها وأنهم لم يقتلوا الأطفال الذكور ولا النساء اللواتي عاشرن رجالاً لتبلغ الدموية في أحكامه أن يأمرهم بالعودة إلى مكان المعركة لإنجاز المجزرة بالمزيد من الدماء فهذا ما لا نتوقعه من نبي ولا نصدق التوراة التي جاءت به!!

إن صورة موسى عليه السلام في القرآن الكريم أسمى من الصور المخيفة في توراتهم المزيفة. هذا ويجدر بنا أن نقتبس تعليمات الخليفة أبو بكر الصديق للقوات المرسلة إلى بلاد الشام حيث خطب فيهم لنقارنها بنص توراتي من سفر الملوك الثاني ٣: ١٩ – ٢٠ . أما الصديق فقد أوصى بقوله:

"لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً ولا امرأة. ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه. ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله. وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له." (والمقصود بأقوام الصوامع النساك الذين انصرفوا للتعبد والذين حمتهم تعاليم أبي بكر من طيش الجنود.)

وأما توصية التوراة إلى بني إسرائيل المتوجهين إلى موآب فتقول:

"فتضربون كلَّ مدينةٍ محصنةٍ وكلَّ مدينةٍ مختارةٍ وتقطعون كل شجرةٍ طيبة وتطمُّون جميع عيون الماء وتفسدون كل حقلة طيبة بالحجارة."

ما ذنب الشجرة الطيبة وماذا ارتكبت عيون الماء؟

وأما نبي التوراة صموئيل فقد أمر شاول بقوله: **"فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّموا كل ماله ولا تعفُ عنهم بل اقتل رجلاً وامرأةً. طفلاً ورضيعاً. بقراً وغنماً. جملاً وحماراً"** (صموئيل أول ١٥ : ٣)

موسى (٣)

وفي سفر الخروج ٣٢: ٢٥ – ٢٩ نقرأ:

"ولما رآى موسى الشعب أنه مُعرّى. لأن هارون كان قد عرّاه للهزء بين مقاوميه. وقف موسى في باب المحلة. فقال من للرب فإليَّ. فاجتمع إليه جميع بني لاوي. فقال لهم. هكذا قال الرب إله إسرائيل ضعوا كلٌّ واحدٍ سيفه على فخذه ومرّوا وارجعوا من باب إلى باب المحلة واقتلوا كلٌّ واحدٍ أخاه وكلٌّ واحدٍ صاحبَهُ وكلٌّ واحدٍ قريبه. ففعل بنو

لاوي بحسب قول موسى. ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل. وقال موسى املأوا أيديكم اليومَ للرب حتى كل واحدٍ بابنه وبأخيه. فيعطيكم اليومَ بركةً."

فتح أريحا

ننتقل الآن إلى اقتباس من سفر يشوع، الإصحاح السادس: ١ – ٢٥ الذي يصف ما فعله يشوع بن نون الذي خلف موسى في قيادة بني إسرائيل فمارس وحشية أخرى لا تَقِلُّ عما أمر به موسى:

"وكانت أريحا مغلقةً مقفلةً بسبب بني إسرائيل [الذين يحاصرونها] لا أحد يخرج ولا أحد يدخل. فقال الرب ليشوع. أنظر. قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس. تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب. حول المدينة مرةً واحدةً. هكذا تفعلون ستة أيام. وسبعة كهنة يحملون أبواق الهتاف السبعةَ أمام التابوت. وفي اليوم السابع تدورون دائرة المدينة سبع مرات والكهنة يضربون بالأبواق........وكان في اليوم السابع أنهم بكروا عند طلوع الفجر وداروا دائرة المدينة على هذا المنوال سبع مرات. في ذلك اليوم فقط داروا دائرة المدينة سبع مرات. وكان في المرة السابعة عندما ضرب الكهنة بالأبواق أن يشوع قال للشعب اهتفوا لأن الرب قد أعطاكم المدينة. فتكون المدينة وكل ما فيها محرماً للرب. راحاب الزانية فقط تحيا هي وكل من معها في البيت لأنها قد خبأت المرسَلَيْن اللذين أرسلناهما......وكل الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد تكون قدساً للرب وتدخل في خزانة الرب. فهتف الشعب وضربوا بالأبواق. وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف هتافاً عظيماً فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة. وحرموا كل ما في المدينة من رجلٍ وامرأةٍ من طفل وشيخٍ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف. وقال يشوع للرجلين اللذين تجسسا الأرضَ أدخلا بيت المرأة الزانية واخرجا من هناك المرأة وكل ما لها كما حلفتما لها. فدخل الغلامان الجاسوسان وأخرجا راحاب وأباها وأمها وإخوتها وكل مالها وأخرجا كل عشائرها وتركاهم خارج محلة إسرائيل. وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها.إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في

خزانة بيت الرب. واستحيى [بمعنى أبقاها على قيد الحياة] يشوع راحاب الزانية وبيت أبيها وكل مالها. وسكنت في وسط إسرائيل إلى هذا اليوم. لأنها خبأت المرسلين اللذين أرسلهما يشوع لكي يتجسسا أريحا. وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلاً ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا."

الأمر بإبادة ستة شعوب

فلنقرأ في هذا الصدد الجمل ١٦ – ١٨ من ذات السفر وذات الإصحاح:

"وأما مدن أولئك الأمم التي يعطيها لك الرب إلهك ميراثاً فلا تستبق منها نسمةً. بل تحرمهم تحريماً الحثيين والأموريين والكنعانيين والفِرزيين والحوّيين واليبوسيين كما أمرك الرب إلهك."

انتقام يعقوب من شكيم بن حمور

ترى كيف يمكن للبشرية ائتمان اليهود بعد أن نقرأ خططهم التي تحلل الحرام وتحرم الحلال بما في ذلك خرق العهود ونقضها دون سابق إنذار كما سنرى من المثال الذي نأخذه أيضاً من صلب التوراة في سفر التكوين ٣٤: ١-٢٩ بعد أن وصل يعقوب مع نسائه وأبنائه وبناته إلى فلسطين وما حصل لابنته دينة؟:

"وخرجت دينة ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب لتنظر بنات الأرض. فرآها شكيمُ ابن حمور الحويّ رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها. وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب وأحب الفتاة ولاطف الفتاة. فكلم شكيم حمور أباه قائلاً خذ لي هذه الصبية زوجةً. وسمع يعقوب أنه نجَّس دينة ابنته. وأما بنوه فكانوا مع مواشيه في الحقل. فسكت يعقوب حتى جاؤوا.

فخرج حمور أبو شكيم إلى يعقوب ليتكلم معه. وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا. وغضب الرجال واغتاظوا جداً لأنه صنع قباحة في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب. وهكذا لا يُصنع. وتكلم حمور معهم قائلاً شكيمُ ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم. أعطوه إياها زوجةً. وصاهرونا. تعطونا بناتكم وتأخذون لكم بناتنا. وتسكنون معنا وتكون الأرض قدامكم. اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها. ثم قال شكيم لأبيها ولإخوتها دعوني أجد

نعمةً في أعينكم. فالذي تقولون لي أعطي. كثروا علي جداً مهراً وعطيةً. فأعطي كما تقولون لي. وأعطوني الفتاة زوجةً.

فأجاب بنو يعقوب شكيمَ وحمورَ أباه بمكرٍ وتكلموا. لأنه كان قد نجَّس دينة اختهم. فقالوا لهما لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر أن نعطي أختنا لرجل أغلفَ [أي لم تجرِ عليه عملية الختان] **لأنه عار لنا. غير أننا بهذا نواتيكم. إن صرتم مثلنا بختنكم كل ذكرٍ نعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم ونسكن معكم ونصير شعباً واحداً. وإن لم تسمعوا لنا أن تختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضي.**

فَحَسُنَ كلامهم في عيني حمور وفي عيني شكيم بن حمور. ولم يتأخر الغلام أن يفعل الأمر. لأنه كان مسروراً بابنة يعقوب. وكان أكرم جميع بيت أبيه. فأتى حمور وشكيم ابنه إلى باب مدينتهما قائلين. هؤلاء القوم مسالمون لنا. فليسكنوا في الأرض ويتجروا فيها. وهوذا الأرض واسعة الطرفين أمامهم. نأخذ لنا بناتهم ونعطيهم بناتنا. غير أنه بهذا فقط يواتينا القوم على السكن معنا لنصير شعباً واحداً. بختننا كل ذكرٍ كما هم مختونون. ألا تكون مواشيهم ومقتناهم وكل بهائمهم لنا. نواتيهم فقط فيسكنون معنا. فسمع لحمور وشكيم ابنه جميعُ الخارجين من باب المدينة. واختتن كل ذكر. كل الخارجين من باب المدينة.

فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب شمعون ولاوي أخوي دينة أخذا كل واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمنٍ وقتلا كل ذكرٍ. وقتلا حمور وشكيم ابنَهُ بحد السيف. وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا. ثم أتى بنو يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة. لأنهم نجسوا أختهم. غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه. وسبوا ونهبوا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت."

نعم نحن نقر أن الحرب خدعة! ولكن ما أنجزه ابنا يعقوب، شمعون ولاوي لا يقع تحت هذا البند أبداً. فخدعة الحرب تكون مثلاً حين يرسل جيشٌ ما بعض قطعاته من طرف نحو العدو، ولما يتحرك العدو لمواجهة العدد القليل ينقض المهاجم بجحافله الكثيرة من جهة أخرى ويكسر العدو. ومن خدع الحرب المشروعة التمويه. ومن الخدع المعروفة إثارة الرمال الكثيفة ليظن العدو أن جحافل لا أول ولا آخر لها ستهاجمه. وهناك آلاف لا حصر لها من الخدع البسيطة والمعقدة التي لا مجال لتعدادها. أما أن يعلنوا عن المسامحة والمسالمة والتواضع وتقبل الصلح والتآخي ووحدة الحال بل ويقبلوا المهر

السخي والعطايا ثم يستغلون فترةَ ضعفٍ دفعوهم إليها بمكرٍ ثم ينقضون من الخلف على من ائتمنهم وسلمهم مَذْبَحَهُ فور أن يدير إليهم ظهره فهو خيانةٌ بحتة وقذرة لا تنسحب عليها الخدعة الحربية بحال من الأحوال. إن من يقترف هذه الحقارة لا يمكن لإنسان ائتمانه لأنه لا يمكن تحديد صدقه من باطنيته ولا وفاءه من خيانته. وهل "القباحة" التي ارتكبها شكيم هي الأولى أو الأخيرة في إسرائيل؟ ألم يدفع إبراهيم بزوجته إلى فرعون فكافأه الرب؟ ألم يضاجع لوط ابنتيه لينتج عن ذلك شعبان "خالدان"؟ والجدير بالانتباه هو أبعاد الانتقام الغادر الذي لا يتناسب أبداً مع الجريمة التي ارتكبها الجاني وخاصة أنه قام بفروسية وعن طيب خاطر بكل ما يمكن القيام به لإصلاح فعلته بالقول وبالعطاء وبالتسليم لهم. لقد ائتمنهم ولم يحم ظهره بعد أن وعدوه بالمسالمة، فإذا بهم يطعنونه من الخلف بأسلوب رخيص مقيت يتناسب مع أخلاقياتهم المنحرفة. ويضاف إلى التجاوزات المجرمة شمولية العقاب ليشمل البريء والطائع والمسالم والصغير والكبير بل والبهائم ونهب كل المدينة. فالعقوبة الجماعية الشمولية من أسس العقيدة التوراتية. فإذا كان يعقوب الغشاش المبتز أقدم مع أولاده على هذا النموذج من الأفك فلا عجب في ألا يتوقع الإنسان من مثل هذه الجماعة أي خير.

والطريف الذي يتناقض كلياً مع هذا التصرف التوراتي الوحشي نلمسه لمس اليد حين نقرأ في صلب التوراة أن تصرف شكيم بن حمور يتماشى كلياً مع التعاليم التوراتية لأننا نجد في سفر التثنية ٢١: ٢٨: "**إذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوُجِدا ، يعطي الرجل الذي اضطجع معها لأبي الفتاة خمسين من الفضة وتكون هي له زوجةً من أجل أنه قد أذلّها.**" وهذا النص ينطبق بالحرف على تصرف شكيم مع دينة. فما هذه الأحكام التي تصبح شرعيةً أوتنقلب إلى وحشية حسب مزاج محرفي التوراة؟

لحم الجثة يُباع لغير اليهود

في سفر تثنية ١٤ : ٢١ نجد:

"لا تأكلوا جثةً ما. تعطيها للغريب الذي في أبوابك فيأكلها أو يبيعها لأجنبي لأنك شعب مقدس للرب إلهك. لا تطبخ جدياً بلبن أمه."

ابن النبي يغتصب أخته

ولنقرأ من التوراة ماذا حصل بين أمنون ابن النبي داود وبين أخته ثامار التي أحبها إلى حدّ السقم. فرآه صديقه "يوناداب بن شِمعى" على هذه الحال فانقذ الموقف على طريقته الخاصة. ولنستمع إلى باقي القصة من النص الأصلي:

" وكان يوناداب رجلاً حكيماً جداً. فقال له [لأمنون العاشق أخته] لماذا يا ابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح. أما تخبرني. فقال له أمنون إني أحب ثامار أخت أبشالوم أخي. فقال يوناداب اضطجع على سريرك وتمارض. وإذا جاء أبوك ليراك فقل له دع ثامار أختي فتأتي وتطعمني خبزاً وتعمل أمامي الطعام لأرى فآكل من يدها..... فأرسل داود إلى ثامار إلى البيت قائلاً اذهبي إلى بيت أمنون أخيك واعملي له طعاماً. فذهبت ثامار إلى بيت أمنون أخيها وهو مضطجعٌ. وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكاً أمامه وخبزت الكعك وأخذت المقلاة وسكبت أمامه فأبى أن يأكل. وقال أمنون أخرجوا كل إنسان عني. فخرج كل إنسان عنه. ثم قال أمنون لثامار إيتي بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك. فأخذت ثامار الكعك الذي عملته وأتت به أمنون أخاها إلى المخدع. فقدمت له ليأكل فأمسكها وقال لها تعالي اضطجعي معي يا أختي. فقالت له لا يا أخي لا تذلني لأنه لا يُفعَلُ هكذا في إسرائيل. لا تعمل هذه القباحة. أما أنا فأين أذهب بعاري وأما أنت فتكون كواحد من السفهاء في إسرائيل.....فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها. ثم أبغضها أمنون بغضةً شديدةً جداً ..." صموئيل الثاني ١٣ : ٤-١٦

وبعد اغتصابه لثامار طردها فقالت له إن طرده لها في هذا الظرف أعظم من اغتصابه لها. فلم يكترث وإنما نادى غلامه وأمره بأن يطردها ففعل. ويعلمنا الإصحاح عن رد فعل أبيها داود فيقول في الجملة ٢١ من الإصحاح ذاته: **"ولما سمع الملك داود بجميع هذه الأمور اغتاظ جداً."!!!**

وبكون داود اغتاظ أُسدل الستار على هذه الجريمة بالنسبة إليه كأب وكنبيّ حسب ما يقوله محرفو التوراة.

داود يزني بزوجة أوريا ويرسله إلى الموت.

وكيف له أن يبدي انفعالاً آخر بعد أن شاهد امرأة تستحم فأعجبته فطلبها إليه وضاجعها. وكانت زوجة الجندي أوريا الذي كان يقاتل في جيشه. حبلت المرأة وأرسلت

إلى داود الزاني تعلمه بحبلها. فأرسل الجندي المخدوع إلى حتفه بالإيعاز إلى قائد الجبهة "يوآب" أن يرميه في المقدمة ثم يسحب الجنود من حوله ليسهل التفرد به وقتله. لقد سلمه رسالة موته ليسلمها بدوره إلى قائد الجبهة وفيها: "**اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيُضرب ويموت**" (صموئيل الثاني ١١ : ١٥). وبعد موت أوريا ضم داود الأرملة التي كانت قد حملت منه إلى حريمه فولدت منه ولداً أهملت التوراة ذكر اسمه لأن يهوة، رب داود قرر قتله ثم عادت وحملت منه فولدت سليمان الحكيم. (انظر أيضاً: صموئيل الثاني إصحاح ١١: ٢٦ ثم اصحاح ١٢: ٢٤)

هذا الكلام هو غيض من فيضٍ شديدِ السخاء من نصوص موحاة من الله بين دفتي توراة اليهود.

لماذا هذه المقتطفات من التوراة؟

قد يسأل المرء عن الدافع الذي جعلني أتعرض لتلك النصوص التوراتية العجيبة في شذوذها عن كل إحساس سليم؟ لقد سبق أن تعرضت لذلك ولكن أهمية الموضوع تدفعني إلى التذكير:

لقد أراد الحداد والحريري، كما رأينا، إثبات كون القرآن هو "إقامة التوراة والإنجيل العبراني".(بمعنى اتباع التعاليم في الكتابين) وأثبتُّ خطل هذا الرأي من خلال كشف زيف الإنجيل العبراني الذي اعترف العلماء المسيحيون القدامى بنقصه وتحريفه. وبينت أن نصوص القرآن فيها تعاليم وأفكار غزيرة جداً غير موجودة في أي من الكتابين بينما في الكتابين قصص عجيبة وغريبة وأفكار وتعاليم لا يوجد أي أثر لها في القرآن. فالإضافات كثيرة تتعدى نصف حجم القرآن. والتعاليم والأفكار الغريبة التي لم يأت لها ذكر في القرآن تتجاوز أربعة أخماس التوراة والأناجيل. وجميع الكتب المذكورة متوفر لأي إنسان ويستطيع التحقق منها إن شاء. ونحن نجد في الإضافات نقاطاً تمس أسس العقيدة، والحذوفات غنية بما يتعارض مع العقيدة! فهل يجوز بعد ذلك الحديث عن أن القرآن هو إقامة للإنجيل والتوراة ؟

وأكرر أيضاً أن التفاسير والتعليلات التي يواجهنا بها اللاهوتيون ليفهمونا أن أخبار الإبادة يُقصد منها الإحياء، وأخبار الفسق تعني الشرف، وأعمال التهديم وطمر الآبار يعني الإعمار، وأخبار قطع الشجر هو زراعتها ورعايتها، وأخبار نقض العهود هي أحدث مفاهيم الوفاء، هي قمة الاستهزاء بالعقل البشري. فعندما يجري تفسير أمرٍ بضدِّهِ تختلط الأمور ويصبح كلُّ شيءٍ كلَّ شيء! فإذا أصبح هتك عذرية الابنتين عملاً مقدساً وإرسال الزوجة إلى رجل آخر عملاً رائداً شريفاً فهل يجوز لنا أن نستنتج أن كلام التوراة، عموماً، يفيد عكس مضمونه؟ فإن كان الأمر كذلك فهل تنقلب كلمات " الخير" و" العدل" إلى "شرٌّ " و" ظلم " ؟ لماذا يجري إلباس الكلام الشائن مفهومَ نقيضِهِ بينما تُستبقى النصوص الخيرة بمعناها الإيجابي؟ من يقول لنا أين ومتى نعكس المعاني وأين ومتى نستبقيها كما هي؟ ومن هو الإنسان الحجة الذي يحدد متى يجوز لنا أن نعكس ومتى نستبقي؟ هل هذا أسلوب إلهي؟ وإن بقي كلام الخير خيراً وانقلب كلام الشر إلى خيرٍ فأين تبقى المعايير ؟

الخير خير والخير شر.

والشر خير والشر شر.

فهل يوجد خير وهل يوجد شرّ ؟ الطعام الطيب يؤكل والأكل المسموم يؤكل. وأعمال الفسق تُرتكب. فهل يوجد ممنوعات ومحظورات؟

لقد عالجت في كتابي: "هل اليهودية التلمودية دين؟" هذا الموضوع بتوثيقٍ منطقي وحللت آراء الأب اسطفان شربانتية في كتابه: "دليل إلى قراءة الكتاب المقدس" حيث يحاول بكل رقةٍ رتقَ سلبية النصوص التوراتية، وأثبتُّ عبثية المحاولة بالمنطق المُلزم. فهل للعقل مكان بين بني الإنسان؟

الخاتمة

هل الله يهودي ؟

يقول مسيحيون بأن يسوع كان يهودياً. فهل يصح هذا الادعاء؟ لو انطلقنا جدلاً من التسليم بأن يسوع هو الله، وهو ابن الله، فلا يمكن أن يكون يهودياً. إنه كلمة الله ائتمنها الخالق بطن العذراء الطاهرة. إنه إذن شيء آخر عن أي إنسان مولود ولا يمكن أن يكون يهودياً أصلاً ولا يجوز أن يُساءَ إليه بربطه باليهودية بحال من الأحوال.

أليست هي شرائح مسيحية أميركية مخترقة أوعميلة باعت لبَّ ضميرها ومعتقدها لتدمج المسيحية مع اليهودية والصهيونية لتحول المسيحية الصافية إلى حصان طروادة يندفع راكضاً من أجل تحطيم القيم المثلى التي لا يمكن أن تتعايش مع ديانة عنصرية تدعو لإبادة الآخرين؟

يسوع ليس يهودياً لأنه ظهرَ لوضعِ حدٍّ لفسق اليهود في حرمِ الهيكل. وبظهوره وضع خطاً فاصلاً بين معتقده وبين ممارسات اليهود الذين آذوه وتسببوا في موته. وها هم يسمونه ابن زانية ويتنبؤون له في الآخرة بالتغطيس في غائط يغلي كما يوجد في التلمود كما يكتب البروفسور اليهودي إسرائيل شاحاك، الأستاذ في الجامعة العبرية، في كتابه: الديانة اليهودية وتاريخ اليهود – وطأة ٣٠٠٠ عام:

" وينبغي الإقرار منذ البداية بأن التلمود والأدب التلمودي.... يتضمنان أقوالاً منفرة وقواعد سلوكية موجهة تحديداً ضد المسيحية. وعلى سبيل المثال يقول التلمود بالإضافة إلى سلسلة من المزاعم الجنسية البذيئة ضد يسوع المسيح بأن عقابه في الجحيم يقضي بإغراقه في غائط يغلي. ...ويستطيع المرء أن يستشهد بإحدى قواعد السلوك التي تشير على اليهود بإحراق اي نسخة من الإنجيل تقع بين أيديهم وأن يفعلوا ذلك علناً إذا أمكن. وهذه القاعدة ما زالت سارية المفعول حتى يومنا هذا وتمارس فعلاً. وعلى هذا النحو تم إحراق مئات من نسخ الإنجيل علناً في شهر آذار مارس عام ١٩٨٠ في احتفال أقيم في القدس برعاية ياد لأخيم، وهي منظمة دينية يهودية تُقدم لها المعونات المالية من وزارة الأديان الإسرائيلية." (صفحة ٤٧ تعريب سلمان، صفحة ٢٠ أصل انكليزي شاحاك)

كل مفكر يدرك أن الأديان المنتشرة على وجه الأرض تدعم نشاط الفكر البشري الإصلاحي الخلاق الذي يهدف إلى تعايش الأمم. وأنا أستثني الديانة اليهودية التلمودية لأنها عدوانية صرفة لا يجوز وضعها في مرتبة واحدة مع الإسلام والمسيحية. إن اليهودية التلمودية هي الديانة الوحيدة العنصرية بين الديانات المتعارف عليها التي تتعالى على كل من هو غير يهودي وتطالب إما بإبادته وإما بأن يصبح خادماً مذعناً بدون أية إرادة لليهود فيلعق الغبار العالق على أرجلهم كما نقرأ في سفر اشعياء ٤٩: ٢٢ - ٢٣ التوراة:

"هكذا قال السيد الرب ها إني أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي. فيأتون بأولادك في الأحضان وبناتك على الأكتاف يُحملن. ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك. بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلحسون غبار رجليك فتعلمين أني أنا الرب الذي لا يَخزى منتظروه."

إن انطلقنا من أن القرآن احتوى على قيمٍ خيرة موجودة في النصرانية التي سبقته لوجدنا أن المسيحية أخذت تعاليمها من النصرانية وعدّلت فيها فأضحت ديانة جديدة. والنصرانية أخذت من اليهودية وعدّلت فيها وأصبحت ايضاً ديانة جديدة. واليهودية أخذت من المعتقدات البوذية والكنعانية وعدّلت فيها. والكنعانية أخذت عن البابلية وعن شريعة حمورابي، والبابلية اقتبست من الفراعنة وأخذت عن الديانات الأسبق لها مثل الأكادية وحضارة ماري وايبلا وهكذا دواليك. إن كل ديانة عدّلت فيما أخذته من سابقتها حسب التغيرات الطارئة على مجتمعاتها فتطَوَّرَ الفكرُ الديني للبشرية وأصبح سلسلة مترابطة من ديانات انبثقت الواحدة عن سابقتها. فقط اليهودية شذَّ كتبةُ توراتِها عن القاعدة فجعلوا أجزاءً كاملة منها عدوانية كما أثبتت لنا النصوص التوراتية.

والحداد ليس ببعيد عن وجهة النظر هذه. فهو يقول: **"فالإسلام إذن نتيجة تطور توحيدي طويل في الحجاز بتأثير الدعوات التوحيدية من يهودية ومسيحية وحنيفية."** (حداد، القرآن والكتاب، صفحة ١٤٠) خطؤه عندما يدعي ذلك لا يكمن في صحة فكرة التطور وإنما ينسى فجأة أن الديانات التوحيدية الثلاث التي ذكرها كانت نتيجة حديثة

العهد نسبياً لتطور الفكر البشري منذ أكثر من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد. إن الحداد يرجع إلى عصر اليهودية وإلى المسيحية ويتجمَّد هناك وينسى كل التاريخ العريق المتحضر الذي تمخضتا عنهما.

وأحب تكرار ما قلته بكلمات أخرى: إن التراكمات الناشئة عن التطور الاجتماعي في كل مراحل التاريخ تأتي على الأغلب بحلول اجتماعية أكثر تطوراً من سابقتها لأنها عاشت النظم الأسبق ومارستها واكتشفت نقاط عدم اكتمالها فتحاشتها ولمست ثغرات في بنيانها فتلافتها. فعيسى (ع.س.) جاء شاجباً للعنصرية اليهودية ومنفتحاً نحو كل بني البشر. والإسلام جاء مطوراً لأفكارٍ بعضُها، كما في اليهودية، يسيء إلى المجتمع ككل، بينما بعضها الآخر يحتاج، في نظر الإسلام، إلى تحريره من الغلو. فإذا أراد أي إنسان العودة بالإسلام إلى مراحل عقائدية سابقة للإسلام، كان ذلك خطوة تسير القهقرى بالحضارة وبالمعتقد.

إن شئنا الصراحة التي قد لا تعجب البعض وجدنا أن اليهودية لا تعترف بعيسى بن مريم (ع.س.)، أي أنها لا تعتبر الديانة المسيحية ديناً وإنما هرطقةً. والمسيحية لا تعترف من حيث المبدأ بنبوة محمد (ص) ولذلك نجدها لا تعترف بالدين الإسلامي. أما الإسلام فيجد جذور تعاليمه متوفرة في كلتا الديانتين القويمتين بحيث لا يؤمن المسلم إن لم يكن مؤمناً بالديانتين معاً وبإبراهيم وموسى وعيسى (ع.س.) وكل باقي النبيين. وجاء في الآية ٢٨٥ من سورة البقرة:

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

لقد كتب الحداد: "إن الذي يقوم بتأسيس دين ودولة، وأمة وثقافة بفرض "النصرانية" على العرب....لا يكون إلا صادقاً من أولي العزم." (حداد، صفحة ٣٢٠)

إن كان الحداد يعني ورقة بن نوفل ويشير إلى أن ورقة هذا نجح في فرض النصرانية على العرب يكون قد خرج عن نطاق الجد ودخل في نطاق العبث والهزل. فهل كان ورقة، الإنسان الطيب لين العريكة غير معروف العقيدة بشكل قاطع، الوثني السابق بقادر على فرض ديانة على جموع العرب ذوي الطباع المتميزة؟ إن الإنسان الوحيد الذي أنجز ذلك هو محمد (ص). فهو الشخصية الفذة التي سيطرت بالمنطق وبالحزم على ميل العرب إلى الجموح. محمد (ص) جاء بديانة مختلفة عن النصرانية، برسالة شكلت حجر زاوية في تاريخ البشرية وفي تاريخ الفكر الإنساني. وعن هذه الرسالة انبثق، باعتراف الحداد، دولة وأمة وثقافة وحضارة.

والإسلام دين انصهرت في بوتقته المتسامحة عناصر من كل المعتقدات المذكورة ولكنه في نهاية المطاف دين جديد قائم بذاته. فزيادة جوهر واحد إلى ذرة كيميائية تتكون من بضع عناصر يجعل منها مادة أخرى لا علاقة لها بسابقتها على الإطلاق. فكيف إن كان الأمر لا يقتصر على زيادات وإنما يتجاوزها إلى حذف مقاطع كاملة من "المادة" السابقة؟ وهذا هو شأن الإسلام مع المعتقدات الأخرى المذكورة. ولنأت على ذلك بمثل بسيط:

هناك مادة "الأوكسيجينة" أو "الماء الأوكسجيني" المعقم والقاتل للميكروبات ولكل الخلايا الحية التي يلامسها. تركيبه الكيماوي هو

$$H_2O_2$$

أي ذرتين من الهيدروجين وذرتين من الأكسجين. فإذا حذفنا منها جوهر واحد من الأكسجين لأصبحت:

$$H_2O$$

فحصلنا على الماء! على الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي. وكذلك الأمر مع التوراة والقرآن الذي حذف من التوراة ذرة الأوكسجين المحرقة القاتلة للحياة. أما الأناجيل فبريئة من عنصرية ودموية التوراة. فهل يوافق المسيحيون المتفتحون ربط أناجيلهم بهذه التوراة التي اطّلعنا على نماذج من تطرفها قبل صفحات؟

كم أتمنى على الإخوة المسيحيين أن يقرأوا القرآن بشيء من الدقة والإمعان، ليس كما فعل الحريري والحداد، وإنما من منطلق حيادي وليس من منطلقِ حاقدِ باحثٍ عن الثغرات والهنات ليسخرها تسخيراً ممجوجاً بهدف التهديم، لنتساءل بعدئذ إن كان يوجد مسيحي سيقف مع آراء أي منهما؟!

نعم إن الإسلام يختلف مع المسيحية في أكثر من نقطة لاهوتية كما رأينا. ولكن هل من ضرورة للكفاح بكل الوسائل لينتصر فكر على فكر فيستحوذ عليه؟ أليس الأفضل إجراء الحوار غير المتحامل. وإن لم يمكن إيجاد قاعدة تلقى رضى الطرفين خلال وقت قريب فلماذا لا تُترك الأمور إلى الفكر الإنساني الطامح إلى التعايش بسلام دون اللجوء إلى الإساءة عن طريق كتبٍ تثير القلق وتغذي الضغينة كالتي نحن بصددها من تأليف الحداد والحريري والمر وميخائيل؟

عند هذا الحد أجد حاجة لتكرار الآية ١٣٥ من سورة النحل مع تعليق عليها:

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ

إن هذه الآية تؤكد على أمرين شديدي الأهمية. فالجدال بالحسنى! وهذا مطلوب من طرفي الجدال وليس من طرف واحد فقط. أما الأمر الثاني فهو أن إصدار أحكام على أتباع ديانات أخرى ليس من واجبات المسلمين على الأرض فـ "إن ربك أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين."

الهدف من كتابي هو ترسيخ طريق الوئام وشجب كل دعوة إلى عكس ذلك. فكل كتاب يُكَرّسُ التشرذمَ والعداوة ليس فيه من دين المحبة شيء.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

العهد القديم.

الأناجيل.

اطلعنا عن طريق أقراص الحاسوب، (CD)، في المراجع التالية على النقاط الخاصة بموضوع كتابنا وعلى ما يتعلق بالأسماء الرئيسية الداخلة في الموضوع:

تفسير الطبري – تاريخ الطبري – تفسير ابن كثير – البداية والنهاية – الدرر لابن عبد الدر – السيرة النبوية لابن هشام – فصول من السيرة – السيرة الحلبية – تاريخ خليفة بن خياط – أخبار مكة للفاكهي – التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة – غاية السول في سيرة الرسول – صحيح البخاري (الجزء الذي يتحدث عن السيرة) – الروض الأنف للسهيلي – سيرة ابن إسحاق – الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والخلفاء – المقتفى من سيرة المصطفى – الثقات (الجزء الذي يتحدث عن السيرة) – زاد المعاد – مسند الحارث – صفة الصفوة – المنتخب من كتاب أزواج النبي – الخصائص الكبرى – الشمائل المحمدية – معرفة أسامي أرداف النبي – التراتيب الادارية – دلائل النبوة للفريابي – الذرية الطاهرة – الفخر المتوالي فيمن انتسب للنبي – دلائل النبوة للأصبهاني – الصارم المسلول – تخريج الدلالات السمعية – معجم الصحابة – مقتل الشهيد عثمان – الطبقات الكبرى مع القسم المتمم لها– الآحاد والمثاني – فضائل الصحابة – الرياض النضرة – الاستيعاب – ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى.

١ – ابن كثير، "مختصر تفسير ابن كثير" دار القرآن الكريم دمشق ، بيروت، طبعة ثانية، ألمانيا عام ١٣٩٦ هجرية، ثلاث مجلدات.

٢ – ابن الأثير (الشيباني، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد) ، "الكامل في التاريخ"،دار صادر ودار بيروت، بيروت ١٩٦٥.

٣ – ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، "مقدمة ابن خلدون"، لجنة البيان العربي،الطبعة الثانية، القاهرة ،
(٢٧ ش الاسماعيلي) ١٩٦٦.

٤ – ابن سعد، "الطبقات الكبرى" دار بيروت ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت ١٩٥.

٥ – أبو خليل، د. شوقي، "الحوار دائماً" طبعة ثانية، دار الفكر المعاصر بيروت ودار الفكر دمشق ٢٠٠٠.

٦ – الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني، "التمهيد في الرد على الملحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة"، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٧.

٧ – البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن بَرْدِزْبَهْ الجُعفي، صحيح البخاري، لجنة إحياء كتب السنة ، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة ١٣٨٦ هجرية.

٨ – بوكاي، د. موريس، "التوراة والأناجيل والقرآن الكريم بمقياس العلم الحديث"، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، بدون تاريخ للنشر.

٩ – البوطي، د. محمد سعيد رمضان، "فقه السيرة النبوية"، دار الفكر، دمشق ٢٠٠٢.

١٠ – بيجوفيتش، علي عزت، "الإسلام بين الشرق والغرب"، مجلة النور الكويتية، الكويت، ومؤسسة بافاريا للنشر، ميونيخ ١٩٩٤.

١١ – الترمانيني، د. عبد السلام، "الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام"، سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٤.

١٢ – تولستوي، ليف، "حِكَم النبي محمد" دار الملوحي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، طبعة ثانية ١٩٩٧.

١٣ – الحداد، الأستاذ، (المقصود: يوسف درة الحداد)، "القرآن دعوة نصرانية" بدون دار نشر ولا عنوان ولا تاريخ للنشر.

١٤ – الحداد، يوسف درة، "القرآن والكتاب" منشورات المكتبة البولسية" بيروت – جونية، طبعة ثالثة ١٩٩٣.

١٥ – حريتاني، د. سليمان، "توظيف المحرَّم"، دار الحصاد للنشر والتوزيع، طبعة أولى، دمشق ٢٠٠٠.

١٦ – الحريري، أبو موسى، (المقصود هو الأب جوزيف قزي) "قس ونبي" بدون دار نشر ولا عنوان، عام ١٩٧٩ وطبعة أخرى لذات الكتاب ضمن سلسلة: الحقيقة الصعبة، دار "لأجل المعرفة" ديار عقل، لبنان ١٩٨٥.

١٧ – الحلبي، علي بن برهان الدين، "السيرة الحلبية في سيرة المأمون – إنسان العيون" ، دار المعرفة، بدون عنوان الدار، وبدون تاريخ الطبع.

١٨– حومد، د. أسعد محمود، "رداً على كتاب قس ونبي – دعوة الإيمان في القرآن وفي كتب أهل الكتاب"، دمشق ١٩٩٨.

١٩ – الدالاتي، د. عبد المعطي، "ربحت محمداً ولم أخسر المسيح" دار الشهاب، طبعة أولى، بيروت ١٩٩٩

وطبعة دمشق عام ٢٠٠٢.

٢٠ – دروزة، محمد عزة، "القرآن والمبشرون"، الدار الاسلامي، بدون مكان، ولكن موافقة مدير الرقابة في وزارة الإعلام السورية في النسخة التي أخذتها من ابنة المؤلف العريق الذي عاش مائة وعام واحد، ومعرفتي لدار المؤلف وأبناء أخيه منذ الطفولة تشير إلى أن الكتاب في دمشق. عام النشر هو: ١٩٧٢ .

٢١ – دروزة، محمد عزة، "القرآن والملحدون"، دار صعب، طبعة ثانية، ١٩٨٠.

٢٢ – الرازي، محمد بن أبي بكر، "تفسير الرازي – أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل"، دار الفكر المعاصر، بيروت ودار الفكر، دمشق ١٩٩٠ .

٢٣ – الراغب، د. عبد السلام أحمد، "وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم"، دار فُصِّلَتْ للدراسات والترجمة والنشر، حلب ٢٠٠١.

٢٤ – الزاوي، أحمد عمران، "الحقيقة الصعبة في الميزان"، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٩٥.

٢٥ - سعادة، أنطون "الإسلام في رسالتيه المسيحية والمحمدية"، بدون دار نشر، الطبعة الرابعة، بيروت.
٢٦ - شاحاك، إسرائيل، "الديانة اليهودية وتاريخ اليهود - وطأة ٣٠٠٠ عام" شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ١٩٩٦م. تعريب رضى سلمان ومراجعة مريم بري.
٢٧ - شربنتية، الأب اسطفان "دليل إلى قراءة الكتاب المقدس" دار المشرق، بيروت، طبعة ثالثة ١٩٩٠. نقله إلى العربية الأب صبحي حموي اليسوعي، استاذ الكتاب المقدس في جامعة القديس يوسف، بيروت.
٢٨ - شنودة، البابا "حوارات في الإيمان والثقافة والوطنية" دار الشروق، القاهرة، فبراير/شباط ١٩٩٩.
٢٩ - الصباغ، عماد، "الأحناف" دار الحصاد، طبعة أولى، دمشق ١٩٩٨.
٣٠ - صليبي، كمال، " التوراة جاءت من جزيرة العرب" مؤسسة الأبحاث العربية ش.م.م. بيروت ١٩٩١ الطبعة الرابعة.
٣١ - صليبي، كمال، "خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل" دار الساقي، بيروت ١٩٩٨، الطبعة الرابعة.
٣٢ - صليبي، كمال، "البحث عن يسوع" دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة العربية الأولى، عمان، ١٩٩٩
٣٣ - الطاهر، سلوى مرسي، "أول سيرة في الإسلام - عروة بن الزبير بن العوام"، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٥ .
٣٤ - طبارة، عفيف عبد الفتاح، "روح الدين الإسلامي"، دار العلم للملايين، الطبعة ٣١، بيروت ١٩٩٩.
٣٥ - عبد الكريم، خليل، "قريش، من القبيلة إلى الدولة المركزية"، دار سينا للنشر - ومؤسسة الانتشار العربي بيروت، طبعة ثانية ١٩٩٧.
٣٦ - عبد الكريم، خليل، " الجذور التاريخية للشريعة الاسلامية"، سينا للنشر، القاهرة ودار الانتشار العربي، بيروت، طبعة ثانية ١٩٩٧.

٣٧ – العجلاني، أ. د. منير، "عبقرية الإسلام في أصول الحكم" دار النفائس، بيروت ١٩٨٥.

٣٨ – عرنوق، مفيد، "التوراة والتراث السوري" دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧.

٣٩ – عطاء الرحيم، محمد، "عيسى يبشر بالإسلام" ترجمة د. فهمي م. شمّا، عمان ١٩٨٣ (الناشر للكتاب الأصلي بالإنكليزية هو جامعة عليكرة في الهند. (Aligar University)

٤٠ – علي، د. جواد، "المفصل في تاريخ العرب قبل إسلام"، دار العلم للملايين بيروت و مكتبة النهضة بغداد ١٩٧٠.

٤١ – الغزالي، محمد، "قذائف الحق"، منشورات المكتبة العصرية، بيروت – صيدا، بدون تاريخ.

٤٢ – فياض، نبيل، "يوم انحدر الجمل من السقيفة"، دار الكنوز الأدبية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٩٧.

٤٣ – فيروز آبادي، "القاموس المحيط"، مؤسسة الرسالة، طبعة اوفست، بيروت ١٩٨٦.

٤٤ – قطب، سيد، "في ظلال القرآن"، دار احياء التراث العربي، طبعة سابعة، بيروت ١٩٧١ .

٤٥ – القلقشندي، أبو عباس أحمد "نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب"، الناشرون ثلاثة: دار الكتب الاسلامية، دار الكتاب المصري في القاهرة ودار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٠.

٤٦ – القمني، سيد محمود، "إسرائيل،التوراة...التاريخ، التضليل."دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٨.

٤٧ – القمني، سيد، محمود "النبي إبراهيم والتاريخ المجهول".مكتبة مدبولي الصغير،القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦ .

٤٨ – كفروني، د. يوسف، دراسات في مجلة "اتجاه" ، تصدر في لبنان.

٤٩ – كنعان، د. جورجي، "أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين" دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، ايلول ١٩٧٨.

٥٠ - كنعان، د. جورجي، "تاريخ يهوة" الدار العربية للعلوم، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٤.
٥١ - كنعان، د. جورجي، "سقوط الامبراطورية الإسرائيلية" توزيع دار النهار، الطبعة الثانية ١٩٨٢ .
٥٢ - كنعان، د. جورجي، "وثيقة الصهيونية في العهد القديم" توزيع دار النهار، الطبعة الثالثة ١٩٨٥ .
٥٣ - كنعان، د. جورجي، "الأصولية المسيحية في نصف الكرة الغربي" بيسان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، تموز ١٩٨٢ .
٥٤ - كنعان، د. جورجي، "محمد واليهودية" بيسان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٩ .
٥٥ - كنعان، د. جورجي، "مملكة الصعاليك" دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٠.
٥٦ - كنعان، جورجي، "الله هو القضية" دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى، آب ٢٠٠١ .
٥٧ - كنعان، جورجي، "والمسيح هو المشكلة" دار بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، طبعة أولى، آب ٢٠٠١
١٩٩٤.
٥٨ - محمد علي، محمد سامي، "الإعجاز العلمي في القرآن الكريم" دار المحبة، دمشق، بدون تاريخ للنشر.
٥٩ - المرّ ، الياس، "الإسلام بدعة نصرانية" (النسخة التي في ايدينا بدون دار نشر وبدون تاريخ. ولا ندري إن كان الإسم مستعاراً أم صحيحاً.
٦٠ - مكرم، ابن منظور محمد بن، "مختار الأغاني في الأخبار والتهاني" الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٦٦.
٦١ - المعافري، أبو محمد عبد الملك بن هشام، "السيرة النبوية"، دار الجيل، بيروت ١٩٧٥.

٦٢ - مقار، شفيق، "قراءة سياسية للتوراة" دار رياض الريس للكتب والنشر، قبرص/لندن.

٦٣ - مقار، شفيق، "المسيحية والتوراة " دار رياض الريس للكتب والنشر، قبرص/لندن، ١٩٩٢، الطبعة الأولى.

٦٤ - مقارّ، شفيق، "الجنس في التوراة وسائر العهد القديم"، دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق.

٦٥ - منى، زياد، "الابيونيون وورقة بن نوفل" قدمس للنشر والتوزيع، طبعة أولى، دمشق ٢٠٠١.

٦٦ - ميخائيل، الدكتور القس لبيب، "لا إله إلا الله"، دار الطريق الجيّد، ريكون سويسرا ١٩٩٢.

The good Way. POB 66. CH-8468 Rikon, Switzerland

٦٧ - النيهوم، الصادق، "الإسلام في الأسر" رياض الريس للكتب والنشر، طبعة ثالثة، دمشق ١٩٩٥.

٦٨ - الهندي، رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني، "إظهار الحق" وكالة الطبع والترجمة،

الرياض.

٦٩ - هوفمان، عبد الهادي، بين شتى الجبهات، مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام، مينيخ ١٩٩٧.

٧٠ - هوفمان، مراد، "الطريق إلى مكة" دار الشروق، القاهرة، طبعة أولى١٩٩٨.

٧١ - اليازجي، ندرة، "ردّ على التوراة" دار الغربال، دمشق، الطبعة الثالثة ١٩٨٧.

٧٢ - "سلسلة دراسات تاريخ الجزيرة العربية"، الكتابان الثاني والثالث، دراسات لعلماء عديدين ألقيت في ندوات وأصدرتها جامعة الملك سعود في الرياض، عام ١٩٨٤.

Armstrong, Karen, Muhammad, *Religionsstifter und Staatsmann* , Diederichs, Munchen, 1993

Bell, Richard, *Introduction to the Quran*, the Edinburgh University Press, 1953

Bucaille, Maurice, *Bibel, Kor an und Wissenschaft* Islamischer Verlag, SKD Bavaria Verlag & Handel GmbH, Muenchen 1994

El-Zayat, Farouk Mohamed, *Muetter der Glaubigen*, SKD Bavaria & Handels & Verlags GmbH, Munchen.

Hofmann, Murad Wilfried, *Tagebuch eines deutschen Moslems* SKD Bavaria Verlag & Handel GmbH, M[uenchen, 4 Auflage 2001

Hoffmann, Hadi Christian, *Islam und Luther,* Deutsch-Islamisches Institut

Hunke, Sigrid, *Allah ist ganz anders,* SKD Bavaria Verlag & Handel GmbH, Muenchen 1999

Khourz, Adel Theodor *Der Koran , Arabisch- Deutsch,*

Lings, Martin, *Muhammad, his life based on the earliest sources* , George Allen & Unwin (publishers) ltd. Thd impression, 1984

Neuwirth, Angelika, *Studien zur Komposition der mekkanischen Suren,* Walter de Gruzter Verlag, Berlin New Zork, 1981

Rodinson, Maxime, *Mohammed* , C.J. Bucher, translated from French by: Guido Meister, Luzernd and Frankfurt, 1975

Schoeler, Gregor, *Charakter und Authentrie der muslimischen Ueberlieferung ueber das Leben Mohammeds,* Walter der Gruyter. Berlin. New York, 1996

Wuestenfeld, Ferdinand, Die *Chroniken der Stadt Mekka* Georg Olms,Verlag, Hildesheim und New York, 1981

محتويات الكتاب

الجزء الثاني


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

مؤلفات للدكتور سامي عصاصة

١ - **أسرار الانفصال** - عن الوحدة بين سوريا ومصر وأسباب فشلها.

٢ - **عربدة سياسية** - مقالات ناقدة في السياسة والاقتصاد.

٣ - **هل انتهت حرب الخليج؟** - دراسة حول التحضير الأميركي لهذه الحرب وتوريط دول المنطقة لمصلحة الولايات المتحدة الأميركية.

٤ - **وثائق حرب الخليج** - تسجيل حيّ وحرفيّ لما جرى في اجتماع القمة العاشر لجامعة الدول العربية حيث تمَّ إجهاض فرصة تفادي الحرب.

٥ - **العربدة الثانية** - مجموعة جديدة من المقالات الناقدة.

٦ - **هل اليهودية التلمودية دين؟** - دراسة لكتاب البروفسور إسرائيل شاحاك، ونقد موثق للديانة اليهودية التي تستند إلى التلمود.

٧ - ترجمة "**هل اليهودية التلمودية دين؟**" إلى الانكليزية ليستخدمَ هذا الكتاب كلُّ مواطنٍ عربي في بلاد الغربة للتعريف على جرائم إسرائيل وعنصريتها.

٨ - **القرآن ليس دعوة نصرانية** - تفنيد لادعاءات الحدّاد والحريري في كتابيّ: "القرآن دعوة نصرانية" للأب درة يوسف الحداد، و "قسّ ونبيّ" للأب جوزيف قزي.